شرح العقيدة الطحاوية

معهد الدين القيم

تأليف فضيلة الشيخ

أبي الحسن علي بن مختار الرملي

حفظه الله

الفهرس

(ترتيب الصفحات حسب الملف)

الدرس الأول	٤
الدرس الثاني	٣٧
الدرس الثالث	٤١
الدرس الرابع	٥٦
الدرس الخامس	٦٤
الدرس السادس	٧٥
الدرس السابع	٩١
الدرس الثامن	١٠١
الدرس التاسع	١١٣
الدرس العاشر	١٢١
الدرس الحادي عشر	١٢٨
الدرس الثاني عشر	١٤٠
الدرس الثالث عشر	١٥٢
الدرس الرابع عشر	١٦٧

الدرس الخامس عشر	١٨٢
الدرس السادس عشر	١٩١
الدرس السابع عشر	٢٠٠
الدرس الثامن عشر	٢١٤
الدرس التاسع عشر	٢٢٦
الدرس العشرون	٢٣٩
الدرس الواحد والعشرون	٢٥٣
الدرس الثاني والعشرون	٢٦٣
الدرس الثالث والعشرون	٢٧٦
الدرس الرابع والعشرون	٢٨٥
الدرس الخامس والعشرون	٢٩٦
الدرس السادس والعشرون	٣٠٦

.... تم بعونه تعالى ....

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الأول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ أما بعد...

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بداية أحمد الله تبارك وتعالى على ما منَّ به علينا من إنهاء المستويات الأربعة المقررة في معهد الدين القيم للتأصيل العلمي؛ هذا خير وفضل كبير علينا؛ فأسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منّا، وأن ينفعني وإياكم بما تعلمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يجعل هذا العلم حجة لنا عنده، وأن يجعله حجابًا لنا عن النار، وأن يُدخلنا به جنات النعيم، وأن يزيدنا منه، وأن ينفعنا به وينفع به عباده.

إخواني الطلبة وأبنائي...

من المفروض الآن أن تكونوا قد أنهيتم المستويات الأربعة، ومن أنهى هذه المستويات وفَهِمَها واستوعبها بشكل جيد وتجاوزها بإتقان؛ يكون من طلبة العلم المتقدمين الذين قطعوا شَوطًا عظيمًا في طلب العلم؛ فيجب أن تعتنوا بأنفسكم وأن تحرصوا على الاستزادة، وأن

تخلصوا عملكم لله سبحانه وتعالى، وأن تحرصوا أيضًا على أن تكونوا مفاتيح خيرٍ مغاليق شر، وأن تكونوا دُعاة هدى وأن ينفع الله سبحانه وتعالى بكم دينه.

واحذروا من الكسل والخمول والانشغال بالدنيا وملذاتها، اصبروا على الفقر، اصبروا على قلَّة ذات اليد، اصبروا على ما ينالكم من صعوبة في هذه الدنيا حتى يفتح الله تبارك وتعالى عليكم؛ فأنتم تحملون أمانة عظيمة؛ تحملون ما حمله الأنبياء من تبليغ هذه الرسالة؛ فأنتم إن شاء الله تكونون من ورثة الأنبياء الذين ورثوا العلم كي يبلغوه لعباد الله؛ فلا تستهينوا بما معكم ولا تستخفوا بأنفسكم، وأكثروا من التضرع إلى الله تبارك وتعالى بأن يجعلكم أئمة في هذا الدين؛ أئمة هدى، أئمة صلاح، أئمة تقوى، وأن يتقبلنا جميعًا من عباده الصالحين.

الآن أنتم طلبة علم تستطيعون أن تفهموا كلام أهل العلم، وأن تعرفوا منهج السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فقد عرفتم الكتب وعرفتم كيف تبحثون فيها، وعرفتم كيف تفهمون كلام أهل العلم؛ لذلك سنشرح هذا الكتاب الذي بين أيدينا- وهو كتاب "العقيدة الطحاوية"- شرحًا يتناسب مع هذا المستوى.

غايتنا من هذا الشرح بيان المسائل العلمية العَقَدِيَّةِ التي طُرِحَت في هذا الكتاب، ومعرفة الحق من الباطل، ومعرفة ما الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، وما الذي يخالف عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم، ومعرفة الحق في كل مسألة تُطرح في هذا الباب، وما القول المخالف له والذي يجب الحذر منه.

يهمنا في هذا الشرح أن نُبيّن المسألة ونُبيّن دليلها، وأن نُبيّن ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم فيها، وإذا وُجِدَت شُبهة يتعلق بها أهل الباطل من كتاب أو سنة- من آية

مُتشابهة أو سنة مُتشابهة تعلقوا بها-؛ نُفنِّد هذه الشبهة بما قاله أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

أما مسألة الردود بالكلام والعقل وما شابه؛ فهذا لن نشغل أنفسنا به؛ فالحجة تقوم على العباد بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وببيان ما كان عليه السلف الصالح، وإزالة الشبهة التي تتعلق بالكتاب والسنة وينتهي الأمر، وإذا أراد الشخص المجادلات بالطرق العقلية؛ يجد لها مصدرها والله أعلم، لكن نحن سنمشي على الطريقة التي ذكرنا لكم؛ فسنطرح المسائل بطريقة علمية تتناسب مع مستواكم، ونسأل الله القبول لنا ولكم.

العقيدة الطحاوية

العقيدة: مأخوذة من العَقْد؛ وهو ربط الشيء كقولك: (عَقَدْتُ الحبلَ؛ أي ربطته)، واعتقدت كذا؛ أي: عَقَدْتُ عليه قلبي؛ فالعقيدة ما يؤمن به الإنسان إيمانًا جازمًا ويَعقِد قلبه عليه؛ فالعقيدة إيمان القلب بالشيء وتصديقه الجازم به.

وعرَّفها بعض أهل العلم بأنها: حكم الذهن الجازم؛ فهي ما يَنْعَقِدُ عليه القلب ويؤمن به جازمًا به، لا يتطرق لهذا الشيء شك عنده.

والشريعة تنقسم إلى قسمين: عقائد وأعمال؛ العقائد هي إيمان القلب وعمله، والأعمال أعمال الجوارح؛ كالصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، وكلاهما متلازمان؛ إيمان الباطن وإيمان الظاهر متلازمان؛ زيادة ونقصانًا ووجودًا وعدمًا، ولكن أعمال الجوارح تَبَعٌ لإيمان القلب؛ لذلك يُسمي بعض أهل العلم الاعتقادات: أصولًا، ويُسمي أعمال الجوارح فروعًا؛ لأنها تُبنى عليها.

قال النبي ﷺ "إِلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَاَ وَهِيَ القَلْبُ" متفق عليه، وقد قال غير واحد من السلف وأئمة السنة: (القلب ملك والأعضاء جنوده).

وهذه؛ أي: الاعتقاد والأعمال مع القول: هي الإيمان.

وينبني على صحة العقيدة وفسادها: جنة ونار؛ خلود في جهنم أو خلود في الجنة، عذاب في النار أو نجاة من النار؛ هذه العقيدة، وأول ما يُسأل العبد في قبره يُسألُ عن عقيدته؛ فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فهذا هو الأصل وأول ما يُسأل عنه العبد، ثم بعد ذلك إما عذاب أو نعيم.

وأعمال الجوارح أيضًا من الإيمان، وينبني عليها كذلك جنة ونار؛ لكن موضوعنا الآن في العقائد.

الطحاوية نسبة إلى مؤلفها وهو الطحاوي؛ وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، نسبة إلى طَحا قرية في صعيد مصر، وُلِدَ سنة تسع وثلاثين ومئتين، وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة وهو من علماء القرن الرابع.

من كتبه: شرح معاني الآثار، ومشكل الآثار، وهذه العقيدة، وله كتب أخرى، وهو فقيه ومحدث، حنفي المذهب، قالوا كان شافعيًا ثم تحول إلى المذهب الحنفي.

من شيوخه: يونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبدالله بن عبد الحَكَم، والربيع بن سليمان المرادي.

ومن تلاميذه: أبو القاسم الطبراني، وأبو بكر بن المُقرئ.

عقيدة المؤلف: هي هذه التي بين أيدينا، كان المؤلف على عقيدة المرجئة؛ مرجئة الفقهاء كحال الكثير من الأحناف تبعًا لإمامهم رحمه الله، وقد بيَّن المؤلف أنه كتبَ هذه العقيدة بناء على عقيدة رؤوس المذهب الحنفي كما سيأتي إن شاء الله.

هذه العقيدة أُخِذَ عليها أمران؛ الأول: تقرير عقيدة المرجئة وسيأتي الحديث عن هذا إن شاء الله في موضعه.

والأمر الثاني: استعمال بعض الألفاظ المجملة ونفيه لها مطلقًا دون تفصيل كما سيأتي إن شاء الله في الكلام عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات..... الخ.

وأخذوا عليه أيضًا: عدم ترتيب مباحثها؛ حيث إنه فرقها في مواضع.

المهم عندنا المآخذ العقدية؛ أما مسألة التأليف فسهلة إن شاء الله.

وهذه العقيدة اشتهرت بين أهل السنة وشرحها كثير من أهل السنة، وأيضًا يوجد من أهل البدع من يشرح هذه العقيدة على طريقته.

من أنفس الكتب التي شرحت هذه العقيدة: شرح ابن أبي العز الحنفي؛ شرحها شرحًا سلفيًا واسعًا، وكان يأخذ غالبًا من كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله، وشرحها جمع من علماء السنة، وعلق عليها آخرون؛ منهم كما ذكرنا: ابن أبي العز الحنفي، ومنهم ابن باز، والألباني، والشيخ محمد بن أمان الجامي، والفوزان- رحم الله الجميع-، وغيرهم كثير من أهل العلم شرحوا هذا الكتاب.

وهو كتاب منتشر بين أيدي أهل السنة، ولشهرته ونُصْحِ بعض العلماء طلبة العلم به؛ قررناه وشرحناه، وكي نبين أيضًا ما فيه من مآخذ حتى يكون طالب العلم على بيِّنة، وإن كان- بفضل الله- قد بيَّنها أو أشار إليها بعض علماء السنة، وحذروا مما فيها من أخطاء.

قال الطحاوي رحمه الله **(هذا ذِكْرُ بَيانِ عَقيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ)**

هذا إن كان قد كتب هذه العقيدة قبل أن يكتب المقدمة؛ تكون هذه الإشارة عائدة على العقيدة التي بين يديه مكتوبة، وإن لم تكن مكتوبة تكون هذه إشارة لما في ذهنه وما سيضعه.

قوله: **(هذا)** أي: المعتقد الذي سيذكره **(ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة)** العقيدة تقدم تعريفها

(أهل السنة) هم الذين يتمسكون بالكتاب والسنة اعتقادًا وقولًا وعملًا، ويتبعون منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، يتبعون النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، وبحمد الله السلف الصالح كانوا متفقين على عقيدة واحدة؛ هي هذه العقيدة؛ عقيدة أهل السنة والجماعة التي سيأتي بيانها.

و**السنة** تطلق عند أهل العلم على معانٍ؛ منها: ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير، ومنها الشريعة كلها؛ فتشمل الكتاب والسنة، ومنها ما يُضاد البدعة؛ لذلك نجد السلف يطلقون على كتب الاعتقاد: السنة أو أصول السنة؛ فتجد أهل السنة يقولون عن كتب الاعتقاد: هذا كتاب السنة؛ أصول السنة، صريح السنة، الشريعة، الإيمان؛ هكذا يطلق علماء السلف رضي الله عنهم الكلام في تسمية العقيدة.

وأما **(الجماعة)** فسموا بـ: (أهل السنة والجماعة)؛ لأنهم يتمسكون بالسنة ويجتمعون عليها- أي: أهل الاجتماع-، ولا يفترقون؛ لأنهم يتبعون ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان.

والاتباع يمنع الافتراق والاختلاف؛ فعقيدة السلف مقررة مبسوطة واضحة، فإذا اتَّبع الشخص؛ أخذ وسلَّم، بينما إذا أعمل عقله؛ شطح بعقله يمنة ويسرة، فالآراء تختلف والعقول تضطرب، ولا يلزم أن تجتمع كما نرى، فلذلك من اتخذوا عقولهم أصولًا وجعلوها طريقًا توصلهم إلى العقائد؛ تفرقوا وتمزقوا وتقاتلوا وتناحروا بسبب هذا؛ لأن الآراء تختلف، والعقول لا تجتمع، بينما الاتباع؛ يجمع أهله على الحق؛ فهم أهل سنة وجماعة.

فإذن كل من يُسمي نفسه من أهل السنة والجماعة؛ نعرضه على حقيقة الاسم؛ هل هو متبع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أم لا؟ هل هو مجتمع مع أهل الحق على هذه العقيدة أم لا؟ وبهذا يظهر الصادق من الكاذب.

ولأهل السنة والجماعة تسميات أخرى؛ منها: أهل الحديث، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والسلفيون؛ كلها أسماء لجماعة واحدة؛ وهم الذين اجتمعوا على عقيدة أهل السنة والجماعة واتبعوا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم؛ فالمؤلف رحمه الله يريد أن يذكر عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال: **(على مَذْهَبِ فُقَهاءِ المِلَّةِ: أبي حَنيفَةَ النُّعْمانِ بنِ ثابتٍ الكوفي، وأبي يوسُفَ يَعقوبَ بنِ إبراهيمَ الأنصاريِّ، وأبي عبدِ الله محمدِ بنِ الحَسَنِ الشَّيبانيِّ رضوان الله عليهم أجمعين، وما يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العالمين)**

قوله: **(على مذهب فقهاء الملة)** الفقيه: هو العالم بالشريعة؛ إما بالشريعة كلها، أو بالأحكام العملية خاصة؛ الذي يسمى اليوم بالفقه، و**(الملة)** هي الدين؛ والمراد: فقهاء الدين الإسلامي.

ثم بيَّن من هم هؤلاء- فقهاء الدين الإسلامي- الذين يريدهم، وهذه عقيدة من؛ فقال: **(أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي)** هذا الأول، **(وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني)**؛ هؤلاء الثلاثة هم الذين عناهم.

إذن الطحاوي رحمه الله يريد أن يذكر لنا في هذه العقيدة عقيدة هؤلاء الثلاثة والتي يتبناها هو أيضًا.

من هم هؤلاء الثلاثة؟ وما هي عقيدتهم؟

أما أبو حنيفة؛ فهو إمام المذهب الحنفي، اسمه: النعمان بن ثابت بن زوطة الكوفي، مولى بني تيِّم الله، يُقال بأن أصله من كابل، وقيل غير ذلك، ولد سنة ثمانين هجرية وتوفي سنة مئة وخمسين هجرية، روى عن كبار التابعين، ويقال بأنه رأى أنس بن مالك، فلم يروِ عن أحد من الصحابة؛ روايته عن كبار التابعين، وروى عنه جمع، وأثنى عليه جمع من العلماء.

وقد أخذ بعض علماء السلف على أبي حنيفة أشياء، هنا من أجل بيان عقيدة أبي حنيفة رحمه الله، ولسنا في موضع جرح ولا تعديل؛ إنما في بيان العقيدة التي كان عليها أبو حنيفة، في بيان ماذا كان يعتقد حتى نعلم.

المؤلف هنا يقول أن هذه العقيدة التي قررها في الطحاوية هي عقيدة أبي حنيفة، والعقيدة التي قررها هنا أُخذ عليها ما ذكرنا بداية؛ فالمؤلف يقرر عقيدة الإرجاء في هذه العقيدة، إذن

هو يثبت على هؤلاء الثلاثة أنهم على عقيدة الإرجاء، كما مشى هو أيضًا على هذا، هذه إحدى المآخذ التي أخذت على أبي حنيفة كما سيأتي إن شاء الله.

ويوجد أشياء أخرى لا يُقِرُّها المؤلف؛ منها- مثلًا-: قال علماء السلف أن أبا حنيفة أُستُتيب من الكفر مرتين أو ثلاث مرات، ويعنون بذلك أنه كان يقول القرآن مخلوق ونقلوا عنه هذا، وذكروا أنه قال القرآن مخلوق، وذكر الإمام أحمد وغيره أنه كان جهميًّا- هذا الكلام في أبي حنيفة رحمه الله-، وأقوال السلف كثيرة، حتى نقل بعضهم الإجماع على ذلك؛ أن أبا حنيفة كان جهميًّا.

من كلام المؤلف هنا في الطحاوية أنه لا يُقِر بهذا، ولا يُثبت على أبي حنيفة أنه كان جهميًّا، ودافع عنه بعض أهل العلم وقالوا لم يكن جهميًّا، ونقلوا عنه أنه لم يقل بأنّ القرآن مخلوق، هذا موجود أيضًا؛ نذكر ما قيل هنا وما قيل هنا.

ربما تقول: أنّ له أكثر من قول في المسألة مرة قال هكذا ومرة قال هذا؛ هذا ممكن.

وعلام مات؟

قال تلميذه أبو يوسف- وهذان اللذان ذكرهما المؤلف مع أبي حنيفة تلميذا أبي حنيفة؛ أخص تلاميذ أبي حنيفة، وهما مجتهدان في الفقه، ولهما آراء فقهية معتمدة في المذهب عند الأحناف- نقل أبو يوسف عن أبي حنيفة أنه مات جهميًّا.

أنت كطالب علم ما موقفك ناحية هذا؟

طبعًا إذا أردت أن ترجع؛ ترجع لكتاب عبدالله بن الإمام أحمد "السنة"، تكلم عن هذه المسائل، وذكرها هناك ونقل عن أئمة السلف رضي الله عنهم هذا الكلام.

الخطيب البغدادي في ترجمة أبي حنيفة في تاريخ بغداد ذكر هذا الكلام أيضًا بأسانيده، وكذلك ابن أبي شيبة عقد كتابًا في آخر مصنفه عن أبي حنيفة، ولشيخنا الوادعي رحمه الله كتاب: "نشر الصحيفة فيما صحَّ من الكلام في أبي حنيفة".

ما موقفي أنا كطالب علم؟

أنا طالب علم أريد أن أصل إلى الصواب، إلى الحق، هل كان أبو حنيفة فعلًا جهميًّا؟ أم كان على عقيدة أهل السنة والجماعة على الأقل في الأسماء والصفات؟ كلامنا الآن هنا، المؤلف لا يُثبت أنه كان جهميًّا، وحتى مسألة خلق القرآن هنا يذكرها ويُقررها على عقيدة أهل السنة والجماعة وليس على عقيدة الجهميَّة، ما الذي مات عليه أبو حنيفة؟ وهل فعلًا أُستُتيب من الكفر مرتين أو ثلاثة؟ وهل فعلًا كان يقول بقول الجهمية أم لا؟

أنت كطالب علم مرادك هو الوصول إلى الحق في هذه المسألة؛ فتذهب إلى الكتب التي ذكرت هذه الأقوال بالأسانيد، وتنظر هل ذُكرت هذه المسائل بأسانيد صحيحة عنه، هل ثبت عنه بأسانيد صحيحة أنه يقول القرآن مخلوق؟ وهل مات على ذلك أم تاب منه أم لا؟ هذا الذي يهمك الآن.

ما الذي نريده ويهمنا في كل هذا؟

نريد أن نعرف هل أبو حنيفة كان على عقيدة أهل السنة أم لا؟ من أجل أن نعرف هل نستطيع أن نستأنس بأقواله كما نستأنس بأقوال أئمة السلف في مسائل العقيدة أم لا؟

يعني الآن كثير من الناس عندما تقول له هذه عقيدة السلف؛ يأتيك مباشرة بقول عبد الله بن المبارك، قول الإمام مالك، قول الإمام الشافعي، يقول لك هذا من السلف ويقول كذا

وكذا، كذلك هنا الآن؛ هل نفعل هذا كذلك مع أبي حنيفة رحمه الله، أم كان جهميًّا لا يؤخذ بقوله في مسائل العقيدة؟! هذا الذي يهمنا الآن.

فترجع أنت- كونك طالب علم تريد الحق، ولا تريد أن تقلد أحداً في هذه المسألة- ترجع إلى هذه المراجع الأصلية وتبحث في الأسانيد وتنظر ما صح وما ضعف، وتأخذ بالصواب في هذه المسألة، ومع هذا فالعلماء عندهم حكمة في التعامل مع مثل هذه المسائل، يعني حتى لو رجعت إلى المصادر وترجَّح عندك أن أبا حنيفة مات على العقيدة الجهمية؛ لا تنشر هذا الكلام أمام عامة الناس وتقول لهم: أبو حنيفة كان كذا وتُهاجم؛ هذا غلط؛ لأن كثيراً من عامة الناس صورة أبي حنيفة في نظره أنه إمام كبير، فإذا قلت لهم: كان جهميًّا؛ يتعاظمون هذا الأمر؛ خاصة الذي يعرف معنى الجهمي ومعنى السني... إلخ؛ بل بعضهم ربما يترك حتى عقيدة أهل السنة والجماعة حتى وإن كانت حقاً؛ لأجل التعصب لفلان وعلّان، فلذلك لا تفتنه أنت بهذا؛ لكن تُبيِّنُ له عقيدة أهل السنة والجماعة وتُبين له أئمة السنة وتحثه على اتباع الحق والأخذ بكلام أهل العلم من أهل السنة؛ هذه الحكمة في طريقة التعامل مع الناس في مثل هذه المسائل.

هذا الكلام ليس في أبي حنيفة وحده؛ هذا الكلام في الرجال، عندما تأتي عند شخص يُعظِّم آخر، وأنت تعرف أن هذا الآخر ليس على الجادة؛ فأول ما تُكلِّم هذا الشخص تكلِّمه في السنة؛ تبين له السنة، تبين له التوحيد، تبين له كيف يعرف الحق من الباطل، تبين له أنه يوجد سنة ويوجد بدعة ويوجد كذا؛ إلى أن يستوعب هذا الأمر، بعد ذلك؛ تبين له أحوال الرجال؛ من الذي يأخذ عنه ومن الذي لا يأخذ عنه، وهذه الطرق التي نتحدث عنها

يتعامل بها الكثيرون؛ حتى أهل الباطل عندما يريدون أن يحذروا من صاحب سنة؛ يتعاملون بهذه الطرق.

فأنت تكون حكيمًا في دعوتك وفي طريقة إيصال الحق للناس، التحذير المستعمل اليوم عند كثير من الشباب في المواقع وغيرها؛ أسلوب لا تحصل الغاية المقصودة منه؛ إنما تحصل مفسدة؛ فيأتي عند شخص من عامة الناس لا يعرفه أصلًا ولكنه يعرف شخصًا معظمًا عنده ويظنه إمامًا من أئمة الإسلام، ويأتي ويحذره منه، لا بيان حُجة ولا شيء؛ إنما قال فلان كذا، وربما هو لا يعرف فلانًا أصلًا، ويحذره من أهل البدع، هو لا يعرفك أنت أصلًا، ولا يعرف من استدللت بقوله أصلًا، ولا ذكرت له دليلًا، كيف تريده أن يتبعه؟!، وكيف تريد أن يستفيد من قولك؟! بالعكس هو مباشرة سيحذر منك وممن ذكرته معك، ماذا استفدنا؟ ما استفدنا شيئاً.

استعمال الحكمة في مخاطبة الناس مطلوب قد أُمرت به؛ أُمرت بالدعوة بحكمة، بعلم.

على كل نحن هنا الآن نترك لطالب العلم أن يُحقق هذه المسألة لنفسه إذا احتاج إليها؛ هل ثبت على أبي حنيفة أنه قال بقول الجهمية في مسألة خلق القرآن وغيرها أم لا؟

طبعًا أنا ذكرت لكم طريقة البحث؛ تذهب إلى الكتب التي ذكرت هذه الأشياء وهل ثبت عنه القول بأن القرآن مخلوق؟ وإن ثبت عنه القول بأن القرآن مخلوق وثبت عنه القول بأنه غير مخلوق، فعلامَ مات؟ وما الذي استقرَّ عليه الأمر؟ هذا الأمر تركز عليه.

المأخذ الثاني: القول بالإرجاء؛ وهذا يُقِرُّهُ المؤلف ويذكره، والكثير من الأحناف تجدهم على عقيدة الإرجاء لهذا السبب؛ لأنه قول إمامهم، وهذا ثابت عنه، وهذا الذي يسميه علماء السلف: إرجاء الفقهاء أو مرجئة الفقهاء؛ هؤلاء الفقهاء المقصودون: أهل الرأي.

الأمر الثالث الذي ذكروه في أبي حنيفة من ناحية حديثية لا من ناحية عقائدية: أنه كان ضعيفًا في الحديث.

الأمر الرابع: تقديم الرأي على النص؛ وهذا الأمر الذي ركَّز عليه ابن أبي شيبة في آخر المصنف، وذكروا له بأسانيدهم هناك الكثير من الآراء التي خالفت النصوص الشرعية، والإمام البخاري في "صحيحه" يكثر من الرد على الأحناف في تبويباته، وإن كان لا يُصَرِّح بهم.

لكن هنا أمر: هل كان أبو حنيفة يصله النص الشرعي ويَصِّح عنده ثم يخالفه عمدًا؟

هذا الذي نريد أن نُحققه، البعض يتهمه بهذا؛ يقول: نعم كان يصله النص الصحيح الصريح ويرده إلى الرأي ويأخذ الرأي؛ لذلك ذمه وتكلَّم فيه، والبعض قال: لا هو كان يُخالف النص إذا لم يرده النص أو لم يَصِّح عنده النص، هذه المسألة أنت كطالب علم تحتاج إلى تحريرها لمعرفة الصواب فيها.

المسألة الخامسة التي أخذت عليه: خروجه على السلطان؛ أنه كان يرى السيف؛ أي: أنه كان يرى رأي الخوارج في مسألة الخروج على السلطان؛ وهذا قاله أبو يوسف تلميذه؛ قال: كان يرى السيف، وهذا ثابت عن أبي يوسف، وذكروا أشياء أخرى أُخِذَتْ على أبي حنيفة رحمه الله.

لكن الأشياء التي أقرَّ بها الطحاوي هنا؛ هي مسألة الإرجاء فقط، أما الخروج على السلطان أو أنه يرى السيف- هنا في هذه العقيدة التي نسبها لأبي حنيفة- لا يرى هذا، وكذلك التجَهُّم لا يراه، أما الإرجاء؛ فمقرر.

هذا كطرح؛ طرحنا لكم ما قال العلماء في أبي حنيفة، ولتحرير المسألة؛ ترجعون إلى المصادر، أنتم طلبة علم الآن؛ ترجعون إلى المصادر وتبحثون وتنظرون بأنفسكم، ولكن مع ذلك من ترجَّح عنده ثبوت هذه الأشياء؛ فليكن حكيمًا في مخاطبة الناس ولا يكن فتنة عليهم.

وأما أبو يوسف؛ فهو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري القاضي، وهذا تلميذ أبي حنيفة ومن أشهر تلاميذه، ولعله أشهرهم، وهو قريب منه وأخذ عنه مباشرة.

ولد سنة ثلاثة عشر ومئة، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومئة هجرية، كان فقيهًا عالمًا، لم يكن متعصبًا رحمه الله، وهو وإن كان على مذهب أبي حنيفة؛ إلا أنه ليس متعصبًا للمذهب الحنفي؛ لذلك له آراء تخالف ما كان عليه أبو حنيفة رحمه الله.

قال الطبري رحمه الله فيه: (تحامى حديثه قوم من أهل الحديث؛ من أجل غلبة الرأي عليه) يعني ما أخذوا عنه الحديث؛ لأنه كان يفتي بالرأي، لأنه كان من أهل الرأي.

قال: (وتفريعه الفروع والمسائل في الأحكام، مع صحبة السلطان، وتقلده القضاء).

إذن هي ثلاثة أشياء، لماذا كانوا يبتعدون عن حديثه؟ لثلاثة أشياء ذكرها:

الأول: من أجل غلبة الرأي عليه؛ يعني يفتي بالرأي؛ القياس وما شابه في المسائل الشرعية.

الأمر الثاني: أنه يدخل على السلطان ويُصاحب السلطان؛ وهذا أمر كان مذمومًا عند السلف رضي الله عنهم.

الأمر الثالث: تقلده القضاء. انتهى؛ هذا ما أُخِذَ عليه.

أما الأولى؛ وهي غلبة الرأي عليه؛ فمتى تُذَم هذه؟

تُذّم إذا قدَّم الرأي على النص، إن ثبت هذا عنه عندئذ يكون هذا مذمومًا، أما إن أفتى بالرأي لحاجته للفتوى ولم يكن عنده كتاب ولا سنة ولا إجماع، ولا خالف في فتواه ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من إجماعهم أو التابعين؛ فهنا لا يُذَم على هذا، الأمر كما قال الإمام الأوزاعي- انتبهوا لقولة الأوزاعي هذه التي قالها في أبي حنيفة-؛ قال: (إنا لا ننقم على أبي حنيفة أنه رأى، كلنا يرى؛ ولكننا ننقم عليه أنه يجيئه الحديث عن النبي ﷺ فيخالفه إلى غيره).

فهنا الأوزاعي يُبَيِّن لك متى يُذّم صاحب الرأي- المفتي بالرأي- ومتى لا يُذَم، قال: (كلُّنا يرى) لكن متى يُذَم؟ إذا قدَّم الرأي على النص؛ إذا جاءه النص؛ وترك النص إلى الرأي، فإن ثبت هذا على أبي يوسف؛ قلنا هذا ذَمٌّ له، لكن الظاهر أنه لم يثبت عنه؛ لأن بعض السلف قد ذكروا أنه صاحب سنة، وصاحب السنة لا يفعل هذا.

أما دخوله على السلطان؛ فهذا لا شك أن السلف رضي الله عنهم كانوا يذمون من يفعل ذلك؛ لأن في دخوله على السلطان فتنة على دينه.

والدخول على السلطان كان عند العلماء على نوعين؛ نوع من أجل المداهنة، من أجل نيل الدنيا منهم؛ فيفتن نفسه، ويصاب بالفتنة في دينه؛ فهذا الذي ذمَّه السلف.

ونوع آخر: يدخل على السلطان من أجل مناصحة السلطان ولقول كلمة الحق عنده؛ فهذا ممدوح.

أما تقلد القضاء؛ فربما يكون مذمومًا وربما يكون ممدوحًا أيضًا؛ كيف؟

إذا كان تقلده للقضاء من أجل الدنيا؛ فهذا مذموم، إذا طلبه وأراده وحَرَص عليه مع وجود من يقوم به غيره؛ هذا مذموم، أما إذا وَجَبَ عليه- وقد يَجِبُ القضاء عليه إذا لم يكن هنالك من يَسُد هذا الواجب الكفائي-؛ فهنا يكون ممدوحًا وليس مذمومًا.

وأبو يوسف كان يَذُم علم الكلام ولا يقول بقولهم ولا يقول بالإرجاء، والمؤلف هنا يعزو إليه أنه يقول بالإرجاء؛ مع أن أبا يوسف قد تبرأ من الإرجاء صراحة؛ فلم يكن من المرجئة، ولم يكن يرى السيف وقد تبرأ من هذا؛ بل قالوا: كان صاحب سنة، وقالوا: كان سليما من التجهُم، برؤوه من هذا صراحة.

ولم يذكر المؤلف التجهم هنا عن أبي يوسف، ولكن ذكر الإرجاء؛ ولا يَصِّح هذا عن أبي يوسف؛ فأبو يوسف- صاحب أبي حنيفة يعقوب- كان صاحب سنة، كانت عقيدته سنية، وكان يحب أهل الحديث، قال يحيى بن معين: (كان أبو يوسف القاضي يحب أصحاب الحديث ويميل إليهم).

وأما في الحديث فقد ضعَّفه بعضهم ووثَّقه آخرون.

بعد أن ذكر ابن عبد البر كلام الطبري قال: (كان يحيى بن مَعين يُثني عليه) على أبي يوسف (ويُوَثقه، وأما سائر أهل الحديث؛ فهم كالأعداء لأبي حنيفة وأصحابه) انتهى كلامه.

لماذا كانوا كالأعداء لأبي حنيفة وأصحابه؟ من هم أصحاب أبي الحنيفة؟ هم أهل الرأي.

وكان عند السلف رضي الله عنهم- هذا الكلام في القرون الثلاثة الأولى القرون الفاضلة بعد عهد الصحابة- كان العلماء: منهم أهل حديث، ومنهم أهل رأي.

أهل الحديث هم الذين تمسكوا بالحديث؛ ما هو الحديث؟

كثير منكم يذهب إلى قول الرسول ﷺ؛ لا؛ الحديث أعم من هذا، أهل الحديث هم أهل القرآن والسنة، أهل القرآن والسنة هم أهل الحديث {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [الزمر:٢٣]؛ فالقرآن يسمى حديثًا، كما قال اللالكائي في "شرح أصول أهل السنة والجماعة" في بداية كتابه، لمّا فسر أهل الحديث؛ فسَّره بالقرآن والسنة؛ أهل القرآن والسنة.

أهل الرأي لماذا هم أهل الرأي؟ لأنهم يأخذون بالرأي؛ بالقياس بالعقل؛ يعرفون الأحكام الشرعية بالعقل، ويأخذونها بالعقل، أما أهل الحديث؛ فيأخذونها من الكتاب والسنة، وهذا الفرق بين هؤلاء وهؤلاء.

لماذا كانت بينهم كالعداوة؛ كما قال ابن عبد البر؟

لأنهم ينكرون إنكارًا شديدًا على الذي يترك الأدلة الشرعية ويذهب إلى الرأي، كما ذكرنا عن الأوزاعي، فما ذكره الأوزاعي هو قاعدة؛ متى نستعمل الرأي؟ ومتى يُمدح ومتى يُذم من استعمل الرأي؟

فأهل الحديث كانوا يرون من أهل الرأي توسعًا في استعمال الرأي وردًّا لبعض النصوص من أجل الرأي؛ لذلك كانوا يذمونهم ويحذرون منهم، وكانت بينهم كالعداوة كما قال ابن عبد البر، وحين تقرؤون- إن شاء الله- كتب السلف وكلام السلف؛ يتضح لكم هذا الأمر.

لكن هل جميع أهل الرأي على هذا؟

لا طبعًا، كما ذكرنا لكم أبو يوسف كان صاحب سنة وكان من أهل الرأي- يستعمل الرأي-، ربيعة الرأي شيخ مالك كان صاحب سنة، وكان يستعمل الرأي؛ لكنه ليس على طريقة أولئك الذين يردّون النصوص من أجل الرأي؛ فهنا يُذَم صاحب الرأي.

وأهل الحديث بينهم وبين أهل الرأي كالعداوة كما قال، من أهل الحديث طبعًا الإمام الشافعي والإمام مالك والإمام أحمد وغيرهم من أئمة السلف كثير، كل هؤلاء من أهل الحديث؛ لأنهم كانوا على طريقة أهل الحديث.

كيف تعرف أهل الرأي من أهل الحديث؟

أهل الحديث يبنون أحكامهم على القرآن والسنة وعندهم معرفة بالحديث، أما أهل الرأي ليس لهم اجتهاد واهتمام كثير بأحاديث النبي ﷺ؛ لذلك تجد لهم أقوالاً كثيرة تخالف النصوص الشرعية ويتوسعون في الرأي.

وكما ذكرت لكم ليسوا جميعًا يُذَمُّون، إنما الذي يُذَم هو الذي عُرِف بطريقته من ترك الكتاب والسنة، أو عدم الاعتناء بالسنة ومعرفتها، والاشتغال فقط بالرأي؛ لذلك يقع في مخالفة الكتاب والسنة، وبعضهم كان يتعمد مخالفة السنة؛ هنا يُذَم صاحب الرأي.

هما مدرستان قديمتان بينهما كالعداوة لأجل هذا السبب الذي ذكرنا؛ ما كان أهل الحديث الحمد لله أصحاب هوى، ولا يتكلمون في الناس ولا يُحذرون منهم بالهوى؛ إنما بالأدلة، انظر إلى أبي يوسف صاحب رأي؛ لكن بعض أهل الحديث أثنوا عليه وقالوا صاحب سنة، عندهم إنصاف في الحكم على الرجال.

وكما ذكرنا؛ فأهل الحديث هم أهل الكتاب والسنة، بعض المتأخرين يطلق أهل الحديث ولا يُريد بهم هؤلاء؛ وإنما يُريد المشتغلين بالحديث؛ فتنبه لهذا.

في زماننا المتأخر عَقَد طوائف من أهل البدع اجتماعًا، اجتمعوا في بعض البلاد وخرجوا بقرار بأن أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة، والماتُريدية، وأهل الحديث من الأشاعرة- انظر كيف

انتحال الأسماء-، وأخرجوا أهل السنة منهم، الآن السلف سموا نفسهم أهل السنة والجماعة؛ كي يفترقوا عن أهل البدع.

وهنا بالمناسبة أذكر أمرًا مهمًا؛ وهو: يوجد بعض الناس يقول: لا تقل أهل سنة وجماعة وتقول كذا وكذا، نحن مسلمون فقط.

هذا الكلام يا أخي الكريم- لو كنت تعقل- يصِحُّ قبل أن يكون هناك أهل بدع، ويفرقوا جمع هذه الأمة، وقتها كان يكفيك أن تقول أنا مسلم؛ لأن كل المسلمين على عقيدة واحدة وعلى منهج واحد، والحق بيِّن والحمد لله.

لكن بعد أن جاء أهل البدع ببدعهم وفرقوا الأمة ووالوا وعادوا على البدع التي أتوا بها؛ كيف تستطيع بعد ذلك أن تقول أنا مسلم وتسكت؟ كيف تفترق عن هذا الضال الذي يريد تغيير دين الله وأحدث فيه ما ليس منه وأراد إضلال عباد الله، وأحدث فِرقة جديدة؟ والنبي ﷺ قال: "سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ".

كيف ستميِّز بين هذه الفِرق وتعرف الحق من الباطل؟ إذا قلت: أنا مسلم، والجهمي يقول: مسلم، والمعتزلة يقول: أنا مسلم، والخارجي يقول: مسلم، والمرجئ يقول: مسلم؛ كيف ستعرف الحق من الباطل؟ وكيف ستفرق أهل الحق عن أهل الباطل، وكلهم يقولون: أنا مسلم؟ ويوالي ويُعادي كل منهم على عقيدته وعلى منهجه الذي هو سائر عليه؛ هذا كلام باطل، هذا كان يسعنا قبل أن توجد هذه الطرق والفِرَق، نعم نقول أنا مسلم وانتهى، ونحن نحب هذا ونريده، لكن خَلِّصنا من هذه الفِرَق والطوائف، واجعلهم يرجعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ، ونتفق على أن نرجع لكلمة مسلم وينتهي الأمر.

لكن لمّا صار هناك أهل بدع وأهل ضلال ويُغَيِّرون ويُحرفون في دين الله، ماذا أرادوا؟ أرادوا التمييز، كما قال محمد بن سيرين (كنا نأخذ عن كل أحد، فلما ركب الناس الصعب والذلول؛ قلنا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة؛ فيؤخذ حديثهم، ويُنظر إلى أهل البدع؛ ويُترك حديثهم)، أرأيت! لا بُد من التفريق حتى نعرف عَمَّن نأخذ، ومَنْ نترك؛ هذه الطريقة السابقة.

فلما لاقت كلمة أهل السنة والجماعة قبولًا عند الناس، ونفر الناس عن أهل البدع أراد؛ أهل البدع أن يأخذوا هذه الكلمة لأنفسهم؛ فصاروا يحشرون أنفسهم في أهل السنة بداية، الأشاعرة الآن يقولون أنهم من أهل السنة! من أين لهم من أهل السنة، هم عندما يُقررون عقيدتهم؛ هل يقررونها بالسنة أم يُقررونها بالعقل؟ يُقررونها بالعقل، وهم مُقرون بهذا، فكيف هم من أهل السنة؟!

الصوفي عندما يبتدع في دين الله بدعًا كالرقص والشرك وعبادة الأوثان وغير ذلك من البدع والخرافات؛ هل قرر ذلك بالكتاب والسنة أم يقرره بعقله وبهواه؟ كيف نسمي هذا أهل السنة؟ وهم يسمونه أهل سنة!

ثم أخذوا الاسم لأنفسهم؛ فقالوا: نحن أهل السنة والجماعة، وأخرجوا أهل السنة من أهل السنة والجماعة؛ هكذا قرروا في مؤتمرهم؛ أخرجوا أهل السنة من أهل السنة والجماعة، فقسموا أهل الحديث إلى قسمين؛ قالوا: أهل الحديث: منهم من هم مِن أهل السنة ومنهم من ليس من أهل السنة.

من هم من أهل السنة؟

أهل الحديث الذين يعنونهم: هم الأشاعرة وغيرهم ممن اشتغل بالحديث، ويعنون بأهل الحديث الذين اشتغلوا بالحديث.

أهل الحديث ليسوا الذين اشتغلوا بالحديث؛ بل أهل الحديث هم الذين اتبعوا الحديث، اتبعوا الكتاب والسنة؛ حتى لو لم يشتغل بالحديث تصحيحًا وتضعيفًا.

الإمام الشافعي رأس من رؤوس أهل الحديث وكان أكثر تخصصه في الفقه، ومع ذلك هو إمام عند أهل الحديث، وغيره كثير مَنْ هو مِنْ أهل الحديث هو الذي يحمل عقيدة أهل الحديث أهل السنة والجماعة، يحمل عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم ومنهجهم؛ هذا هو الذي يكون من أهل الحديث.

هم قالوا: أهل الحديث ينقسمون إلى قسمين؛ فأخرجوا أهل الحديث الحقيقيين من أهل السنة والجماعة، وأدخلوا فقط من اشتغل بالحديث من الأشاعرة والصوفية وغيرهم، وهذا باطل كله، وهذه كلها دعاوى والدعوى سهلة، كل واحد يستطيع أن يَدَّعي ما يشاء لكن الحكم لمن؟ الحكم للأدلة، هذه أدلة الكتاب والسنة وكتب السلف الصالح رضي الله عنهم، وأهل السنة والجماعة الذين كانوا في السابق والذين قرروا العقيدة وقرروا المنهج، نعرض منهجنا وعقيدتنا على ذاك، واعرضوا أنتم عقيدتكم ومنهجكم عليه ثم نحتكم.

ما رأيكم؟ ما عندكم شيء.

هذا ما أردنا أن نذكره في درسنا اليوم، بقي آخر شيء ننبه عليه قبل أن ننتهي، فقد نسينا أن نذكر محمد بن الحسن.

محمد بن الحسن هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاه الكوفي صاحب أبي حنيفة، ولد بواسط ونشأ بالكوفة، أخذ الفقه عن أبي حنيفة وأبي يوسف القاضي، روى عن أبي حنيفة ومِسعر ومالك بن مغول والأوزاعي ومالك بن أنس، روى عنه الشافعي وأبو عُبيد وغيرهما، ولد سنة مئة واثنتين وثلاثين، وتوفي سنة مئة وتسع وسبعين، أثنى عليه العلماء في الفقه والذكاء، قالوا: كان فقيهًا وكان ذكيًا، أما في العقيدة؛ فقال غير واحد: كان جهميًّا يقول بخلق القرآن، وكذلك يقول بالإرجاء، وضعفوه في الحديث وكذبه بعضهم.

هذا ما قيل فيهم في العقيدة وغيرها، ومن أراد التوسع؛ يقرأ ترجمتهم في تاريخ بغداد، وأيضًا في كتاب عبد الله بن الإمام أحمد في السنة، وفي غيره من الكتب في التراجم.

وكما ذكرنا نفى بعضهم عنهم بعض ما قيل فيهم. والله أعلم.

ثم قال المؤلف في النهاية: **(وما يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العالمين)** يعنون بقولهم (أصول الدين) العقيدة؛ فيقسم بعض العلماء الدين إلى أصول وفروع؛ فيجعلون أصول الدين هي العقيدة، والفروع هي الأحكام الفقهية.

هذا ما أردنا أن نذكره في درسنا اليوم، ونكتفي اليوم بهذا القدر والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس الثاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

فنحن اليوم في الدرس الثاني من دروس شرح العقيدة الطحاوية، ونبدأ- مستعينين بالله تبارك وتعالى- بمادة الكتاب.

قال المؤلف -رحمه الله-: **(نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ- مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ-: إِنَّ اللهَ واحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ)**

قوله: **(نقول)** من هم الذين يقولون؟

المؤلف يتحدث عن نفسه وعمن ذكرهم في المقدمة من أئمة الأحناف، وذَكَرَ أنه اعتقاد اهل السنة والجماعة؛ فالمؤلف رحمه الله ينقل ها هنا قوله وقولهم، وينسبه إلى أهل السنة والجماعة في مسألة توحيد الله؛ فقال: **(نقول في توحيد الله)** أي: نقول نحن- أي: الذين ذكرنا- في هذه المسألة؛ مسألة توحيد الله.

ما معنى توحيد الله؟

تقدم معناه، وعرفنا معنى كلمة التوحيد؛ وهي من: (وَحَّدَ، يُوَحِّدُ، توحيداً؛ إذا جعل الشيء واحداً)؛ فتوحيد الله؛ هو: أن تجعل الله سبحانه وتعالى واحداً في كل ما يختص به تبارك وتعالى؛ فيكون هذا الشيء خاصّاً بالله؛ فلا تجعل معه شريكاً فيه.

وقد عرف أهل العلم هذه الأشياء؛ وأنها خاصة بالله، وقسموها إلى أقسام؛ بناءً على التتبع والاستقراء؛ فنظروا في الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، واستقرؤوها؛ فخرجوا بهذه النتيجة؛ وهي أن توحيد الله- أي: إفراد الله تبارك وتعالى- يكون بأقسام ثلاثة:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

هذه أقسام التوحيد التي دلّت عليها أدلة الشرع من الكتاب والسنة، وقد عرفنا هذا بالاستقراء، ودليل الاستقراء دليل شرعي صحيح، وقد تحدّث عنه العلماء في أصول الفقه، والمفروض أنه قد مرَّ بكم، وعليه دليل في الشرع يدل على صحته؛ ومحله في كتب أصول الفقه.

إذن يكفينا هنا أن نقول بأن الدليل على هذا التقسيم: هو الاستقراء.

وهذه الأقسام الثلاثة ذُكِرتْ في آيات كثيرة في كتاب الله تبارك وتعالى، وقد جُمعت في آية واحدة في سورة مريم في قول الله تبارك وتعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم:٦٥].

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}: هذا توحيد الربوبية.

{فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}: هذا توحيد الألوهية.

{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}: هذا توحيد الأسماء والصفات.

والآيات في هذا كثيرة كقوله تبارك وتعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف:٥٤]؛ ألا لله وحده الخلق كله؛ فمن خالق غيره؟ وله الأمر وحده، قال أهل العلم: {ألا له الخلق} الذي صدرت عنه جميع المخلوقات؛ فالخلق يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وقال بعض أهل العلم بأن الأمر يدخل فيه التدبير.

والمقصود **بتوحيد الربوبية:** إفراد الله تبارك وتعالى بالخلق والملك والتدبير؛ فمعنى توحيد الربوبية: اعتقاد أن الله واحد في أفعاله؛ التي منها: خلقه، ومنها رزقه، وإحياؤه، وإماتته، والنفع، والضر، والتدبير؛ فأمر الكون بيده تبارك وتعالى، هو وحده المتصرف فيه؛ هذا معنى توحيد الربوبية؛ توحيد الله بأفعاله سبحانه، {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: ٦٢]، {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} [يونس:٣].

وهذا النوع من التوحيد قد أقرّ به المشركون عُبّاد الأوثان؛ لذلك جاء في كتاب الله تبارك وتعالى ما يدل على أن الكثير من المشركين كانوا يُقرّون بهذا النوع من التوحيد؛ {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان:٢٥]؛ سبحانه وتعالى، {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [يونس:٣١]، إذن كانوا يُقرّون بهذا التوحيد، ولكن أكثرهم كان يشرك في النوع الثاني من التوحيد؛ وهو توحيد الألوهية.

توحيد الألوهية: هو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة؛ ويسمى توحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله؛ يسمى توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته للخلق؛ يسمى توحيد العبادة؛ فالمستحق للعبادة هو الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} [لقمان:٣٠]، {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء:٣٦]، {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء:٢٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فهذا هو الأصل الذي بُعث به الأنبياء لأقوامهم؛ لأن شرك أقوامهم كان في هذا النوع من التوحيد؛ فكانوا يعبدون مع الله غيره؛ لذلك كان قول الكثير من الأنبياء عندما بُعثوا إلى

أقوامهم: {يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف:٦٥]؛ فكثير من الأنبياء قال هذه الكلمة لقومه، والنبي ﷺ لمّا بُعث إلى كفار قريش وغيرهم من العرب والناس كان يقول لهم في أول دعوته: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، فلمّا سمعوا هذه الكلمة؛ قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص:٥] فكانوا يتعجبون من هذا، مع أنهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية- كما تقدم-، فكان أكثر شرك أهل الأرض والذين بُعث إليهم الأنبياء في هذا الجانب؛ في هذا النوع من التوحيد.

هذه المسألة نحن نركز عليها كثيراً؛ لأنها سبب الخلاف بيننا وبين أقوام آخرين سيأتي ذكرهم، خالفونا في هذه المسألة؛ فكان تركيزهم على توحيد الربوبية، حتى أهملوا هذا النوع من التوحيد؛ فنتج عن ذلك فساد عريض في الأرض، ورجع الكثير من الناس إلى عبادة الأوثان بسبب هذه العقيدة عند الكثير من العلماء الذين ينتسبون إلى هذه الأمة؛ أمة الإسلام، وسيأتي ذِكر الأقوام الذين ينتهجون هذا المنهج ويخالفوننا في هذه المسألة، فهي مسألة عظيمة؛ وهي: أن تعلم أنواع التوحيد، وأن تعلم أصل شرك المشركين، وكيف كان أكثره؛ فلا بُدّ أن تعرف حال الأوائل، ولماذا بُعثت إليهم الرسل؛ حتى تعرف الفارق وأين تُرَكِّزُ دعوتك.

فهذا التوحيد هو الذي بُعثت به الرسل؛ لأن شرك أقوامهم كان فيه، ولم يكن في الربوبية؛ وهذا الغالب على أهل الأرض والذين بُعث إليهم الأنبياء والرسل؛ فكانت دعوة الأنبياء والرسل إلى هذا النوع من التوحيد؛ {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٢٥]؛ هذه إذن دعوة الأنبياء جميعًا؛ {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}؛ أي: اعبدوا الله واتركوا عبادة غيره، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}؛ أي: يقول الله سبحانه وتعالى: لا معبود حق إلا أنا؛

فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا معي غيري، كلام واضح، هذه دعوة الرسل جميعاً؛ {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ}، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا} هذه دعوة الرسل جميعاً.

هل معنى ذلك أن نُهمل النوع الأول من التوحيد؛ وهو توحيد الربوبية؟

لا؛ ليس هذا المراد؛ ولكن لا تجعل توحيد الربوبية هو الغاية القصوى والعظمى لك وليس بعدها توحيد؛ هذا هو المُشكل هنا، فمن وحّد الله في ألوهيته وعبادته؛ فإنه قد وحَّده سبحانه وتعالى تلقائياً وضمنيَّاً في ربوبيته.

ومن هنا قال العلماء: توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ أي: إذا عبدت الله وحده؛ فتلقائيَّاً أنت تؤمن بوجود الله، وتؤمن بأنه خالق السماوات والأرض، وتؤمن أنه مدبر السماوات والأرض، وتؤمن أنه هو الرزّاق الكريم؛ فكيف تعبد الله وحده وأنت لا تؤمن بذاك؟

هذا لا يمكن؛ فهو متضمن له.

وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فهو لازم له؛ لكن البعض يلتزم هذا اللازم والبعض لا يلتزمه، ولا يعني ذلك أنه لا يوجد من لا يشرك بالربوبية مطلقاً، أو لا يكفر حتى بالربوبية، أو لا يشرك في بعض أنواع الربوبية، لا؛ كل هذا موجود؛ لذلك نحن ندعوا إلى توحيد الربوبية، وندعوا إلى توحيد الألوهية كما دعت الأنبياء والرسل، لكن أعظم ما حصل فيه الخلل والشرك هو النوع الثاني؛ وهو توحيد الألوهية؛ لذلك فنحن نركز عليه كما ركَّز عليه الأنبياء والرسل، نعم إذا خاطبنا شخصاً يكفر بالربوبية؛ فهذا نبدأ معه بالربوبية؛ لأنه إذا لم يؤمن بالربوبية؛ فتلقائيَّاً لن يؤمن بالألوهية.

والنوع الثالث من التوحيد **توحيد الأسماء والصفات**؛ فالأسماء: أسماء الله سبحانه وتعالى، والصفات؛ هي الصفات التي يُوصف بها ربنا تبارك وتعالى.

ومعنى **توحيد الأسماء والصفات:** هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما له من الأسماء والصفات، فنثبت لله ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات في الكتاب أو في السنة، وننفي عنه ما نفى عن نفسه من الأسماء والصفات، ومع إثباتنا للأسماء والصفات ننفي المماثلة؛ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:١١]؛ فهو تبارك وتعالى لا مثل له؛ لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}؛ فنحن نؤمن بهذا: نثبت الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل؛ أربع لاءات، وسيأتي إن شاء الله تفصيلها في موضعها، وقد تقدم في كتب سابقة.

هذه هي أنواع التوحيد، وهذا هو موضوع التوحيد.

وقول المؤلف: **(معتقدين بتوفيق الله)** تقدم معنى الاعتقاد؛، فنحن نقول في موضوع التوحيد ونحن نعتقد واعتقادنا هذا حصل بتوفيق الله لنا؛ لأن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى، والذي يوفقك إلى ما يريده تبارك وتعالى هو الله سبحانه وتعالى؛ يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فهذا حصل بتوفيق الله لنا، لا بحولنا ولا بقوتنا والحمد لله.

نقول في موضوع التوحيد؛ توحيد الله سبحانه وتعالى؛ أي: إفراد الله تبارك وتعالى بكل ما يختص به، ونحن نعتقد واعتقادنا هذا حاصل بتوفيق الله لنا؛ ماذا نقول؟

نقول: **(إن الله واحد لا شريك له)** هذا قولنا، إذن عن أي نوع من أنواع التوحيد يتحدث؟

إن الله واحد لا شريك له، قال: (واحد) ولم يقل: في ربوبيته أو في ألوهيته أو في أسمائه وصفاته؛ فهي تشمل كل هذا؛ أن الله سبحانه وتعالى واحد في ربوبيته لا شريك له فيها-والشريك من المشاركة؛ يشاركه-؛ لا يوجد من يشاركه لا في الخلق ولا في الرزق ولا في التدبير، فمن أثبت خالقاً مع الله؛ أشرك به، من أثبت رزّاقاً مع الله سبحانه وتعالى؛ فقد أشرك به، من أثبت مدبّراً لهذا الكون مع الله؛ فقد أشرك به في ربوبيته.

وكذلك في الألوهية من عبد غير الله معه؛ فقد أشرك به، ولمّا سئل النبي ﷺ عن الشرك؛ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك؛ والنِّد: هو المثيل المساوي.

وكذلك واحد في أسمائه وصفاته- كما تقدم-؛ فهي شاملة للجميع: إن الله واحد لا شريك له؛ أي: لا مشارك له بكل ما يختص به من ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

هذا ما يتعلق بمعنى هذه الجملة التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

فأنواع التوحيد عند أهل السنة ثلاثة: ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات.

طبعاً هذا التقسيم ثابت عن أهل العلم من قديم؛ موجود في كلام ابن جرير الطبري في تفسيره، و في كلام ابن منده وغيرهم من أهل العلم؛ فهذا تقسيم قديم وليس حادثاً، وذكرنا أن دليله الاستقراء، والأئمة من السلف نطقوا به وذكروه، نحن على طريقة السلف والحمد لله؛ فعندنا دليل من الكتاب ومن السنة، وعندنا من أئمتنا من ذكره؛ فالحمد لله.

فمن زعم أن هذا التقسيم حادث؛ فهذا لم يعرف كلام العلماء ولا اطَّلع عليه، أو هو مُلَبِّس- أحد أمرين-؛ فهذا تقسيم قديم، ليس هو من كلام ابن تيمية ولا كلام غيره من المتأخرين؛ بل هم تَبَعٌ فيه لغيرهم، ونحن في دين الله سبحانه وتعالى- سواء كان هذا في التوحيد أو في العقيدة أو في الفقه أو في أي شيء- إن وجدنا كلاماً يقوله عالم، ولم نجد عليه دليلًا من الكتاب أو السنة أو لم نجد أحداً من السلف قال به؛ فنرده كائناً من كان القائل؛ فلا يوجد في ديننا شيء جديد، ونحن نحرص كل الحرص على أن يبقى الدين صافياً نقيَّاً كما أنزله الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ، وكما عرفه الصحابة الكرام رضي الله عنهم؛ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

حتى علماؤنا الذين هم أئمتنا؛ نحبهم ونحترمهم ونعرف لهم قدرهم ونعرف لهم علمهم، لكن إذا جاءنا قول عنهم؛ نعرضه على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم، فإن

وجدناه يوافق؛ أخذنا به، وإن وجدناه يخالف؛ تركناه، ليس عندنا تعصب لأيِّ رجل أيًّاً كان مطلقاً، ديننا: قال الله، قال رسول الله ﷺ، وما كان معروفًا عند سلفنا الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وما لم يكن في وقتهم ديناً؛ فلن يكون بعدهم ديناً.

هذا هو ديننا، وهذا ما نمشي عليه، وهذا ما يميِّزُ أهل السنة والجماعة؛ أنهم لا يقبلون المحدثات في دين الله، ولا يقبلون التغيير في دين الله، وأنهم جميعاً على أصلٍ واحد، لا يختلفون في أصول دينهم، ولا يُحدثون في دينهم قولًا لم يكن في سلفهم رضي الله عنهم، فَهَمُّنا أن يبقى الدين صافياً نقيّاً كما أراده الله تبارك وتعالى؛ ليحيى من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، ولولا هذا المنهج الذي سلكه أئمتنا وعلماؤنا وعلّمونا إياه؛ لذهب الدين.

انظروا إلى حال أهل البدع، وانظروا إلى تغييرهم لدين الله وشرعه، وإلى أين وصلوا بهذا؛ صار عندهم دين جديد أحدثوه، إذا قارنته بما كان عليه النبي ﷺ والصحابة؛ لا تعرف منه شيئاً.

المهم: هذا التقسيم قديم وموجود في كلام أئمتنا؛ إما بالتصريح أو بالتلميح، وبعض أهل العلم قسّم التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد في القصد والطلب.

هذا التقسيم اصطلاحي، لم يخرج به صاحبه عن التقسيم الأول.

كيف؛ فذاك ثلاث، وهذا اثنان؟

الذي يريده مَنْ قسَّمَ هذا التقسيم- وقد ذكر وشرح هو معنى كلامه-؛ الذي يريده مِنَ المعرفة والإثبات: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وأما توحيد القصد والطلب؛ فأراد به: توحيد الألوهية؛ إذن المعنى في النهاية يصبُّ في مَصَبٍّ واحدٍ؛ سواء كان التقسيم

ثلاثيَّاً أو ثُنائِيَّاً، ولكن المشهور عند أهل العلم هو التقسيم الثلاثي الذي قدمناه؛ فنبقى عليه.

هل يوجد من قسَّم التوحيد إلى أقسام أخرى؟

نعم يوجد؛ فالمتكلمون مثلًا قسَّموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام؛ لكن ليست هي هذه الأقسام التي ذكرناها؛ قسَّموه إلى: واحد في أفعاله، وواحد في ذاته، وواحد في صفاته، يعني توحيد في الأفعال، توحيد في الذات، توحيد في الصفات، ولاحظ أنت كلها ترجع إلى توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فقط؛ فلا يذكرون توحيد الألوهية، فاهتمامهم الأعظم مُنصّبٌ على توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وليس كتوحيد أهل السنة طبعاً؛ يوجد فروق كبيرة ستأتي إن شاء الله، لكن هذا اصطلاحهم؛ لا تجدهم يذكرون توحيد الألوهية.

ويوجد من قسَّمَ تقسيماً آخر؛ فجعل التقسيم رباعيَّاً؛ الثلاثة التي قدمنا- توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات-، وزاد: توحيد الحاكمية؛ فصار التقسيم عنده رباعيَّاً؛ وهؤلاء الخوارج؛ الخوارج المعاصرون في زماننا هذا، قسَّموا التوحيد إلى أربعة أقسام، وجعلوا الرابع: توحيد الحاكمية.

لكن ما المشكلة في هذه القسمة؟ أليست الحاكمية داخلة في التوحيد؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام:٥٧]، وقال: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة:٤٤]؛ إذن الحكم خاص بالله {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} فكيف تفعلون؟ لماذا لا يُفرد بقسم خاص؟

هل قَبِلَ أهل العلم هذا التقسيم؛ لمّا نطق به البعض؟

لم يقبلوه؛ لأسباب:

أولًا: الذين قسَّموا التوحيد من السلف القدامى والأئمة؛ ما ذكروا هذا التقسيم الرباعي؛ لكنهم ذكروا الثلاثي.

ثانيًا: ربما تقول المسألة اصطلاحية، فكما قبلتم مِنَ الذي قسَّم تقسيماً ثنائيًّا؛ لم لا تقبلون ممن قسّم تقسيماً رُباعيًّا؟!!

نقول: قد قبلنا ممن قسّم التقسيم الثنائي؛ لأنه أرجعها كلها إلى التقسيم الثلاثي، أما هؤلاء؛ فقد زادوا قسماً رابعاً لفظاً ومعنى.

كيف لفظاً ومعنى؛ قلنا قبل قليل: إنه يوجد توحيد في الحاكمية أيضاً؟

أقول لك: هؤلاء لم يكتفوا بتقسيم السلف؛ فلماذا زادوا هذا الرابع، وما الذي يريدونه؟ مهم جدًا أن تعرف السبب كي تحكم على المسألة.

لما ذكر العلماء التوحيد الثلاثي؛ قالوا: توحيد الحاكمية هذا داخل في توحيد الربوبية؛ لأن الحكم من أفعال الله، وقال البعض الآخر: هو داخل في توحيد الألوهية؛ لأننا مُتَعَبَّدونَ لله سبحانه وتعالى بالحكم بشرعه؛ فإما أنه يدخل في توحيد الربوبية أو يدخل في توحيد الألوهية؛ فلم إفراده بقسم مستقل؟

الذين قسموا هذا القسم أرادوا من ذلك الغلو في هذه المسألة؛ لذلك أفردوها بقسم مستقل، وأرادوا من ذلك أن يُكَفِّروا بها كما كَفَّر الخوارج الأُوَل؛ كما قال ابن تيمية رحمه الله في "منهاج السنة"؛ قال: (كفروا علي بن أبي طالب بالحكم بغير ما أنزل الله وقالوا: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}، وكفروا من معه بالتَّوَلي؛ {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:٥١])؛ هذا الكلام ذكره ابن تيمية رحمه الله عن الخوارج السابقين الذين كانوا في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ هذا أصلهم،

فأراد هؤلاء الأتباع أن يغلوا كما غلا أولئك في هذه المسألة؛ فأفردوها بقسم مستقل؛ هذا ما ترمي إليه المسألة.

من هنا أنكر العلماء هذا التقسيم، وشنَّعوا على من فعله؛ وإلَّا فهذا النوع من التوحيد داخل ضمن الأقسام الثلاثة، من غير غلو؛ باعتدال كما أراد الله سبحانه وتعالى، وكما أراد نبيه ﷺ.

وهل هناك من خالف في هذا التقسيم أيضًا؟

نعم يوجد؛ الصوفية خالفوا فيه؛ فالتوحيد عند الصوفية ثلاثة أقسام أيضاً؛ لكنها ليست هذه الأقسام التي معنا، التوحيد عندهم ينقسم إلى: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة.

إذن الصوفية عندهم ثلاثة أنواع:

توحيد العامة؛ هو توحيد الألوهية؛ وهو توحيد الأنبياء والرسل، وهذا التوحيد يُعرف ويَصِحُّ عن طريق الشواهد وهم الرسل- هكذا يُطلقون الشواهد ويعنون بها الرسل-، هذا التوحيد ليس للصوفية؛ إنما للعامة؛ للأنبياء، للرسل، لعامة المسلمين؛ هؤلاء الذين لا يرتقون إلى توحيد الخاصة؛ هذا النوع من التوحيد لهم، حتى الأنبياء والرسل يدخلون ضمن هذا طبعاً.

ويقول بعضهم: إن كل من يُكذِّب بتوحيد الخاصة أو خاصة الخاصة أو لا يمكنه أن يدرك بعقله؛ فمثل هذا يبقى على توحيد العامة، ويعنون بالتكذيب: أن يُكّذِّب بالفناء؛ الفناء هذا له حكاية لوحده، فهذا التوحيد- توحيد العامة-؛ هو للعامة وليس لهم.

أما التوحيد الذي لهم؛ فهو توحيد الخاصة، وهو في الحقيقة توحيد ربوبية؛ لكنه يَثْبُتُ عندهم بالحقائق لا بالشواهد، يعني ليس عن طريق الأنبياء والرسل ولا حتى عن طريق

العقل؛ لأن عندهم علم حقيقة وعلم شريعة؛ الشريعة هي التي جاءت بها الرسل، وتُعْرفُ عن طريقهم، أما الحقيقة؛ فهذه أمور تعرف عن طريق القلب؛ بالمشاهدة والمكاشفة، فعندهم توحيد الخاصة هذا هو توحيد الربوبية، ولكن يوجد فيه لف ودوران ولعب في الأمر.

المشاهدة والمكاشفة هذا شيء خيالي من عند الصوفية؛ فتوحيد الربوبية إما بالعقل أو بالشرع؛ يعرف بهذا ويعرف بهذا، وهو أمر فطري أصلًا، فطر الله سبحانه وتعالى العباد عليه.

فتوحيد الربوبية فطري عقلي شرعي؛ كما قال النبي ﷺ:"مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ" متفق عليه، قال أبو هريرة: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: ٣٠]؛ فالعباد مفطورون على توحيد الربوبية.

ويعرف أيضاً بالعقل، ودلالة العقل على أن الخالق للعالم واحد مذكور في قول الله تبارك وتعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [المؤمنون:٩١]؛ هذه الآية تدلك على كيفية إدراك العقل لوحدانية الله تبارك وتعالى في خلقه.

لكن الصوفية عندهم طريقة أخرى؛ وهي طريقة المشاهدة والمكاشفة التي توصل إلى الحقيقة، والحقيقة هذه قلنا ليست كالشريعة، وإذا أردت أن تعرفها -بناء على قول الصوفية- فَفَرِّق بين موسى والخضر؛ فقالوا: موسى معه الشريعة، والخضر معه الحقيقة، والخضر قتل الغلام، علم أن هذا الغلام سينشأ كافراً فقتله؛ قالوا: بعلم الحقيقة بالمشاهدة والمكاشفة، وهذا العلم لم يكن مع موسى، كان مع موسى الشريعة، والخضر معه الحقيقة؛ هكذا يزعمون.

وقلنا: هذه الحقيقة شيء مخترع من عندهم؛ إذ هي شيء لا هي الشريعة ولا هي العقل؛ بل شيء قلبي.

إذن هذا النوع- توحيد الخاصة- يدور حول توحيد الربوبية، ويعرف بالطريقة التي ذكرنا لكم؛ يثبت بالحقيقة، ويدورون حول أن المرء يبقى يُثبت أفعال الله سبحانه وتعالى ووحدانية الله سبحانه وتعالى في أفعاله وأنه النافع وأنه الضار حتى ينسى نفسه في هذا العالم، ولهم كلام كثير حول هذا الأمر؛ المهم: أن أعظم ما يصل إليه هؤلاء هو توحيد الربوبية.

أما التوحيد الثالث؛ فهو توحيد خاصة الخاصة، وهذا التوحيد فهو الغاية القصوى عندهم، والذي يصل إليه؛ يكون من المُقَدَّمين عندهم.

عقيدة الحلول والاتحاد هذا توحيد خاصة الخاصة، ليس توحيداً؛ بل هو شرك، ولكن يسمونه توحيداً؛ توحيد الحلول والاتحاد، لا يوجد عابد ولا معبود؛ فالله تبارك وتعالى- وتعالى عن قولهم- حالٌّ في كل شيء، مُتَّحِدٌ مع كل أحد؛ هذا معنى كلامهم، وهذه الغاية التي يصل إليها السالك؛ هكذا يسمون الموحد عندهم بهذا التوحيد، الذي يسلك في التوحيد يسمونه سالكاً، وعندما يصل إلى هذه العقيدة- عقيدة الحلول والاتحاد-؛ تسقط عنه التكاليف، قد وصل عندهم إلى درجة اليقين؛ اليقين بأنه لا عابد ولا معبود وأنه حالٌّ في كل أحد؛ هؤلاء عندهم أن فرعون لم يكفر لأنه قال: أنا ربكم الأعلى، ولكن لأنه حصر الربوبية في نفسه فقط، وليس له حق في هذا عندهم؛ لأنها ليست في نفسه فقط؛ هو حالٌّ في كل أحد؛ نسأل الله العافية والسلامة؛ هذا كفر صريح، هؤلاء وصلوا إلى هذا الحد من الكفر. نسأل الله العافية والسلامة.

ومن هؤلاء ابن عربي وغيره، وهو ابن عربي وليس ابن العربي؛ ابن عربي المُنَكَّر لا يوجد ألف واللام فيها، وابن العربي ذاك من فقهاء المالكية بالألف واللام، فابن عربي هذا كان يعتقد هذه العقيدة، وعندما يتكلم بعضهم حول هذا؛ يقول: أنتم لم تفهموا كلام هؤلاء لأجل أن يدافعوا عنهم- يقولون : أنتم لم تفهموا كلام هؤلاء، وهم يعرفون في قرارة أنفسهم ما الذي

يعتقدونه، وما الذي يريدونه؛ لكن يقولون: أنتم العامة لا تصلون إلى درجة أن تستوعبوا هذه الحقائق وتفهموها؛ فابقوا على توحيد العامة فقط؛ فهذا ليس لكم، هذا لهم هم؛ هكذا يحاولون التلبيس على الناس.

لذلك في زمننا هذا أحد الدعاة المشهورين والذين يُرَوَّج لهم ويُنْشر لهم بقوة؛ قال هذه الكلمة مدافعاً عن أحد كبار الصوفية الذين يعتقدون هذه العقيدة، وذكر هذا الكلام مدافعاً عنه؛ يقول: أنتم ما فهمتم عليه ما الذي يريده؛ فدافع عن الحلاج، وبعض الصوفية أيضاً دافعوا عنه مع أنه كفر كُفراً صريحاً، قالوا: أنتم ما فهمتم كلامه، ويريدون بهذا أنكم لا تستطيعون أن تصلوا إلى فهم هذه الحقائق؛ الحقائق الشركية.

المهم: هؤلاء من الذين خالفوا أهل السنة في هذا التقسيم، والرد عليهم- طبعاً- قد استوعبه أهل العلم، وهذا التقسيم بالذات ذكره ابن تيمية رحمه الله في "منهاج السنة"، وردَّ فيه رحمه الله على الهروي لما ذكر هذا التقسيم، وذكر شارح الطحاوية وغيره أيضاً كلام هؤلاء، وقال الشارح بأن كلامهم هذا ينتهي إلى الفناء الذي يُشَمِّر إليه غالب الصوفية، وهو درب خَطِر يُفضي إلى الاتحاد؛ يعني إلى الحلول والاتحاد.

طبعًا هذا التقسيم وهذا التقرير كله لا دليل عليه لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع، والأدلة الشرعية دَلَّت على التقسيم الذي ذكرنا؛ فهذا التقسيم تقسيم مُبْتَدَعٌ؛ بل هو تقسيم مؤدٍ بهم إلى الكفر إلى عقيدة الكفر؛ عقيدة الحلول والاتحاد.

نكتفي اليوم بهذا القدر، وفي الدرس القادم إن شاء الله نتحدث عن أول دعوة الأنبياء وأول واجب على الناس، ومخالفة المتكلمين لأهل السنة في التوحيد، وما الذي أوصلهم إلى نفي الصفات عن طريق توحيد الربوبية؛ كل هذا نؤجله إلى الدرس القادم إن شاء الله ونكتفي اليوم بهذا القدر. والله أعلم. والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الثالث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد ...

اليوم معنا الدرس الثالث من دروس شرح العقيدة الطحاوية، وكنا قد تحدثنا في الدرس الماضي عن قول المؤلف: **(نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إن الله واحد لا شريك له)**، وعلمنا مما مضى أن هذه الكلمة هي كلمة التوحيد، وأن أول دعوة الأنبياء كانت إلى توحيد الألوهية؛ فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٢٥]، وقال غير واحد من الأنبياء كما في كتاب الله تبارك وتعالى لأقوامهم: {يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[الأعراف:٦٥]، هذه هي أصل دعوة الأنبياء وهي أيضاً دعوة نبينا عليه الصلاة والسلام، فإنه لمّا جاء إلى كفار قريش؛ كان يقول لهم :"يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، فهذه هي دعوة الأنبياء؛ وهي أول ما كانوا يدعون إليه؛ وهي أصل دعوتهم.

أما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ فهو داخل ضمناً في هذا النوع من التوحيد؛ وهو توحيد الألوهية؛ لذلك كانت عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يعتقدون أن الله واحد لا شريك له في عبادته؛ فلا يُعبد معه غيره، ويعتنون اعتناءً كبيراً جداً بهذا النوع من التوحيد؛ اتباعاً لسُنَّة الأنبياء الذين بعثهم الله تبارك وتعالى بهذه الدعوة.

أمّا الدعوة إلى توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ فهذه أيضاً دعوة أهل السنة والجماعة، ولكن لمّا كان الخَلل الأكبر والشرك الأعظم عند الناس في الأرض في توحيد الألوهية؛ أرسل الله تبارك وتعالى أنبياءه بهذه الدعوة، وأوصى النبي ﷺ الصحابة والمسلمين من بعده أن يدعوا إليها وأن يَحرصوا عليها؛ كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لمّا أرسله إلى اليمن: "فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ تَوْحِيدَ اللَّهِ"، وفي رواية " أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ"؛ فهذه الدعوة هي دعوة الأنبياء، وهي أول دعوة أُمرنا بأن ندعو الناس إليها، وهي أعظم دعوة يجب على كل داعٍ إلى الله أن يعتني بها.

خالف المتكلمون والصوفية أهل السنة في هذا؛ فجعلوا تفسير كلمة التوحيد هي أنه لا خالق إلا الله، وغَلَوا في توحيد الربوبية بحيث صاروا يُقررون فيه ما ليس منه، وغلوا في هذا الجانب حتى قرروا أنواعًا من الكفر كما تقدم معنا، ووقعوا في نفي ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات- هذا بالنسبة للمتكلمين-، وأما الصوفية فغَلوا في هذا الباب حتى وقعوا في عقيدة الحلول والاتحاد كما تقدم؛ فهؤلاء وقعوا في نوع من الكفر وهؤلاء وقعوا في نوع من الكفر بسبب الغلو فيما يعتبرونه هم من توحيد الربوبية، وليس هو من توحيد الربوبية حقيقة، لكن على كل حال كان اهتمامهم بهذا الجانب.

أما في توحيد الألوهية فلا يهتمون به ولا يبالون به، فأما الصوفية؛ فيعتبرونه من إيمان العامة ومن توحيد العامة وليس لهم، وأما المتكلمون؛ فلا يفسرون أصلًا كلمة التوحيد بهذا المعنى، فلذلك إذا ركزت ها هُنا على المناطق التي نعيش فيها نحن اليوم، أيَّ بلد من الدول التي يعيش فيها علماء من هؤلاء الأصناف من المتكلمين أو من الصوفية؛ تجد الشرك فيها على قدم وساق؛ لأنهم لا يعتبرون هذا شركاً أصلًا، ولا يعتبرون توحيد الألوهية أصلاً، ولا

يرفعون به رأساً؛ إنما الهم الأكبر عندهم هو توحيد الربوبية وعلى طريقتهم، وليس توحيد الربوبية على طريقة أهل السنة والجماعة ولا على طريقة أنبياء الله ورسله؛ فهم يشغلون أنفسهم بأمر هو مقرر في فطر الناس، فتوحيد الربوبية مقرر في الأصل في فطر الناس، فالناس يعلمونه ومؤمنون به؛ فلماذا تأتي وتدعو الناس إلى أمر هو مقرر عندهم؟! والنبي ﷺ قد بيَّن أن كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وأنت إذا نظرت إلى أكثر أهل الأرض؛ تجدهم يُقرّون بربوبية الله سبحانه وتعالى.

نعم يوجد من أشرك في الربوبية؛ فهذا هو الذي نتكلم معه في توحيد الربوبية بداية حتى يؤمن بذلك، ثم بعد ذلك نكلمه في توحيد الألوهية.

أما من كان مؤمناً بتوحيد الربوبية ومُقراً هذا الأمر عنده؛ لماذا أُخاطبه في شيء هو مؤمن به؟ فلذلك نحن نركز على ما ركَّز عليه أنبياء الله؛ فدعوتنا إلى جميع أنواع التوحيد؛ ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، لا نقلل من شأن أيِّ نوع من أنواع التوحيد، لكن لا نشغل أنفسنا بنوع هو مُقرَّرٌ ومُحققٌ عند غالبية الناس، ونترك ما قد أخلوا به ووقعوا به في الشرك، وقد أخبر النبي ﷺ أن عبادة الأوثان وعبادة الأصنام سترجع في آخر الزمان، وحذَّر من هذا، والأدلة التي تدل على وجوب الاعتناء بتوحيد الألوهية كثيرة؛ كما مرت معكم في "كتاب التوحيد"؛ فأعظم مُصيبة حصلت في الأمة من قِبَل بعض العلماء الذين ينتسبون إليها أنهم أهملوا هذا التوحيد وزعموا أنهم يُركِّزون على توحيد الربوبية، والمتكلمون غَلوا في هذا الجانب حتى وقعوا في نفي الأسماء والصفات، والصوفية غَلوا في هذا الجانب أيضاً حتى وقعوا في الحلول والاتحاد؛ فكان الذي ذهبوا إليه أمراً عظيماً فاحش الفساد بسبب الغلو؛ الغلو دائمًا مفسدته عظيمة؛ لذلك حذرنا الله تبارك وتعالى منه، وكذلك حذرنا منه النبي ﷺ.

المقصود: أن نعتني نحن بتوحيد الألوهية، وأن تكون هذه الدعوة هي أول دعوتنا كما كان الحال في عهد الأنبياء رضي الله عنهم، نعم من وُجِدَ عنده شك في ربوبية الله؛ فيجب علينا أن ندعوه إلى توحيد الربوبية، لكن غالب الناس عندهم هذا الأمر محقق وموجود.

وبناءً على هذا اختلف أهل العلم فيما هو أول واجب على العباد، وأقول: أهل العلم، ولا أقول: أهل السنة؛ فأهل السنة لم يختلفوا والحمد لله، لكن أهل العلم من أهل السنة ومن أهل البدع والضلال اختلفوا: ما هو أول واجب على العباد؟

أهل السنة جميعاً يقولون: أول واجب على العباد هو توحيد الألوهية؛ هو شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، التي فيها الإقرار بأن الله هو الذي يستحق أن يُعبد ولا يُعبد معه غيره، كما وتتضمن أيضاً توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ هذا أول واجب على العباد؛ أن يشهدوا الشهادتين؛ لذلك لما أرسل النبي ﷺ مُعاذًا إلى اليمن إلى ماذا دعاهم؟ "فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِم: أَنْ يَشْهدوا أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنّ محمداً رَسُولُ اللهِ"؛ هذه أول دعوتهم، فلذلك كان أول واجب على العباد هو الشهادتان؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا ما يُقررونه.

النبي ﷺ لما جاء إلى قومه أول شيء قال لهم: "يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" هذه أول كلماته ﷺ.

وخالف في هذا المتكلمون؛ بعض المتكلمين قال: أول واجب المعرفة، والبعض قال: القصد إلى المعرفة، والبعض قال: النظر، وأقوال لأهل الكلام في هذه المسألة، وكلها تدور حول الربوبية، التي هي أمر مُقرر في فِطر الناس، حتى وصل بالبعض إلى أن يقول: أول واجب هو الشك- يعني: الكفر، والشك ليس إيماناً بل كفر-؛ فقال: أول واجب هو الشك؛ يعني

إن كنت تؤمن بربوبية الله يجب أن تشك- تكفر- بداية، وبعد أن تكفر تقصد إلى النظر أو تنظر وبعد ذلك تعرف...الخ.

ما مقصودهم بالمعرفة؟

مقصودهم معرفة الله تبارك وتعالى؛ معرفة أن الله سبحانه وتعالى موجود وأنه خالق تبارك وتعالى.

كيف يتوصلون إلى هذا؟

يقولون يجب أن تنظر في خلق السماوات والأرض، وتنظر في الكون؛ وهذا معنى قولهم بالنظر، أول واجب هو النظر؛ أي: أن تنظر في هذا الكون وتتأمل فيه وتتفكر حتى تصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى من خلال النظر في هذا العالم، فنظرك في هذا العالم؛ يوصلك إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

البعض قال: القصد إلى النظر؛ يعني: النية؛ أنت تقصد وتتجه إلى أنك تريد أن تنظر وهذه قبل؛ فهذه وسيلة.

والبعض قال: الشك- كما ذكرنا-، وذكر هذا أحد كبار المعتزلة.

انظر إلى البدع أين توصل العباد، البدع بريد الكفر؛ هذا الشخص أوجب على الناس أن يكفروا أولًا؛ لأنه أشكل عليه: أن يكون الإنسان عارفًا بالله ويعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو المدبر، ثم نأمره بالمعرفة أولًا؟! إذن يجب أن يشك بداية. سبحان الله عجيب هذا!

المعرفة التي جعلوها أول واجب- معرفة الله سبحانه وتعالى وأنه خالق السماوات والأرض- أمر مقرر في الفِطر؛ فكيف يكون هو أول واجب؟! هو أمر محقق، هذا واجب محقق، فكيف تطلب منه أن يُحققه من جديد وهو متحقق وموجود!! هذا خطأ.

نعم من شك في وجود الله يجب عليه النظر والتفكر والتأمل في خلق السماوات والأرض حتى يؤدي به ذلك إلى اليقين والإيمان بأن الله سبحانه وتعالى موجود، وأنه خالق السماوات والأرض- هذا من شك- يمكن أن يأتيك شخص فيقول: ألم يأمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بالنظر؛ لقوله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...} الآيات.

نعم صحيح، هذا النظر تحتاجه عندما يحصل منك شك، تحتاجه عندما تريد أن تزيد إيمانك؛ فتنظر وتتفكر من أجل أن تزيد إيماناً، وأن تعرف الله سبحانه وتعالى وأن تتعلم وتعرف صفات الله وعظمة الله، نعم تنظر وتتفكر، أو حصل عندك شك؛ فتنظر وتتفكر من أجل أن تصل إلى اليقين بالله سبحانه وتعالى، هنا تحتاجه، أما بداية وأنت مُستيقن من هذه العقيدة؛ لا تحتاج إلى هذا، أول ما يجب عليك من ذلك أن تشهد الشهادتين؛ لأن إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة هذا ما حصل فيه الخلل عند الناس، الإيمان بمحمد ﷺ حصل فيه خلل عند الناس، فلأجل أن تدخل الإسلام تحتاج أن تتشهد الشهادتين؛ هذا هو أول واجب.

إذن هذه المسألة فارقة ما بين أهل السنة والجماعة وما بين المتكلمين، فالمتكلمون أحدثوا أمراً جديداً، لم يأمر الله سبحانه وتعالى به بداية، ولا أمر به النبي ﷺ بداية؛ بل كانت سنة الأنبياء جميعاً: أن يأمروا بالتوحيد أول شيء- بالشهادتين-؛ سنة النبي ﷺ والصحابة من بعده جميعاً؛ كانوا أول ما يأمرون به الشخصَ حين يسلم أن: ينطق الشهادتين.

هذا بالنسبة لأول دعوة الأنبياء؛ وهذه أول واجب على الناس.

الخلاصة: أن أول دعوة الأنبياء الناسَ: هي إلى أن يوحدوا الله تعالى وأن يعبدوا الله وحده ولا يعبدوا معه غيره؛ هذه أول دعوة الأنبياء.

وخالفنا في ذلك: المتكلمون والصوفية؛ أعني: في معنى الشهادتين التي دعا إليها الأنبياء، وأول واجب على الناس؛ فدعوة الأنبياء كانت في توحيد الألوهية، وأما المتكلمون والصوفية فيصبون دعوتهم على توحيد الربوبية وعلى طريقتهم أيضاً؛ فخالفوا الأنبياء في طريقة دعوتهم.

الأمر الثاني: أول واجب على الناس: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأَنَّ محمداً رسول الله، خالف في ذلك المتكلمون؛ قالوا: المعرفة، وقالوا: النظر، وقالوا: القصد إلى النظر، وقالوا: الشك؛ كل هذه أقوال لهم.

نكتفي بهذا القدر بالنسبة لهذه الجملة.

قال المؤلف: **(ولا شَيْءَ مِثْلَهُ)**

لقول الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١]، ولا شيء مثل الله سبحانه وتعالى؛ يعني: أن الله سبحانه وتعالى لا مثل له.

ومعنى لا مثل له: أن تقول: فلان مثل الله، والله مثل فلان؛ لا يصحُّ هذا الكلام ولا يوجد له مشابه؛ وهذا أمر متفق عليه لقول الله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، والله سبحانه وتعالى لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وهذه الجملة متفق عليها بين أهل السنة والجماعة، وخالف فيها المُشبهة كداود الجواربي؛ أحد رؤوس المشبهة ومن كان على طريقته؛ الذين يُثبتون المثل لله فيقولون: يد كيد الله، وسمع كسمع الله، وما شابه؛ وهذا ضلال. نسأل الله العافية.

وخالف في هذا أيضاً: المُعطِّلة، وإذا قلنا المُعطِلة؛ فنعني بهم: الجهمية بصفة عامة؛ فالجهمية تُطلق أحياناً بالمعنى العام الذي يشمل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتوريدية والكُلابية وكل هؤلاء الذين يقال لهم: المتكلمون، ويقال: الجهمية- بالمعنى العام-، العقلانيون؛ هذه كلها أسماء لفرقة واحدة، هي متشعبة من الداخل: جهمية، معتزلة، أشاعرة.... إلخ؛ لكن كلهم يجتمعون في أصل واحد، لذلك يَعتبرهم السلف جماعة واحدة من هذا الباب، فيقولون الجهمية؛ ويعنون كل من عطَّل الصفات، كل من قرر تقديم العقل على النص في مسائل العقيدة يعتبرونه منهم؛ من المتكلمين، من الجهمية بالمعنى العام، من العقلانيين.

هؤلاء المتكلمون خالفوا أهل السنة في هذه الجملة أيضاً؛ كيف؟

تقول لي: هم يدندنون دائماً حول نفي التمثيل، ويُشَنعون على من شبه الله بخلقه.

نقول: نعم، لكنهم غَلوا في هذا الباب؛ المشكلة في المخالفة ليست فقط أن تقول بقول هو ضد قولي؛ لا؛ فربما تخالف أيضاً بأن تغلو في المسألة بحيث تَخْرُج عن المعنى المراد منها في شرع الله سبحانه وتعالى والذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم؛ كيف ذلك؟

مثل هذه؛ لا مثل لله سبحانه وتعالى؛ نعم، والاعتدال في ذلك أن تقول: لا مثل لله وأن تثبت لله الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه في الكتاب والسنة؛ عملًا بشطري الآية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}؛ نفي وإثبات؛ نفي للتمثيل وإثبات للصفات؛ هذه طريقة أهل السنة والجماعة: اعتدال؛ فيأخذون بالآية كاملة من أولها إلى آخرها.

المُعطِّلة- وهو اسم أيضاً للمتكلمين؛ جهمية، متكلمون، عقلانيون، مُعطَّله كلها نفس الفرقة-؛ المُعَطِّلة يُعطِّلون صفات الله سبحانه وتعالى، يُعَطِّلون أسماء الله تبارك وتعالى؛ هم على درجات، يختلفون في ذلك، البعض منهم ينفي الأسماء والصفات بحجة أن إثباتها يلزم منه تمثيل؛ فلذلك ينفونها، ومنهم من يُثبت الأسماء ويُعطِّل الصفات وينفيها، ومنهم من يُثبت الأسماء ويُثبت بعض الصفات ويُعطِّل بقية الصفات؛ هم درجات؛ لكنهم يجتمعون جميعاً في تعطيل بعض ما أثبت الله تبارك وتعالى لنفسه؛ بحجة أن العقل لا يثبت تلك الصفات، وأن النص الشرعي قد خالف العقل، والعقل يقيني والنص الشرعي ظني؛ فيُقَدَّمُ العقل اليقيني على النص الشرعي الظني، فكل ما خالف من الشرعِ العقلَ؛ يُحرَّف؛ يسمونه تأويلًا، يقولون نؤوله- أي: نحرِّفه- حتى يتناسب مع العقل؛ لأن العقل هو الأصل.

هذا الأصل الذي تجتمع عليه جماعة العقلانيين جميعاً، وهذا الذي يمشون عليه من أجل نفي الصفات؛ هذا سبب من أسباب نفيهم للصفات، ويوجد أسباب أخرى ستأتي؛ فيزعمون أن إثبات الصفات يلزم منه التمثيل؛ فعطلوا صفات الله سبحانه وتعالى؛ زعمًا منهم أن إثباتها مخالف لقول الله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}؛ وليس مخالفًا.

طبعاً سلك هؤلاء طُرقاً، سيأتي إن شاء الله ذكر بعضها في موطنها في نفي الصفات وسبب نفيهم للصفات.

ذكر الترمذي رحمه الله عن السلف الصالح رضي الله عنهم؛ أنهم قالوا: التشبيه أن تقول: يد كيد، يد كيد؛ هكذا يكون التشبيه، إذا قلت: يدي كيد الله، أو يد الله كيدي؛ هنا شبهت ومثلت ووقعت في الحرام، كما فعل المُشبهة، أما إذا أثبتَّ لله سبحانه وتعالى سمعاً وبصراً

ويداً وضحكاً ونزولاً يليق بجلاله وعظمته، لا كصفات المخلوقين؛ تكون نزَّهت وأثبت كما أراد الله سبحانه وتعالى.

وهذا كالوجود؛ هل يلزم من إثبات الوجود لله تبارك وتعالى وإثبات وجود المخلوقين؛ هل يلزم من ذلك التشبيه في الوجود؟

إن قالوا: لا يلزم؛ قلنا: قولوا في البقية كما قلتم في هذا، كما أن الله سبحانه وتعالى له وجود والمخلوق له وجود، وهذا لا يُماثل هذا؛ كذلك قولوا في بقية الأسماء والصفات؛ كلها نفس الطريقة، وإذا نفيتم وجود الله سبحانه وتعالى؛ كفرتم، وإذا نفيتم وجود المخلوق؛ ذهبت عقولكم، فماذا يبقى إذن؟! ما لهم حجة بعد ذلك أبداً.

إذن خالفنا في هذا: المشبهة والمُعطِّلة، وأسعد الناس بالأخذ بالآية تامة وكما أراد الله سبحانه وتعالى؛ هو من سلك طريقة السلف رضي الله عنهم؛ ينفون عن الله سبحانه وتعالى مماثلة المخلوقين، ويثبتون له سبحانه ما أثبت لنفسه في الكتاب وفي السنة من الأسماء والصفات، ولو لم يُرد الله سبحانه وتعالى إثبات الأسماء والصفات واعتبرها من التمثيل؛ لبيَّن لنا ذلك ولو في آية واحدة أو في سُنَّةٍ واحدة.

تأتي هذه المسألة العظيمة وتُقرَّر عند المتكلمين بهذه الطريقة، وهي من مسائل الأصول العظيمة عندهم؛ ولا يأتي في شرع الله ولا نص واحد صريح يُبيِّن لنا هذا! هذا مستحيل؛ بل النصوص الصريحة الكثيرة تبيِّن لنا أنهم على ضلال، وأن ما سلكوه خطأ، لكن حقيقة دين هؤلاء أنهم لا يؤمنون بالكتاب والسنة كما أمر الله سبحانه وتعالى؛ وإنما يؤمنون بعقولهم وما ركب على عقولهم فقط، ويا ليتهم فهموا الأمور بعقلانية وشكل صحيح، أبداً؛ شَطَحَتْ بهم عقولهم يَمنة ويسرة، وهم- أنفسهم أصحاب العقول الذين يزعمون أن العقل يقيني-؛ هم

أنفسهم يختلفون ويضطربون؛ فالأشعري يختلف مع المعتزلي، والمعتزلي يختلف مع الجهمي، والجهمي يختلف مع الكُلَّابي؛ إذن أين اليقين في هذا الذي تزعمونه؟!!

لذلك ولكثرة تشتتهم واختلافهم واضطرابهم في هذا الباب؛ وقف بعضهم حائراً في آخر حياته، وقال:

نِهَايَةُ إِقْدامِ العُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلالُ

العالَمين؛ يعني: عالمي زمانهم، أو أقرانهم وأمثالهم ممن خاضوا في الكلام وعلم الكلام ممن سبقهم وممن عاصرهم ومن بعدهم، عالَمهم هم، عالَم المتكلمين؛ هم الذين في ضلال وحيرة.

(ولا شيء مثله): ليس كمثله شيء.

ويُشَنِّعون على أهل السنة بهذا؛ يقولون: أنتم مُشبهة! لماذا؟ لأنكم تُثبتون الأسماء والصفات.

فيُقال لهم: ماذا تريدون بالتشبيه؟ فكلمة التشبيه صارت مشكلة، وهذه قاعدةٌ الْزَمْها دائمًا: حين تسمع المبتدع يتكلم باصطلاح؛ لا تُسلِّم له مباشرة؛ لأنك أنت على نيتك؛ ربما تسمعه يتكلم بالكلمة؛ فتظنه يريد المعنى الذي فهمته أنت من الكتاب والسنة؛ وإنما يريد المعنى الذي وضعه هو لهذه الكلمة، فعندما يقول المتكلِّم: تشبيه؛ فليس هو نفس المعنى الذي أنت تريد؛ وهو نفي التمثيل؛ لا، نفي التشبيه ليس هو المعنى الذي تريده وهو نفي التشبيه؛ لا، هو يريد شيئاً آخر من التشبيه!

عندما يقول: التشبيه، والمشبه مجسم؛ فيعني بالتشبيه: إثبات الأسماء والصفات، يريد بالتشبيه: إثبات الأسماء والصفات؛ يسميه تشبيهاً، فلذلك تكون حذراً؛ فتقول له: ماذا تريد بالتشبيه؟ إن أردت بالتشبيه نفي الأسماء والصفات؛ فنحن نثبت الأسماء والصفات كما أثبتها

الله لنفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وإن أردت بالتشبيه التمثيل الذي نفاه الله في كتابه؛ فنحن نقول نعم هذا ننفيه ولا نثبته؛ فلا تشبيه بمعنى لا تمثيل؛ نعم؛ لا إشكال، أما إثبات الصفات؛ فلا.

ولا يلزم من إثبات الصفات التشبيه أو التمثيل- لا يلزم- وإن كان هناك اشتراك في أصل المعنى للصفة لكن لا يعني هذا التشبيه، يعني مثلًا تقول: الوجود؛ الوجود معلوم معناه؛ وهو ضد العدم، وكل موجود يشترك في أصل هذا المعنى- أنه ليس معدوماً-؛ لكن بعد ذلك هل وجود الله كوجود المخلوقين؟ فرق كبير؛ وجود الله تبارك وتعالى لم يُسبق بعدم ولا يلحقه فناء، بينما وجود المخلوق مسبوق بعدم، وممكن أن يفنى؛ كذلك قلْ في بقية الأسماء والصفات؛ الرِّضى معلوم معناه؛ ولكن رِضى الله ليس كرِضى المخلوق؛ إذن أصل المعنى للصفة وإن كان مشتركًا إلا أنه لا يلزم منه تشبيهاً ولا تمثيلاً، أبداً، نفس القول في الوجود؛ كذلك القول في بقية الصفات.

وأهل السنة والجماعة وسط في هذا ما بين المُعَطِّلة والمُشبهة؛ فهم يأخذون بالآية كاملة {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، المُعَطِّلة يأخذون بجزئها الأول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ويُعَطِّلون جزأها الثاني، والمُشبهة يأخذون بالجزء الثاني: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ويُعَطِّلون الجزء الأول، وأهل السنة وسط بين هاتين الفِرقتين.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(ولا شَيْءَ يُعْجِزُهُ)**

يعني: لا شيء يُعجز الله سبحانه وتعالى- والعجز هو الضعف؛ أي: عدم القدرة على الفعل- فلا شيء يُعجز الله؛ لكمال علمه وكمال قدرته تبارك وتعالى، قال الله تبارك وتعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر:٤٤].

لاحظ هنا: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ} فالله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، ثم قال في آخر الآية: {إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} أي: لكمال علمه وكمال قدرته تبارك وتعالى لا يُعجزه شيء؛ فلا يَضعُف عن شيء، ولا يُوجد شيء لا يقدر عليه تبارك وتعالى.

وقوله: **(ولا شيء يعجزه)** دليله قول الله سبحانه وتعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}.

إذن عندنا دليل على ما قال المؤلف؟ نعم.

هل هو محل اتفاق بين أهل السنة؟ الحمد لله؛ هو أمر متفق عليه لا خلاف فيه.

مسألة: النفي المحض لا يُفيد كمالًا، هذه القاعدة قد مرت معكم في "القواعد المُثلى"، النفي المحض لا يُفيد كمالًا، النفي لا يُفيد كمالًا إلا بإثبات كمال الضد.

يعني: العجز ضده القدرة، فإذا قلت: لا شيء يعجزه لكمال علمه وقدرته تبارك وتعالى؛ فتكون هنا قد وصفته بالكمال، أما أن تقول: لا يُعجزه شيء وتسكت؛ لا يلزم من هذا الوصف بالكمال؛ لأن النفي ربما يكون لغير هذا المعنى كما قال الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدُرونَ بِذِمَّةٍ ولا يَظْلِمون النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

هذا نفي (لا يَغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل)، فإنه لما وصفهم قبل هذا وصغّرهم بقوله (قُبَيِّلَة)؛ عُلِمَ أن المراد: أن المانع لهم من الغدر ومن ظلم الناس ليس كمال عدلهم وكمال أمانتهم، لا، وإنما المراد: عجزهم وضعفهم عن ذلك.

إذن النفي الصِّرف لا مدح فيه حتى تُثبت كمال الضد، فنحن هنا لما نقول (ولا شيء يُعجزه)، لماذا؟ لكمال قدرته تبارك وتعالى وكمال علمه؛ لذلك قال أهل العلم: لما استقرؤوا

الأدلة من الكتاب والسنة قالوا: في كتاب الله يأتي الإثبات للصفات مفصلاً- الإثبات وليس النفي- ويأتي النفي مُجملاً.

يعني: تأتيك آيات في النفي؛ تنفي عن الله سبحانه وتعالى كل نقص بشكل مجمل، لكن لا تأتي بالتفصيل؛ ليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا...، ليست هذه طريقة القرآن، أما الإثبات فيأتي: سميع، بصير، عليم، حكيم، قدير... إلخ؛ لأنها مثبتة، وتجد بعض الصفات فيها تفصيل في النفي؛ لكنه ليس هو الغالب الأكثر، ويوجد بعض الآيات أيضاً فيها إجمال في الإثبات، ولكن ليس هي الأكثر.

هذه الطريقة- طريقة القرآن- خالفها أهل الكلام؛ المتكلمون، فصاروا يكثرون من التفصيل في النفي؛ فيقولون: ليس بجسم ولا جوهر ولا عَرَض ولا بذي لون ولا رائحة ولا طعم ولا كذا، ولا كذا... إلخ، والواجب هو السير على طريقة القرآن.

إذن نفعل كما جاء في كتاب الله؛ إثبات مفصل غالبا ونفي مجمل غالباً، ونثبت ما أثبته الله لنفسه وننفي عنه ما نفى عن نفسه؛ قاعدتنا هنا واحدة: نثبت ما أثبت الله لنفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ، وننفي عنه ما نفى عن نفسه في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ، ونسكت عن الباقي، هذه طريقة السلف وهي أسلم طريقة في الكلام في ذات الله وفي أسمائه وصفاته، والأمر في هذا ليس سهلًا.

قال أهل العلم في موضوع النفي أيضًا: النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه؛ ربما تكون فيه إساءة أدب.

نفي مُجَرَّد فقط مع عدم إثبات الضد، مع أنه لا مدح فيه، أيضاً ربما تكون فيه إساءة أدب، فلو أنك قلت لسلطان مثلًا: أنت لست زبالًا ولا كلباً ولا حيوانًا ولا ما شابه، هل يقبل

منك هذا؟ هل يعتبر هذا أدباً وثناء منك عليه؟ لا، ولو فعلت هذا؛ لأدَّبك على ما قلت؛ لأنه يريد المدح بالإثبات.

على كل حال أهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة في التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية، ويتكلمون بما ورد في الشرع من الكتاب والسنة، وأهل البدع يتوسعون؛ لأنهم فتحوا المجال لأنفسهم بالابتداع في دين الله، وفي الكلام في الله سبحانه وتعالى بدون علم بعقولهم فقط؛ فتجاوزوا ووقعوا في الحرام.

هذا ما يتعلق بهذه الفِقرة. والله أعلم والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الرابع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

فمعنى اليوم الدرس الرابع من دروس شرح العقيدة الطحاوية، وقد وصلنا عند قول المؤلف: **(ولا إلهَ غَيْرُهُ)**

الضمير هنا في قوله: (غيره) عائد إلى لفظ الجلالة المتقدم؛ أي: لا إلا الله؛ هذه كلمة التوحيد، ومعناها: لا معبودَ بحق إلا الله.

(لا إله)؛ أي: لا معبود، والإله: هو المعبود في لغة العرب؛ وبهذا فسَّره أهل السنة والجماعة؛ فقالوا: (لا إله)؛ أي: لا معبود، وقدروا خبر (لا) المحذوف بـ: "حقٌّ"؛ أي: لا إله حق إلا الله؛ فيكون المعنى: لا معبود بحق إلا الله، وأخذو هذا من قول الله تبارك وتعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الحج: ٦٢] هذا معنى كلمة التوحيد عند أهل السنة والجماعة.

وأما المؤلف فأخذ قوله: **(لا إله غيره)** من قول الأنبياء لأقوامهم لما أرسلوا إليهم، قال الله سبحانه وتعالى عنهم في كتابه الكريم: {قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٦٥] من هنا أخذ المؤلف هذه الجملة التي ذكرها، هذه الكلمة قالها نوح، وقالها هود وصالح وشعيب، والأنبياء جميعاً كانت هذه دعوتهم؛ كما تقدم ذكر ذلك.

وقد ذكرنا أن أهل السنة والجماعة وكذلك أهل اللغة يفسرون الإله بالمعبود؛ لأن هذا ما دَلَّت عليه اللغة العربية وهو ما دلت عليه الآيات في كتاب الله وكذلك الأحاديث في سنن النبي ﷺ وهي كثيرة؛ ومنها هذا الذي ذكرنا: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} المعنى واضح؛ ما لكم معبود إلا هو الذي يُعْبَدُ بحقٍّ.

خالف المتكلمون في معنى كلمة التوحيد؛ فقالوا: الإله بمعنى القادر على الاختراع؛ فَرَدُّوا المعنى إلى الربوبية، ولا شك أنه لا خالق إلا الله، وأنه لا رازق إلا الله، وأنه لا مُدَبِّرَ إلا الله؛ لا شك في هذا، وهذا من التوحيد أيضاً، لكن لم يكن هذا هو سبب النزاع بين الأنبياء وأقوامهم، فلو كان هذا المعنى هو المراد من كلمة التوحيد؛ لما حصل اختلاف بين الأنبياء وأقوامهم، ولا حصل نزاع ولا فرقة ولا عذاب على الشرك في هذا؛ لأن أقوامهم كانوا يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المدبر؛ فلا يأتي نبي يدعو القوم الى أمر هم يؤمنون به؛ ولكنه يدعوهم إلى أمر أشركوا فيه وخالفوا فيه؛ وبهذا يحصل النزاع بين الأنبياء وأقوامهم، النبي ﷺ لما بعث الى قومه قال: "يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"؛ فماذا ردوا عليه؟ قالوا: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: ٥]، وقالوا: ما يريد هذا الرجل إلا أن يصرفكم عن آلهتكم؛ أي: عن معبوداتكم التي تعبدونها من دون الله؛ بينما ذكر الله سبحانه وتعالى عنهم في كتابه الكريم؛ قال: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان: ٢٥]؛ فليس عندهم إشكال في هذا؛ لذلك كانت أعظم دعوة الأنبياء إلى هذا التوحيد- توحيد إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة-؛ لأن الشرك كان حاصلاً فيه، ولا شك أن الذي يُدعى إلى عبادة الله وحده هو الذي يؤمن بأن الله خالق رازق مدبر، وأن الله موجود، ولو لم يكن يؤمن بهذا؛ فتبدأ معه بالإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى- هذا مُسَلَّمٌ به-؛ فالدعوة إلى إفراد الله سبحانه

وتعالى بالعبادة هي متضمنة الدعوة إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بربوبيته وأسمائه وصفاته أيضاً، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

فلما خالف المتكلمون في هذا المعنى؛ بنوا على ذلك أموراً عظيمة؛ فصار التوحيد عندهم ينقسم إلى: توحيد الذات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد الأسماء والصفات، وليس عندهم ذكر لتوحيد الألوهية في أقسام التوحيد التي عندهم، نعم يوجد بعض المتكلمين- وهم قِلَّةٌ- يذكرون توحيد الألوهية، توحيد العبادة؛ لكن ليسوا هم الأكثر، ولا هو التوحيد الأهم عندهم؛ وهذا يفسر انتشار الشرك في البلاد التي يوجد فيها من علماء المتكلمين ومن الصوفية؛ لماذا؟ لأنهم لا يرفعون رأساً بتوحيد الألوهية، ولا يهتمون به الاهتمام المطلوب، حتى توحيد الربوبية الذي يدندنون به؛ ليس التوحيد الذي أراده الرسل، ولا هو التوحيد الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ لا؛ إنما أدخلوا في ذلك من أنواع الضلال والفساد والتحريف الشيء الكثير؛ أدخلوا في ذلك: نفي الصفات؛ فنفي الصفات عندهم من التوحيد.

والتوحيد بارك الله فيكم: نفي وإثبات؛ لا بدَّ من النفي والاثبات؛ {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: ٣٦]، {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} [الإسراء:٢٣]، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]؛ هذا كله فيه نفي واثبات، وإبراهيم والذين معه ماذا قالوا لقومهم؟ قال تعالى: {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة:٤] هنا أيضاً نفي واثبات؛ بهذا يتحقق معنى التوحيد.

الأمر الأخير الذي نريد أن ننبه عليه هنا؛ هو:

قلنا إن معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا الله، (لا) هذه نافية للجنس، لها اسم وخبر، اسمها: (إله): (لا إله)، وخبرها محذوف له تقدير؛ قدَّره بعض النحاة؛ فقال: (لا إله موجود إلا الله)؛ وهذا التقدير خطأ وباطل؛ إذ الآلهة الموجودة كثيرة؛ المعبودات التي عبدت من دون الله كثيرة، انظر ماذا قال المشركون للنبي ﷺ : {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا}، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الذين كانوا يعبدون أنواعاً من المعبودات؛ فمن الناس من كان يعبد القمر، ومنهم من يعبد الشمس، أو يعبد الكواكب أو يعبد الأصنام، أو يعبد الجن، أو الملائكة؛ فالمعبودات كثيرة ومذكورة في كتاب الله سبحانه وتعالى؛ فلا يصح أن يقال معنى: (لا إله إلا الله) لا إله موجود؛ لأن هذا يكذبه الواقع.

أو أنك تريد أن كل الموجودات هي الله، (لا إله موجود)؛ أي: كل المعبودات هي الله؛ وهذا القول كفر، وهو قريب من قول الذين يقولون بالحلول والاتحاد.

إذاً ما هو التقدير الصحيح؟

يُرْجَعُ إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حتى نصل الى التقدير الصحيح، وقد وجدنا قول الله تبارك وتعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الحج: ٦٢]؛ فمن هنا أخذ العلماء التقدير؛ فقالوا: لا إله حق إلا الله؛ فيكون خبر لا النافية للجنس: "حق"؛ هذا ما أردنا أن نذكره في هذه الجملة.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(قَدِيمٌ بِلا ابْتِداءٍ، دَائِمٌ بِلا انْتِهاءٍ، لا يَفْنى ولا يَبِيدُ)**

ماذا يعني الطحاوي بقوله عن الله سبحانه وتعالى: **(قديم بلا ابتداء)**؟

يريد من هذا أن الله سبحانه وتعالى موجود من القدم وموجود أبداً؛ يعني: لا يوجد وقت من الأوقات لا يكون الله سبحانه وتعالى موجوداً فيه؛ لا في السابق ولا في

الحاضر ولا في المستقبل؛ فالله سبحانه وتعالى وجوده دائم لا ينقطع أبداً، لا انقطع في الماضي ولا ينقطع في المستقبل.

فقوله: (قديم بلا ابتداء)؛ لا يوجد نقطة في الماضي ابتدأ بها وجود الله سبحانه وتعالى؛ لا، أبداً؛ الله سبحانه وتعالى دائماً موجود.

قوله: **(دائم بلا انتهاء)** يبقى دائماً لا ينتهي وجوده أبداً، **(لا يفنى)** فناء: لا يزول؛ يعني: لا يصير عدماً.

وقوله: **(ولا يبيد)** بنفس معنى لا يفنى؛ أي: لا يصير عدماً أبداً؛ فالعدم مستحيل عليه تبارك وتعالى؛ هذا المعنى المراد؛ وهو معنى متفق عليه بحمد الله بين المسلمين، وحتى الكثير من الكفار.

لفظ القديم والدائم؛ لم يردا في الكتاب والسنة؛ إنما الوارد: الأول والآخر؛ كما في قول الله تبارك وتعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد:٣]، وفسر هذا حديث في "الصحيح": قال النبي ﷺ : "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء"؛ وهذا الحديث يفسر معنى الأول والآخر؛ وهو المعنى الذي أراده المؤلف بقوله: (القديم والدائم)، لكن التعبير بالقديم والدائم لم يرد، الوارد: الأول والآخر، والأصوب: أن يعبر بهذا اللفظ؛ فيقال: هو الأول والآخر؛ لكن هل يحرم استعمال هذا اللفظ كخبر عن الله تبارك وتعالى؟

أجاز العلماء استعمال مثل هذا في الأخبار، الألفاظ التي تدل على معان صحيحة في حق الله سبحانه وتعالى؛ مثل هذا أجازوه في الأخبار؛ يعني: تخبر عن الله سبحانه وتعالى بهذا؛ فتقول: الله قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء، أما التسمية؛ فلا؛ لأن أسماء الله تبارك وتعالى توقيفية؛ فلا يجوز أن تقول: يا قديم يا دائم.

فأما الإخبار؛ فتخبر بهذا، وأما التسمية؛ فتسمي: الأول والآخر كما سمى الله سبحانه وتعالى؛ فكما ذكرنا الأسماء والصفات توقيفية؛ يعني: هي موقوفة على ما ورد في الكتاب والسنة لا نزيد على ذلك ولا نتجاوز؛ هذا المراد من هذا.

المتكلمون أطلقوا اسم القديم على الله سبحانه وتعالى؛ فيقولون: هذا يجوز على القديم؛ وهذا خطأ؛ لعدم وروده في الكتاب والسنة، وبعض أهل العلم قالوا: القديم لا بد له من جديد؛ فلا يصح أن يقال في حق الله سبحانه وتعالى.

أما تقرير العقيدة؛ فكما ذكرنا: هذا أمر لا اختلاف فيه بحمد الله بين المسلمين؛ لأن الله سبحانه وتعالى وجوده دائم ولا يفنى تبارك وتعالى، {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٦- ٢٧]؛ فالكل يفنى إلا الله سبحانه وتعالى، الفناء- فناء المخلوقات- بيد الله سبحانه وتعالى.

يعني: يقول لك قائل: أهل الجنة خالدون لا يفنون، وأهل النار خالدون لا يفنون؛ فهل هناك فرق بين عدم فناء المخلوق وعدم فناء الله سبحانه وتعالى؛ الله لا يفنى ولا يبيد؟

نقول: نعم هناك فرق؛ المخلوق وجوده جائز؛ يعني: ممكن أن يفنى وممكن أن يبقى، وبقاؤه وفناؤه بيد الله سبحانه وتعالى، أما الخالق؛ فمستحيل أن يفنى تبارك وتعالى؛ هذا الفرق.

المخلوقات جميعها مسبوقة بعدم؛ لكن الله سبحانه وتعالى وجوده غير مسبوق بعدم، وبعض المخلوقات تبقى ولا تفنى؛ لكن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى؛ إذا أراد فناءها أفناها، أما هو تبارك وتعالى؛ فلا يفنى.

قال المؤلف رحمه الله: **(ولا يَكونُ إلَّا ما يُرِيدُ)**

لا يكون إلا ما يريده الله تبارك وتعالى؛ فهو تبارك وتعالى فعال لما يريد، كما قال سبحانه وتعالى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}؛ فالله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء، وهو رب كل شيء، ويفعل ما يشاء تبارك وتعالى.

وإرادة الله تبارك وتعالى إرادتان؛ إرادة كونية، وإرادة شرعية.

الإرادة الكونية: كل ما يحصل في هذا الكون؛ فقد حصل بإرادته الكونية؛ وهذه الإرادة هي المقصودة في قوله تعالى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}، {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: ١٢٥]؛ هذه إرادة كونية.

أما الإرادة الشرعية؛ فهي ما أراده الله شرعاً، فما أمر الله سبحانه وتعالى به وأراد منا أن نتقرب إليه به؛ فهذا مما أراده شرعاً، أراد منا الإيمان، أراد منا أن نصلي، وأن نصوم، وأن نزكي؛ هذه كلها إرادة شرعية؛ أرادها شرعاً؛ يعني: أراد منا هذه الأشياء إرادة شرعية، وهذه ربما تحصل وربما لا تحصل، أمر الله الناس بالإيمان؛ منهم من يؤمن ومنهم من يكفر، أمرهم بالصلاة؛ منهم من يصلي ومنهم من لا يصلي.

إذن هذه الإرادة الشرعية لله سبحانه وتعالى من حيث الحصول؛ ربما تحصل وربما لا تحصل؛ لكن الله سبحانه وتعالى يحبها ويرضاها؛ لذلك شرعها، من حيث المحبة؛ الله سبحانه وتعالى يحب ما شرعه ويرضاه.

أما الإرادة الكونية، فمن حيث الحصول؛ إذا أراد شيئاً حصل، وإذا قضى أمراً؛ فإنما يقول له كن فيكون، قال سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]؛ هذا إرادة كونية، من حيث الحصول يحصل ما أراده الله، ومن حيث المحبة

والرضا؛ فما يحصل ربما يحبه ويرضاه وربما لا يحبه ولا يرضاه؛ فإيمان المؤمن إذا حصل يحبه الله ويرضاه، أما كفر الكافر؛ فلا يحبه ولا يرضاه؛ لكنه يحصل بإرادته تبارك وتعالى.

وهذه الإرادة الكونية هي نفسها المشيئة؛ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

هذه من مباحث القدر، وخالف في هذه المسألة القدرية والمعتزلة؛ فهؤلاء زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر؛ فما الذي تحقق؟

تحققت إرادة الكافر، ولم تتحقق إرادة الله سبحانه وتعالى.

وقولهم هذا مخالف للكتاب والسنة؛ هؤلاء يقولون بأن العاصي يعصي بإرادته والله سبحانه وتعالى لا يريد منه المعصية لا كونًا ولا شرعاً، ولا يعترفون بالإرادة الكونية لله سبحانه وتعالى في مثل هذا؛ في أفعال العباد؛ العبد عندهم يفعل بإرادته وإن لم يرد الله ذلك.

هؤلاء قدرية وسيأتي موضوع القدر في موضعه، والمؤلف رحمه الله فرَّق مسائل القدر.

أهل السنة يقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قَدَرَاً؛ فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها؛ بل ينهى عنها ويبغضها؛ لكن عندهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا شيء يكون في هذا الكون إلا بإرادته تبارك وتعالى، وهذه الآية واضحة: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}؛ إذاً حصل الإضلال بإرادته أم لا؟ نعم حصل بإرادته، والله يفعل ما يريد، ويضل من يشاء؛ فلا توجد إرادة تغلب إرادة الله سبحانه وتعالى؛ {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٩]، وهذه الآية واضحة ودلالتها صريحة، وهؤلاء جعلوا إرادة العبد غالبة لإرادة الله سبحانه وتعالى- تعالى الله عما يقولون، ونعوذ بالله-، وكما ذكرنا ستأتي إن شاء الله زيادة بيان لمسألة القدر في موضعها إن شاء الله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس الخامس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

فمعنا اليوم الدرس الخامس من دروس شرح العقيدة الطحاوية.

وقد وقفنا عند قول المؤلف رحمه الله: **(لا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ)**

يقصد بالأوهام هنا: الظنون والخيالات، وأما الأفهام؛ فالمقصود بها هنا: العلم، الفهم، المعرفة.

فقوله: **(لا تبلغه الأوهام)**؛ أي: فلا يمكن للعباد أن يدركوا حقيقة ذات الله تبارك وتعالى أو صفاته بِوَهْمٍ وتَخَيُّلٍ؛ هذا معنى (لا تبلغه الأوهام)، مهما ظَنَّتِ العقول وتخيلت؛ لن تبلغ حقيقة الرب تبارك وتعالى وصفاته؛ لأن هذه العقول مهما ظنت وتخيلت؛ فلن تخرج عَمَّا تعرفه من الواقع الذي تعيشه؛ ففي الحقيقة هي ستصل إلى التَّشْبيه؛ فالمقصود بعدم إدراك الأوهام: عدم إدراكها حقيقة ذات الله تبارك وتعالى وصفاته.

وقوله: **(ولا تدركه الأفهام)** الأفهام بمعنى العلم؛ يعني: لا يمكن أن تدركه معرفة العباد والعلم.

ما المقصود بالإدراك هنا؟

العلم بالله تبارك وتعالى وبأسمائه وصفاته ثابت؛ وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ، ونحن نؤمن ونصدق بهذا، والمؤلف ممن يقرر ذلك؛ فما معنى قوله: (ولا تدركه الأفهام)؟

الإدراك يختلف عن العلم بالشيء؛ الإدراك هنا فيه معنى الإحاطة، وليس مجرد العلم بالأسماء والصفات التي ذكرت في الكتاب والسنة؛ فهذا ثابت، وأما الإحاطة؛ فمنفية؛ لذلك لم يقل المؤلف: (لا تعرفه الأفهام) أو (لا يعرفه الناس)؛ هذا الأمر يختلف، قال الله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣]، وقال: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: ١١٠]؛ فالإحاطة شيء والمعرفة بما علمنا في الكتاب والسنة شيء آخر، والله سبحانه وتعالى قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]، فعلى هذا: مهما تخَيَّل الإنسان، ومهما ظنَّ؛ لا يستطيع أن يدرك حقيقة الله سبحانه وتعالى أو حقيقة صفاته.

لكنّ المعرفة؛ بمعنى العلم بالله والعلم بأسمائه وصفاته؛ هذا مثبت؛ من أين؟

من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ؛ إذاً عندنا فرق بين العلم وبين الإحاطة؛ فالمنفي هو الإحاطة، والمثبت هو العلم بما علمنا في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ، وعدم بلوغ الأفهام؛ يعني: لا تبلغ الظنون والخيالات أن تعرف حقيقة الرب تبارك وتعالى وحقيقة صفاته؛ هذا المعنى المقصود من كلام المؤلف.

قال: **(ولا يُشْبِهُهُ الأَنَامُ)**

الأنام: هم الخلق-أي: الناس-، والمعنى: أن الخلق لا يشبهون الخالق.

وهذا ردٌّ لقول المشبهة الذين قالوا: يدٌ كيد؛ أي: أن الله سبحانه وتعالى له يد كأيدينا، ويتكلم ككلامنا، ويسمع كسمعنا؛ هذا هو التشبيه؛ وهذا محرم.

ويوجد فرقة من الفرق الضالة، اسمها المشبهة، من رؤوسهم: داود الجواربي[١]؛ شبهوا الله سبحانه وتعالى بخلقه؛ وهذا معنى التشبيه المحرم المنفي؛ وهو معنى قول المؤلف: (لا يشبهه الأنام)، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}؛ فهو تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، وقد قال السلف رضي الله عنهم: (من وصفَ اللهَ، فَشَبَّهَ صفاتِهِ بِصفاتِ أَحَدٍ مِنْ خلق الله؛ فهوَ كافِرٌ باللهِ العظيمِ).

وفسَّر علماء السلف معنى التشبيه المحرم، الذي نفاه الله تبارك وتعالى في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}؛ لما ذكر الترمذي حديث: "إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ..." الحديث[٢]، ذكر عن السلف رضي الله عنهم تفسير التشبيه الذي نفوه؛ قال رحمه الله: (قد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهُهُ: هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا؛ قالوا: قد تَثْبُتُ الروايات في هذا ويؤْمَنُ بها، ولا يُتَوهم، ولا يُقال: كيف؛ هكذا رُوي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك؛ أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أَمِرُّوها بلا كيف) أي: لا تسألوا عن الكيفية؛ بل تؤمنون بها كما هي؛ كما وردت، تصدقون بذلك، ولا تكيفون.

١- قال الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٧٣٩/٥): (كان رافضيًّا مجسّمًا كهشام بن الحكم...)

٢- "سنن الترمذي" (٦٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: (وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة؛ وأما الجهمية؛ فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه).

لاحظ هنا! يقول: (وأما الجهمية...)؛ ماذا يعنون بالجهميَّةِ؟

يعنون بهم العقلانيين جميعاً؛ سواء كانوا من الجهمية أو المعتزلة أو الأشاعرة أو الكلابية.

ومن عجيب ما ترى في هذا الزمان: أن البعض يحشر الأشاعرة في أهل السنة؛ فانظر إلى الفرق! عند السلف رضي الله عنهم هؤلاء الجهمية ليسوا من أهل السنة؛ قال: السنة والجماعة شيء والجهمية شيء آخر؛ فالجهمية ضابطهم تقديم العقل على النقل، ويجمع الجهمية جميعاً؛ ومنهم الأشاعرة، كيف يكون جهميًّا وأهل سنة وجماعة؟! لا يجتمعان؛ الأشعري يقدم العقل على النقل، عنده أصل ثابت في هذا؛ فهو من ضمن الجهمية؛ لا من ضمن أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة يقدمون الكتاب والسنة على كل شيء، والجهمي يقدم العقل على النقل؛ ومنه الأشعري، ثم يأتي شخص ويقول: الأشاعرة من أهل السنة والجماعة؟! هذا أحد ثلاثة رجال؛ إما أنه لا يعرف معنى أهل السنة والجماعة، أو لا يعرف الأشاعرة، أو لا يعرف لا هذا ولا ذاك؛ فهذا القول ضلال؛ أن يُدْخِلَ الأشاعرة في أهل السنة والجماعة؛ هذا ضلال؛ إذ أنه خلط الحق بالباطل، وَلَبَّسَ على الخلق، وكان السلف يشددون جداً على من يفعل ذلك.

قال الترمذي رحمه الله: (وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات؛ وقالوا: هذا تشبيه) انظر كيف خلطوا الأمور ببعضها؛ فقالوا: هذا تشبيه.

قال الترمذي: (وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر؛ فتأوَّلتِ الجهمية هذه الآيات؛ ففسروها على غير ما فَسَّر أهل العلم) انظر كلمات الترمذي

هذه وافهمها، وأنا أنصح كل سلفي أن يحفظ هذا الكلام؛ لأن فيه بياناً واضحاً وتفريقاً بين الجهمية وأهل السنة، وفيه تمييزاً بين التشبيه الذي نفته الجهميَّة، والتشبيه المحرم الحقيقي؛ فالتشبيه عند الجهمية هو إثبات الصفات؛ فانظر هنا ما قاله الترمذي؛ قال: (وأما الجهمية؛ فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه)؛ خلافاً لمنهج أهل السنة والجماعة، قال: (وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر)، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنه موصوف بهذه الصفات، وهم جعلوه تشبيهاً؛ إذا أثبتَّ لله هذه الصفات التي أثبتها لنفسه؛ جعلوا هذا تشبيهاً، وأما السلف؛ فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف؛ يعني: تؤمنون بها، لا تردونها، لكن انظر ما قاله الترمذي بعد ذلك؛ قال: (فتأولت الجهمية هذه الآيات؛ ففسروها على غير ما فسر أهل العلم)؛ ماذا يعني؟

يعني: يوجد تفسير للجهمية، ويوجد تفسير لأهل السنة والجماعة؛ ولذلك تجد بعض أهل السنة والجماعة يقول: (نحن نؤمن بهذه الصفات بلا تفسير)؛ لكننا نجد الترمذي هنا يقول: قد فسَّر أهل العلم من أهل السنة هذا؛ فكيف يقولون: (بلا تفسير)؟

الجواب: التفسير تفسيران؛ تفسير جهمي، وتفسير سني؛ فالمنفي عند أهل العلم في قولهم: (بلا معنى، وبلا تفسير)؛ المقصود به: المعنى الذي ذهبت إليه الجهمية، والتفسير الذي ذهبت إليه الجهمية؛ فيقول أهل السنة: بلا معنى وبلا تفسير؛ أي: ردّاً على الجهمية؛ أي: المعنى أننا نمرها كما جاءت، ولا نفسرها كتفسير الجهمية، ولا نثبت المعنى الذي أثبتته الجهمية كالاستواء؛ فالجهمية يقولون: استوى بمعنى: استولى؛ هذا التفسير باطل؛ هذا المعنى باطل؛ هذا معنى قولهم: بلا تفسير وبلا معنى؛ فلا يُلَبِّسَنَّ عليكم الأشاعرة المفوضة ويقولون: المعنى الذي أراده السلف: أننا لا نفهم معنى الصفات؛ هذا الكلام باطل، ولم يُرِدْهُ

السلف بقولهم: بلا تفسير وبلا معنى؛ لأن السلف قد فسروا الصفات وبينوا معناها، وانظر كلام الترمذي هنا؛ قال: (ففسروها على غير ما فسر أهل العلم)؛ إذاً أهل العلم فسروا، وهذا موجود في كلامهم.

قال الترمذي: (وقالوا:) أي: الجهمية (إنَّ الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد ها هنا: القوة) انظر تفسير الجهمية، وكيف فسروا اليد بالقوة! هذا هو التفسير الذي كان يردُّه السلف رضي الله عنهم.

قال الترمذي: (وقال إسحاق بن إبراهيم) يعني: ابن راهويه (إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيد أو مثل يدٍ، أو سمعٌ كسمعٍ أو مثلُ سمعٍ، فإذا قال: سمعٌ كسمعٍ أو مثلُ سمعٍ؛ فهذا التشبيه) يعني: المحرم الذي نفاه الله سبحانه وتعالى في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}؛ قال: (وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصر، ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمعٍ، ولا كسمعٍ؛ فهذا لا يكون تشبيهاً؛ وهو كما قال الله تعالى في كتابه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}) انظر ها هنا لهذا التفسير وانظر الفرق بينه وبين التشبيه الذي تقوله الجهمية.

وهذا تلخيص عظيم بكلمات دقيقة لمنهج أهل السنة والجماعة، والفرق بينه وبين منهج العقلانيين المتكلمين الجهمية، إذاً عندما تنفي التشبيه؛ نقول لك: ماذا تريد من نفي التشبيه؟

إن أردت أن تنفي الأسماء والصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى؛ نقول لك: هذا كلام باطل، أما إن أردت نفي التشبيه الذي هو: يدٌ كيد، ويدٌ مثل يد؛ فنقول لك: نعم هذا

حرام؛ وهو الذي وقعت فيه المشبِّهة؛ وهذا باطل؛ وبهذا يحصل الفارق بين أهل السنة والجماعة والفرق الضالة.

ثم قال المؤلف بعد ذلك: **(حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ)**

هذا لقول الله تبارك وتعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥]، وقال: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [آل عمران: ٢]، وقال: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} [طه: ١١١]، آيات تثبت هذا الذي ذكره المؤلف هنا؛ بأن الله حيٌّ؛ يَتَّصِفُ بصفة الحياة، واسمه: الحي، قيوم؛ يتصف بهذه الصفة؛ واسمه القَيُّوم؛ فهو اسم يتضمن صفة؛ صفة الحياة وأيضاً صفة أنه قيوم.

ومعنى الحيّ معروف؛ فالله سبحانه وتعالى حيٌّ لا يموت؛ هذه الصفة- صفة الحياة- الباقية مختصة به تبارك وتعالى دون خلقه؛ فالخلق يموتون، والحياة التامة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، من الصفات التي تختص بالله سبحانه وتعالى دون خلقه؛ هذه من الفوارق بين الخالق والمخلوق؛ فالخلق لا يشبهونه في هذه الصفة؛ فكأن المؤلف رحمه الله يشير إلى أن المراد في كلامه المتقدم؛ بأنه (لا يشبهه الأنام) لا نفي الصفات؛ بل إثباتها كما يليق بجلال الله وعظمته؛ أي: وإن كان المخلوقون أيضاً يوصفون بالحياة؛ لكن هذه الحياة ليست كهذه الحياة؛ وهذا مما يختص به الله سبحانه وتعالى؛ أنه حي لا يموت، ليس كحياة المخلوقين.

إذن نثبت الصفات لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته؛ فنقول: هو حي حياة تليق بجلاله وعظمته، وليست كحياة المخلوقين؛ فحياة الله سبحانه وتعالى حياة لا موت فيها بخلاف حياة المخلوقين، انظر الفارق!

حتى وإن وجدت صفات اتصف بها الخالق واتصف بها المخلوق؛ إلا أنها لا تشبه بعضها؛ فصفة الخالق صفة كمال وصفة المخلوق صفة نقص تليق به؛ فهذا فارق، هو حي لا يموت، بخلاف المخلوق؛ أنه حي يموت؛ فرق بين هذه الصفة وهذه الصفة، لا تشبيه في الأمر، إذا اثبتَّ الصفات على هذا النحو؛ فأنت لست مشبهاً.

أما القيُّوم؛ فمعناه: القائم بنفسه؛ فلا يحتاج إلى أحد من خلقه؛ فهو قائم بنفسه وقائم على غيره أيضاً؛ فكل الخلق هو الذي يقوم عليهم؛ فهو الذي يخلقهم، وهو الذي يطعمهم، وهو الذي يسقيهم، وهو الذي يحفظهم؛ هو القائم على خلقه؛ أي: القائم بتدبير خلقه وجميع أحوالهم، والمخلوقات لا قيام لها ولا وجود لها ولا بقاء لها ولا صلاح لها أبداً إلَّا به سبحانه وتعالى، وأما هو؛ فليس بحاجة لأحدٍ.

وهاتان صفتان من صفات الكمال التي يتصف بها تبارك وتعالى؛ حيٌّ حياة كاملة لا يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء، ولا تأخذه سنة ولا نوم، فالسِّنةُ: مقدّمات النوم، والنوم نقص في الحياة، والله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن ذلك.

انظر الفارق بين حياة الخالق وحياة المخلوق؛ وعلى هذا فامضِ وقِسْ جميع صفات الله سبحانه وتعالى، حتى وإن اتَّصف المخلوق بصفات؛ فهذه الصفات لا تشبه صفات الخالق؛ كذلك تقول في اليد والسمع والبصر وغير ذلك؛ الله له يد ونحن لنا أيد؛ لكن الفارق عظيم بين هذه وهذه؛ ليست هذه مثل هذه ولا تشبهها، وكذلك السمع والبصر وغير ذلك مما اتصف الله سبحانه وتعالى به؛ وهذا معنى قولنا: (نثبت لله سبحانه وتعالى الصفات كما يليق بجلاله وعظمته) أي: أنها صفات كمال لا كصفات المخلوقين؛ المخلوق ناقص يليق به النقص في صفاته؛ بينما الخالق: لا.

وهذا معنى الوجود كذلك؛ الله موجود ونحن موجودون، وليس وجودنا كوجوده، الله حي ونحن أحياء، وليست حياته كحياتنا، له يد ولنا أيد، وليست يده كأيدينا؛ وهكذا؛ فلا يلزم من إثبات الصفات التشبيه كما تقوله الجهمية؛ الجهمية يقولون: يلزم من إثبات الصفات التشبيه؛ نقول: هذا باطل، ماذا تريدون بالتشبيه؟

إن أردتم بالتشبيه: يدٌ كيد؛ فنقول: هذا لا يجوز، أما إن أردتم بالتشبيه: إثبات الصفات؛ فنقول: لا يلزم من إثبات الصفات التشبيه؛ لأننا نثبت لله سبحانه وتعالى الصفات كما يليق بجلاله وعظمته، ولا نقول: كصفاتنا أو مثل صفاتنا؛ وينتهي الأمر؛ فلا إشكال إذاً.

قال: **(قيوم لا ينام)** فهو يقوم بنفسه ويقوم على خلقه، والنوم ينافي كمال الحياة وينافي كمال القيُّومِيَّةِ أيضاً.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(خَالِقٌ بِلا حاجَةٍ، رَازِقٌ بِلا مُؤْنَةٍ)**

قوله: **(خالق بلا حاجة)**؛ يعني: أن الله سبحانه وتعالى خالق الخلق بدون حاجة إليهم؛ فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الخلق لحاجته إليهم؛ فهو مستغنٍ تبارك وتعالى؛ فليس بحاجة لخلقه في شيء مطلقاً.

قوله: **(ورازق بلا مؤنة)**؛ أي: بلا كلفة؛ يعني: يرزق العباد ولا ينقص من رزقه شيء، ولا يتعبه شيء، ولا يثقل عليه شيء، قال تبارك وتعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٦- ٥٨]؛ فهو خالقهم ولا يريد منهم رزقاً ولا إطعاماً، هو الذي يرزق الجميع، وهو ذو القوة التامة، قال الله تبارك وتعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: ١٥]، وقال في الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ

وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا". أخرجه مسلم.

قال المؤلف رحمه الله: **(مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ)**

قوله: **(مميت بلا مخافة)** يميت الخلق- العباد- بلا مخافة؛ لا يخاف من أحد، والله منزه عن الخوف، وهو فَعَّالٌ لما يريد، يميت من يشاء ولا يخاف أحداً؛ فهو خالق الخلق، وهو مالكه، وهو القادر عليهم.

قوله: **(باعث بلا مشقة)** يبعث الخلق ولا يَشَقُّ ذلك عليه؛ كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: ٤-٦]؛ فالله سبحانه وتعالى يبعث الخلق، ولا يحصل بسبب بعثه للخلق مشقة عليه؛ فالله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً إنما يقول له: كن؛ فيكون؛ فلا تعب ولا مشقة ولا شيء من هذا، قال الله تبارك وتعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [العنكبوت: ١٩]، وقال: {مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لقمان: ٢٨]، {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧]؛ هذا فيه إثبات البعث، وفيه أيضاً كمال الله تبارك وتعالى؛ إذ إنه يميت ولا يخاف أحداً، ويبعث ولا مشقة عليه في ذلك؛ وهذا كله الذي ذكره المؤلف واضح والحمد لله ولا إشكال فيه.

المسألة القادمة مسألة طويلة تحتاج أن نقف معها وقفة؛ فلذلك نؤجلها إلى الدرس القادم.

والله أعلم والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس السادس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح العقيدة الطحاوية؛ وهو السادس، وقد وصلنا عند قول المؤلف رحمه الله تعالى:

(مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا؛ كَذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا)

الكلام عن رب العزة تبارك وتعالى؛ (ما زال) الله (بصفاته قديماً قبل خلقه)، إلى أن قال: (كذلك لا يزال عليها أبديًّا).

ما زال ولا يزال؛ ما زال للإثبات، ولا يزال للإثبات.

(مازال): إثبات أمر في الماضي وتفيد الاستمرار والدوام، (لا يزال): إثبات أمر في الحاضر والمستقبل ويفيد الدوام والاستمرار؛ فكلاهما تفيد الدوام والاستمرار، وكلاهما للإثبات؛ لكن (ما زال): للماضي، و(لا يزال) للحاضر والمستقبل؛ هذا الفرق بينهما.

قوله: **(ما زال)** الله تبارك وتعالى **(بصفاته)**؛ أي: أن الله سبحانه وتعالى بذاته وصفاته كلها دون استثناء- بذاته وصفاته الذاتية والفعلية؛ كل الصفات- **(قديماً قبل خلقه)** قديماً؛ يعني: أزلياً.

وقلنا: هم يستعملون هذا اللفظ، وبَيَّنا لماذا يستعملونه، ويعنون به: الأزل، في القدم: يعني: في الأزل، (قديماً قبل خلقه) يعني: أن الله سبحانه وتعالى موجود قبل وجود الخلق؛ هو موجود من الأزل بذاته وصفاته قبل وجود الخلق؛ قبل خلقه.

قوله: **(لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته)**؛ أي: لم تحدث له صفة بسبب وجود خلقه، لم يكن متَّصِفاً بها قبل وجود الخلق؛ يعني: لا يقال: لم يكن مُتَكَلِّماً ثم صار متكلماً، ولم يكن خالقاً ثم صار خالقاً؛ فلم تكن هذه الصفة معدومة عنده، ممتنعة؛ ثم صارت موجودة ممكنة؛ هذا باطل؛ فلا يتوقف شيء من صفات كماله على وجود شيء من المخلوقات؛ هذا المعنى المراد.

قال: **(وكما كان بصفاته أزليّاً)** كما قررنا هذا- أنه تبارك وتعالى موجود من الأزل بذاته وصفاته- **(كذلك لا يزال عليها أبديّاً)**؛ كذلك لا يزال مُتَّصِفاً بصفات الكمال أبداً؛ أي: هو متصف بهذه الصفات- صفات الكمال- إلى ما لا نهاية؛ هذا معنى قول المؤلف.

الخلاصة: أن الله تبارك وتعالى موصوف بصفات الكمال أزلاً وأبداً، لا يَتَجَدَّدُ ولا يُعْدَمُ شيء من كماله؛ فهو سبحانه الموصوف بصفات الكمال على الدوام أزَلاً- يعني: من القِدَمِ-، وأبداً- يعني: مستقبلاً إلى ما لا نهاية-، قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨] كان للماضي وللاستمرار، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ٥٦]، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ٢٣]، والقول بأن بعض الصفات لا توجد إلا عند الخلق؛ هو قول فيه وصف لله سبحانه وتعالى بالنقص، إذا قلت بأن الله لم يكن قادراً على الخلق ثم صار قادراً على الخلق؛ فقد وصفته بالنقص؛ كان ناقصاً ثم كَمُلَ- تعالى الله عما يقول الظالمون-.

صفات الله تبارك وتعالى نوعان: صفات ذاتية؛ كالعلم والقدرة والوجه واليدين والعينين؛ هذه صفات ذاتية؛ يقول فيها العلماء: لم يزل ولا يزال مُتَّصِفاً بها؛ لم يزل في الماضي، ولا يزال في الحاضر وفي المستقبل إلى مالا نهاية؛ فلا بداية ولا نهاية لهذا؛ هو موصوف دائماً بهذه الصفات؛ هذه صفات ذاتية.

وهذه الصفات الذاتية نفاها بعض المتكلمين كالجهمية والمعتزلة.

وشبهتهم أنهم قالوا: إثباتها يستلزم تعدد القدماء؛ فماذا يعنون بتعدد القدماء؟

يقولون: بأن الله سبحانه وتعالى يوصف بالقدم- يعني: بالأزلية-، فإذا وُصِفَ غيره بالقِدَمِ؛ يعتبر هذا شركاً.

وقالوا: إذا أثبتنا اليدين لله تبارك وتعالى، أو أثبتنا العلم أو الحياة أو الإرادة، إذا أثبتنا هذه الصفات؛ فنكون قد أثبتنا قديماً مع الله سبحانه وتعالى، فإذا كان عندنا علم قديم وحياة قديمة وإرادة قديمة؛ هنا أثبتنا ثلاثة قدماء؛ فصار عندنا ثلاثة آلهة؛ فصار عندنا عدَّة قدماء؛ هذا معنى تعدد القدماء؛ فتصور عندما تزيد الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى كم يصير عندنا من القدماء؟ إذاً صار عندنا شرك في هذا.

انظر كيف نَكَسَ الله سبحانه وتعالى عقولهم وقلوبهم حتى صار عندهم التوحيد شركاً، إثبات ما أثبت الله لنفسه؛ صار عندهم شركاً؛ فوقعوا في نَفْيِ الصفات الذاتية؛ بدعوى تَعَدُّدِ القدماء؛ ليفروا من تعدد القدماء.

وما أدري كيف يقولون عن أنفسهم أنهم عقلاء وأنهم أصحاب عقل، ويتكلمون بالعقل؟! هل إذا وصفت نفسي باليدين والوجه والرأس والقدمين أكون متعدداً؛ أكون خمسة أو

ستة؟! أنا واحد، ولله المثل الأعلى؛ فالله سبحانه وتعالى واحد بذاته وصفاته؛ هذا الأمر الأول؛ هذا النوع الأول من الصفات.

النوع الثاني: الصفات الفعلية؛ وهذه التي تتعلق بمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ يفعلها الله تبارك وتعالى متى شاء؛ فهي متعلقة بمشيئة الله؛ إذا شاء فعلها، وإذا شاء لم يفعلها؛ كالرضا والغضب والحب والبغض وما شابه؛ فهذه متى شاء فعلها ومتى شاء لم يفعلها، وهذه الصفات نفاها المعتزلة والأشاعرة وغيرهم؛ بحجة: منع حلول الحوادث؛ فقالوا: الله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن حلول الحوادث؛ هذه هي شبهتهم في نفي الصفات الفعلية.

وهنا حلول الحوادث لفظ مجمل، مثل تسلسل الحوادث الآتي في كلامنا إن شاء الله.

ماذا يريدون بحلول الحوادث؟

عندما تسمع كلمات لم ترد في الكتاب ولا في السنة من أمثال هؤلاء؛ لا بد من الاسْتِفْصالِ فيها، لا تبادر إلى نفيها ولا إلى إثباتها؛ بل تتوقف وتقول: ما معنى حلول الحوادث عندكم؟ فكلفظ؛ نحن لا نثبته ولا ننفيه؛ لأنه لم يَرِدْ إثبات له ولا نفي في الكتاب ولا في السنة.

أما المعنى؛ فنقول لكم: ماذا تريدون بحلول الحوادث؟

فإن كانوا يريدون بأن الله منَزَّهٌ عن حلول الحوادث؛ أي: أنه منزه أن يحل فيه شيء من المخلوقات؛ فهذا حق؛ الله سبحانه وتعالى لا يحِلُّ في ذاته شيء من مخلوقاته، أما إن أرادوا أنه منزه عن حلول الحوادث؛ أي منزه أن تقوم به الأفعال الحادثة التي تكون بالمشيئة، كالكلام، مثلاً: يتكلم متى شاء، النزول، الاستواء، المجيء؛ هذه أفعال يفعلها الله تبارك

وتعالى بمشيئته، هذه يسمونها حوادث، وقالوا: هذه الحوادث لا يجوز أن تحلَّ في الله تبارك وتعالى، فإذا كان مقصودهم بحلول الحوادث هذا- وهذا هو ما يعنونه طبعاً-؛ فهذا الكلام باطل؛ لأن هذا ثابت في الكتاب وفي السنة بأن الله سبحانه وتعالى يفعله، ولا منقصة في حقه بذلك تبارك وتعالى؛ بل هو كمال؛ لأنه يفعل ما يريد.

أدَّى بهم هذا إلى نفي الصفات الفعلية، وقالوا: من أثبت الصفات الفعلية؛ فهو مجسم فالأجسام هي التي تحل فيها الحوادث، وسموا من أثبت: مشبهاً؛ لأنه شبه الله بخلقه؛ شبه الله بالأجسام.

وفي قول المؤلف: (ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه...) إلى آخر ما قال رَدٌّ؛ على المعتزلة والجهمية ومن وافقهم؛ فإنهم قالوا: إن الله تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه، لاحظ! صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه؛ فوصفوا الله بماذا؟ عطلوا الله سبحانه وتعالى عن صفاته؛ عن كماله؛ فوصفوه بالنقص؛ إذ إنه عندهم لم يكن قادراً على الفعل والكلام، ثم صار قادراً، فبناء على قولهم- تعالى الله عما يقولون- كان ناقصاً ثم كَمُلَ؛ فصار عندهم الفعل والكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً.

ورَدَّ المؤلف أيضاً على ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما في عقيدتهما؛ فماذا قالوا؟

قالوا: إن الفعل لله سبحانه وتعالى صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً منه؛ هذا بالنسبة للفعل عند الأشعري وابن كلاب، أما الكلام؛ فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة؛ بل هو شيء واحد لازم لذاته؛ هكذا يقولون.

سبب هذا القول عند الجهمية وغيرهم: هي مسألة تسلسل الحوادث؛ فما هي مسألة تسلسل الحوادث؟

تسلسل الحوادث: عقيدة أحدثها أهل البدع، لا تجد لها أصلاً في الكتاب ولا في السنة؛ فهي عقيدة محدثة من العقائد التي أحدثها أهل البدع؛ وهي كثيرة.

وسببها: أن أهل الكلام أرادوا أن يردّوا على الفلاسفة في قولهم- أي: الفلاسفة- بأن العالم قديم؛ وهذا القول شركي؛ لأنهم جعلوا المخلوق أزليَّاً مع الخالق تبارك وتعالى؛ وهذا شرك؛ هذه الأزلية خاصة بالله سبحانه وتعالى؛ لأن الله واحد لا شريك له، وكل المخلوقات التي جاءت وخلقها؛ خلقها هو؛ أي أنها جاءت بعده تبارك وتعالى؛ فلا يوجد شيء مقارِنٌ له تبارك وتعالى، ولا قبله.

هذا الأمر الأول الذي قرره الفلاسفة- قدم العالم- قول شركي كفري، فأراد المتكلمون أن يردّوا على هذا القول، وأنتم تعلمون أن المتكلمين عندما يتكلمون في المسائل العقائدية لا يرجعون إلى كتاب ولا إلى سنة؛ إنما هو العقل فقط، ولا يستعينون بالكتاب والسنة لينظروا هل العقل الذي سيوصلهم إلى الرد الذي يريدون؛ هل هو موافق للشرع أم مخالف له؟ لا ينظرون إلى هذا؛ فالعقل عندهم يقيني، حتى وإن خالفهم الشرع؛ فالعبرة بالعقل لا بالشرع، والشرع يؤَوَّلُ بما يتناسب مع العقل؛ هكذا يقولون؛ لذلك تجدهم يقررون العقيدة، ثم بعد ذلك ينظرون في أدلة الشرع ويطوعونها لتتوافق مع عقيدتهم العقلية أيَّاً كانت، وأيَّاً كان القول، ليس مهماً؛ المهم: أن العقل يقيني، فما قرره من عقيدة عندهم؛ فهو الحق، وما جاء في الشريعة بعد ذلك؛ فهو باطل، يجب أن يتماشى مع العقل؛ هذا دينهم؛ وهو خلاف ديننا؛ فديننا: قال الله وقال رسول الله ﷺ، هو الأصل، ونحن على يقين أن هذا الأصل- والحمد لله- لا يتعارض مع العقل الصريح، العقل الصافي النقي؛ لكن العقل المشوَّش المُشَوَّهَ يتخبط، والدليل على ذلك: أن المتكلمين لا يتوافقون على قول؛ فهم

متخبطون جداً مع أنهم جميعاً يتفقون على أن العقل هو الأصل، وأن دلالته يقينية، مع ذلك فلا يقين بينهم.

المهم أن هؤلاء المتكلمين أرادوا أن يردُّوا على الفلاسفة بعقولهم المجردة، وكان الفلاسفة يقولون بالتلازم بين القول بقدم العالم وتسلسل الحوادث في الماضي؛ والتزم المتكلمون بهذا، وأرادوا أن يَفِرُّوا من عقيدة تسلسل الحوادث في الماضي؛ فوقعوا في محذور آخر؛ وهو هذا الذي ذكرنا؛ وصفوا الله سبحانه وتعالى بالنقص، وأن بعض الصفات عنده لم تكن موجودة إلَّا عند وجود خلقه؛ فلم يكن قادراً على الفعل ثم صار قادراً، لم يكن قادراً على الكلام ثم صار قادراً؛ فصار عندنا محاذير في هذه العقيدة؛ وهذا الذي يهمنا، ولا أريد الخوض كثيراً في هذه المسألة؛ لأنها- كما ذكرنا- مسألة مبتدعة، أقحم أهل البدع أهل السنة فيها إقحاماً؛ فاضْطُرَّ بعض أهل السنة أن يخوض فيها من أجل أن يردَّ عليهم، ونحن لسنا بحاجة أن نرد عليهم بطريقتهم، يكفينا أن نعتقد ما ورد به الدليل، مما ذكروه من إلزامات لهذه المسألة ونكتفي بهذا.

نشرح بداية معنى تسلسل الحوادث، ثم نذكر لكم ما الذي يجب أن يعتقده المسلم السُّنّي؟ وما المحاذير في أقوالهم؟ كي نحذرها؛ وهذا كافٍ.

تسلسل الحوادث: ما هو التسلسل؟

التسلسل له ارتباط بالسلسلة التي تتتابع حلقاتها حلقة تلو الحلقة؛ هذا معنى التسلسل: حلقة تلو حلقة، لا نهاية لهذا.

والحوادث لها أكثر من معنى عندهم؛ من معاني الحوادث: الخلق، فماذا يعني تسلسل الحوادث في الماضي وتسلسل الحوادث في المستقبل؟

تسلسل الحوادث في الماضي؛ أي أنه ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، وما من مخلوق إلا وقبله مخلوق؛ إلى مالا نهاية.

تسلسل الحوادث في المستقبل؛ أي ما من مخلوق إلا وبعده مخلوق، وما من مخلوق إلا وبعده مخلوق؛ إلى ما لا نهاية.

هذا معنى تسلسل الحوادث في الماضي وتسلسل الحوادث في المستقبل.

ويطلقون الحوادث أيضاً على أفعال الله تبارك وتعالى؛ كالكلام والخلق والرزق وغير ذلك؛ يسمونها حوادث أيضاً.

إذا أردت أن تتكلم في مسألة تسلسل الحوادث؛ فكلفظ: لا تثبت ولا تنفي؛ لأنه لفظ مجملٌ يحتمل حقاً وباطلاً.

أما من حيث المعنى؛ فماذا تريدون بتسلسل الحوادث في الماضي أو في المستقبل؟ ربما يريدون دوام أفعال الرب تبارك وتعالى أزلاً؛ يعني: في القِدَمِ الذي لا بداية له، وأبداً؛ يعني: المستقبل الذي لا نهاية له.

أفعال الله تبارك وتعالى أزلاً: نقول لهم تسلسل الحوادث في الماضي، إن أردتم به دوام أفعال الله في الماضي؛ فهذا واجب عليكم أن تعتقدوه، وهذا حق؛ فلم يأت يوم من الأيام ولا وقت من الأوقات من الأزل لم يكن الله تبارك وتعالى فيه فعالا لما يريد، كما قال تبارك وتعالى: {فَعّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود: ١٠٧]، والفَعَّال؛ هو الذي يفعل على الدوام.

إذاً النقطة الأولى: يجب دوام الفعل منه تبارك وتعالى أزلاً وأبداً؛ وهذا الذي أشار إليه المؤلف في قوله: (ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، وكما كان بصفاته أزليّاً؛ كذلك لا يزالُ

عليها أبديَّاً)؛ فمن ذلك مثلاً: صفة الكلام؛ فالله سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، لم تحدث له صفة الكلام في وقت، ولم يكن معطلاً عنها في وقت؛ بل هو متصف بها أزلاً وأبداً.

أما إن أردتم بتسلسل الحوادث في الماضي؛ بمعنى: أنَّ شيئاً من المخلوقات قديم أَزَلِيٌّ مع الله تبارك وتعالى أو قبله؛ فنقول: هذا باطل؛ الله سبحانه وتعالى واحد؛ فهو خالق كل شيء، فما سوى الله مخلوق ومحدث، كائن بعد أن لم يكن، مسبوق بعدم نفسه، وليس مع الله شيء قديم بقدمه في العالم.

كذلك الخلق؛ التسلسل في مفعولات الله عز وجل؛ هل ممكن- لاحظ كلمة ممكن أو جائز أو ممتنع؛ ركز عليها، عندما يتحدث العلماء يقولون: تسلسل ممكن أو جائز في الشرع- هل ممكن أن يخلق الله سبحانه وتعالى خلقاً بعد خلق من القدم؛ من الأزل؟

ممكن، وليس معنى ذلك أن هذه المخلوقات أزلية معه؛ لا هي بعده تبارك وتعالى؛ فهو الذي خلقها؛ فلا يمكن أن تكون مقارِنَةً له تبارك وتعالى؛ فهي بعده، هو الذي خلقها؛ فلا يوجد شيء معه مقترن به أو قبله أبداً- هذا المقصود-؛ وهذا الذي دفع المتكلمين إلى عقيدتهم الفاسدة التي وصفوا الله تبارك وتعالى فيها بالنقص، وأنه لم يكن متَّصفاً ببعض الصفات، ثم بعد ذلك صار متَّصِفاً بها؛ هذا نقص بحق الله تبارك وتعالى- تعالى الله وتنزه عنه-؛ لأنهم التزموا أنك إذا قلت: بإمكان تسلسل المخلوقات في الماضي: أن تكون أزلية مع الله تبارك وتعالى؛ التزموا بهذا- ألزموا أنفسهم بهذا-، فأرادوا أن يفروا منه؛ فوقعوا في ذلك.

وغيرهم لم يلتزم ويقول: نعم التسلسل موجود في الخلق، لكن مهما تصورت من تسلسل؛ فهو بعد الله سبحانه وتعالى وليس قبله ولا معه؛ لأنه هو الذي خلقه، هو الذي أوجده، ولا يكون المخلوق إلا بعد الخالق؛ لا معه ولا قبله؛ هذا معنى تسلسل الحوادث.

هذا من حيث الإمكان في مسألة تسلسل الحوادث- يعني: وجود مخلوقات متتابعة متسلسلة-؛ لكن هل فعلاً يوجد غير هذا الكون الذي نحن فيه؟ غير هذا العالم؟ يعني: هل يوجد مخلوقات قبل القلم والعرش والماء؟ والله سبحانه وتعالى ما زال يخلق سابقاً خلقاً بعد خلق؟

من حيث الوجود والوقوع- لا من حيث القدرة؛ إذ من حيث القدرة؛ قلنا: هذا ممكن، والله سبحانه وتعالى قادر عليه، ويمكن أن يوجد-، لكن من حيث الوقوع؛ هل هذا واقع؟

حصل في هذا خلاف بين أهل العلم؛ نذكره في الملخص الذي سنذكره.

المذاهب في مسالة تسلسل الحوادث:

المذهب الأول: يمتنع دوام الحوادث في الماضي والمستقبل.

ماذا يترتب على هذا؟

يترتب على امتناع دوام الحوادث في الماضي عقيدة: أن الله سبحانه وتعالى كان معطلاً عن الفعل، ثم صار فاعلاً بعد ذلك- هذا في الماضي-؛ وهذا ما التزمه الجهمية والمعتزلة، والتزم الأشاعرة والكلابية بالامتناع؛ فقالوا: يمتنع منه أن يوجد خلق في الماضي متسلسلاً، يمتنع دوام الحوادث في الماضي.

والمستقبل؟

ويمتنع أيضاً دوام الحوادث في المستقبل؛ ماذا يترتب على هذا؟

يترتب عليه فناء الجنة والنار؛ وهنا تأتي مسألة الاعتقاد الثابت في الكتاب والسنة.

والمسألة التي يجب أن نتكلم فيها، وأن نعتقدها مثل هذه- مثل الرد على الفلاسفة بقدم العالم-؛ هذا كفر وشرك، والتوحيد فيه بَيِّنٌ واضح في الكتاب والسنة؛ فيردُّ عليهم، ونقول: عقيدتنا في ذلك:

القول بقدم العالم، وأنه قديم مع الله تبارك وتعالى؛ قول شركي لا يجوز.

ونقول: أن كل ما سوى الله مخلوق، وكل مخلوق يكون بعد الله سبحانه وتعالى؛ لا يكون معه مقترناً به؛ هذا يجب أن نعتقده.

والقول المحذور الذي يجب أن نحذر منه: هو قدم العالم مع الله سبحانه وتعالى؛ فنكون بذلك قد رددنا قول الفلاسفة الباطل، وقررنا العقيدة الحق في المسألة.

وتسلسل الحوادث في المستقبل؛ يترتب عليه ويلزم منه: أن الجنة والنار تفنيان، ويفنى أهلها؛ وهذا ما التزم به الجهم بن صفوان؛ لأنه هو الذي قال بامتناع الحوادث في الماضي وفي المستقبل؛ فقال: (كما أنه لا تدوم الحوادث في الماضي؛ كذلك لا تدوم في المستقبل)؛ وهذا أيضا كفرٌ؛ لأنه تكذيب لكتاب الله تبارك وتعالى الذي فيه أن الجنة والنار لا تفنيان وتدومان، في آيات كثيرة، وأُلِّفت رسالة مستقلة في عدم فناء الجنة والنار للصنعاني، وهي مطبوعة؛ من أرادها يرجع إليها.

فالقول بفناء الجنة والنار: قول كفري؛ هذا أصله؛ أصله: منع دوام الحوادث في المستقبل؛ فلزم منه فناء الجنة والنار، والتزم الجهم بن صفوان بهذا.

وكذلك قول أبي الهذيل العلاف، واختلف مع الجهم بن صفوان قليلاً في مسألة الجنة والنار؛ فقال: تفنى حركات أهل الجنة والنار.

المهم: هذا القول يجب علينا أن نبطله، وأن نُحَرِّمَهُ، وأن نقول: هو كفر، وأن نقول بأن الجنة والنار لا تفنيان؛ هذا واجب، وأنا أذكر لكم العقائد التي يجب أن نعتقدها في هذه المسألة؛ وهذه التي تهمنا.

المذهب الثاني: يمكن دوام الحوادث في المستقبل.

يمكن؛ يعني: هي ممكنة، لو أراد الله سبحانه وتعالى أن لا يديمها؛ لا يديمها، لكن من حيث الإمكان هي ممكنة، ومن حيث الوقوع تقع أيضاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى ذكر لنا هذا في كتابه: أنه واقع؛ فيمكن دوام الحوادث في المستقبل؛ لأن أهل الجنة وأهل النار في المستقبل كلهم باقون؛ لا يفنى منهم أحد، والله سبحانه وتعالى يخلق خلقاً بعد خلقٍ، خلقاً بعد خلق، لا يتوقف عن الخلق في المستقبل؛ هذا معنى دوام الحوادث في المستقبل؛ وهي عقيدة صحيحة، دلت عليها أدلة الكتاب والسنة.

وقال أصحاب القول الثاني: يمكن دوام الحوادث في المستقبل، ولكنه يمتنع في الماضي؛ وهو قول أكثر المتكلمين ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

ما المحذور في هذا القول- القول بامتناع تسلسل الحوادث في الماضي؟

هذا القول يؤدي إلى وصف الله سبحانه وتعالى بالنقص، وأن بعض الصفات لم يكن مُتَّصِفاً بها، حتى خلق الخلق؛ حتى الأسماء عند المعتزلة؛ يقولون: إن الله لم يكن له أسماء

وصفات حتى خلق الخلق، وخلق لنفسه أسماء وصارت له صفات؛ وهذا القول- أعوذ بالله- مخالف لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ.

القول الثالث: يمكن دوام الحوادث في الماضي والمستقبل؛ وهذا قول الفلاسفة، وقول ابن تيمية، وعزاه غير واحد لأهل السنة.

ما الفرق بين قول الفلاسفة وقول ابن تيمية وأهل السنة في هذا؟

الفلاسفة يقولون: العالم قديم مع الله؛ وهذا كفر وشرك.

قول ابن تيمية ومن قال بهذا القول من أهل السنة، لا يقولون بهذا؛ ابن تيمية يقول بأنه يوجد خلق متسلسل في الماضي وليس فقط مجرد إمكان، موجود لكنه ليس قديماً مع الله، ولا قبل الله سبحانه وتعالى، فمن زعم على ابن تيمية رحمه الله أنه يقول بقدم العالم- أي أنه قديم مع الله-؛ فقد كب؛ هذا كفر باطل، هذا باطل.

أما إنه يقول: إن الله سبحانه وتعالى ما زال يخلق خلقاً بعد خلق من القدم- يعني: لم يأت وقت من الأوقات لم يكن فيه خالقاً- فنعم؛ لكن ليس قديماً مع الله سبحانه وتعالى مقترناً به؛ فهو يقول بأنه ما من مخلوق إلَّا وهو مسبوق بالعدم، والمخلوقات ليست قديمة مع الله؛ وهذا ينص عليه.

أما القول الرابع؛ المتمم للقسمة: فهو امتناع دوام الحوادث في المستقبل وإنكاره في الماضي؛ فلم يقل به أحد؛ فما علينا من هذا القول.

فما الذي يجب على المسلم أن يعتقده ويركز عليه من هذا؟

أولاً: أن الله تبارك وتعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء، ولا معه مقارن له شيء من خلقه؛ فكل الخلق هم خلق له؛ هو خلقهم من العدم، والمخلوق يكون بعد الخالق تبارك وتعالى؛ وبهذا تُبْطِلُ قول الفلاسفة بقدم العالم- بأنه قديم مع الله سبحانه وتعالى-؛ فهذا قول شركي؛ فتخرج من شركهم.

ثانياً: أن الله تبارك وتعالى هو الأول بذاته وصفاته كلها، لم يكن يوماً بلا صفة من صفاته المُتَّصِفِ بها؛ فهو أزلاً متصف بصفة الخلق والكلام والإرادة والقدرة، وكل صفاته، وقادر على الفعل متى شاء، وهو فعَّال لما يريد- كما قال سبحانه-، فلم يكن ربنا تبارك وتعالى قط في زمن من الأزمان أو وقت من الأوقات معطلاً عن كماله وعن صفاته؛ الكلام والإرادة والفعل؛ وبهذا تُبْطِلُ قول المتكلمين، وتخرج من باطلهم.

ثالثا: تقول: إن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان؛ وبهذا تُبْطِلُ قول جهم ومن وافقه على كفره، وتخرج منه.

هذا كله دلت عليه أدلة الكتاب والسنة وكلام السلف.

وأما مسألة وجود خلق قبل هذا العالم الذي نعيش فيه، وهي متعلقة بتسلسل الحوادث في الماضي؛ فمن قال: لا يوجد خلق قسمان:

منهم من قال بامتناع ذلك؛ وهم المتكلمون- امتناعه: يعني مستحيل، لا يمكن أن يوجد- وقد تقدم أن قول هؤلاء باطل وفاسد، ولزم منه وصف الله سبحانه وتعالى بالنقص.

ومنهم من لم يقل بالامتناع، ولكن لا يوجد عنده دليل على هذا من حيث الوقوع- وجود هذا الخلق-، لا يوجد دليل عنده على هذا، واستدل بحديث القلم: "أول ما خلق الله

القلم"؛ قال: هذا أول مخلوق، وقبله لا يوجد مخلوقات؛ هذا القول قال به الشيخ الألباني رحمه الله؛ وهو الظاهر من قول الطحاوي.

ما الفرق بين قول هؤلاء وقول المتكلمين؟

الفرق هو الامتناع والإمكان فقط؛ فالمتكلمون يقولون: ممتنع أن يوجد خلق قبل خلق، أو مازال الله سبحانه وتعالى يخلق خلقاً بعد خلق من القدم، إلَّا أنه كل مخلوق مسبوق بعدم، والذين قالوا: يمتنع؛ هم المتكلمون.

أما الذين قالوا: ممكن أن يخلق الله سبحانه وتعالى، وأن يبقى خالقاً ويخلق ويوجد من القدم؛ قالوا: هذا ممكن؛ فهو فعل الله سبحانه وتعالى، وما زال الله سبحانه وتعالى فاعلاً من القِدمِ؛ لكن مع ذلك قالوا: هي مخلوقات لله سبحانه وتعالى؛ أي: أنها بعده، لا تكون معه ولا قبله؛ لكن من حيث الوجود؛ هؤلاء قالوا: لا يوجد دليل؛ لذلك لا نقول بالوجود؛ أي: بأن الله خلق فعلاً وأوجد مخلوقات قبل هذا العالم؛ لا نقول بهذا؛ هذا القول ذهب إليه الشيخ الألباني رحمه الله؛ وهو ظاهر كلام الطحاوي؛ لكن ذكرنا لكم الفرق بين قولهم وقول المتكلمين.

كما أن الفرق بين قول الفلاسفة وقول من قال من أهل السنة بالتسلسل في الماضي؛ هو أن الفلاسفة يقولون بقدم العالم مع الله سبحانه وتعالى وأنه مقترن به، وأهل السنة يقولون: لا يلزم من القول بالتسلسل في الماضي القول بقدم العالم وأزليته مع الله سبحانه وتعالى؛ فلا يقولون به؛ بل يقولون: التسلسل في نوع الحوادث لا في آحادها؛ وهي مخلوقة لله، والمخلوق لابد أن يكون بعد الخالق لا قبله ولا معه؛ فهو الذي أوجده.

نوع الحوادث قديم؛ يعنون بذلك: ما من آحاد مخلوق إلَّا وقد سُبِقَ بالعدم، لكن الخلق مستمرٌ؛ خلقاً بعد خلق- مستمر-، ويستدلون بقوله تعالى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}، {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ}؛ فلا يلتزمون بما ألزم به الفلاسفةُ المتكلمينَ، ويخالفونهم في كفرهم.

ثم قال المؤلف بعد ذلك تتمة لهذا الكلام: **(لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الخَالِقِ، ولا بِإِحْدَاثِهِ البَرِيَّةِ اسْتَفَادِ اسْمَ البَارِي)**

فهذا الاسم هو مسمى به تبارك وتعالى، وأسماؤه ليست مخلوقة؛ فالاسم مسمى به من القديم؛ هو تبارك وتعالى الأول بذاته وأسمائه وصفاته، وأسماؤه ليست مخلوقة، وصفاته ليست مخلوقة.

(ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق) فالاسم والصفة أيضاً، موصوف بصفة الخلق، ومسمى باسم الخالق قبل أن يوجد الخلق.

(ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري) المعنى واحد؛ لا بإحداثه الخلق وإيجادهم من العدم استفاد اسم الباري؛ وهو مسمى بالباري قبل أن يخلقهم، قبل أن يوجدهم؛ فالمعنى واحد كما تقدم.

خلاصة الأمر: الله سبحانه وتعالى هو الأول، وليس معه شيء مقارِنٌ له من خلقه، ولا قبله شيء، وأنه تبارك وتعالى أزلي بذاته وأسمائه وصفاته، وأنه قادر على الخلق، قادر على الفعل، يفعل متى شاء من الأزلِ، لم يأت وقت من الأوقات لم يكن قادراً على الفعل أو كان الفعل ممتنعاً منه تبارك وتعالى.

وكذلك نقول بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان. والله أعلم والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس السابع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

معنا اليوم الدرس السابع من دروس شرح العقيدة الطحاوية.

وقفنا عند قول المؤلف رحمه الله-: **(لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوب، وَمَعْنَى الْخَالِقِ ولا مَخْلوق، وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ؛ كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إليه فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البصيرُ} [الشورى: ١١])**

قوله: **(لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ وَمَعْنَى الْخَالِقِ ولا مخلوق)** هذه الجملة معناها نفس معنى الجمل التي تقدمت، وهي مرتبطة بالمبحث السابق؛ ولقد أشبعنا القول فيه.

(له) أي: لله تبارك وتعالى معنى الربوبية.

(الربُّ) معناه المالك والمتصرف والمُصلح والسيد، والله سبحانه وتعالى مُتَّصِفٌ بهذه الصفات، وهي لازمة لذاته، يوصف بالربوبية بلا بداية ولا نهاية.

(المربوب) هو المخلوق؛ وهو الذي يتصرف الله سبحانه وتعالى به.

فقوله: (**لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوب**) أي: أن الله سبحانه وتعالى خالق قبل أن يُوجد المخلوق.

قوله: (**وَمَعْنَى الْخَالِقِ ولا مخلوق**) الخلق أخص من الربوبية؛ فمن ضمن معاني الربوبية: الخلق، الربوبية تشمل: الخلق والتدبير والرزق وما شابه، فالله سبحانه وتعالى متصف بهذه الصفات من القدم قبل أن يوجد المَخلوقون؛ هذا معنى كلام المؤلف، وكما ذكرنا هي عائدة لما تقدم؛ فشرحها وبيان معناها تقدم في الجمل الماضية.

قوله: **(وكما أنه محيي الموتى بعدما أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ؛ كَذَلِكَ استحق اسم الخالق قبل إنشائهم؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** يردُّ بهذا على الذين يقولون: إن الله تبارك وتعالى ما كان قادراً على الخلق، أو ما كان خالقاً ثم بعد ذلك حصلت له صفة الخلق؛ هذا قول بعض المتكلمين؛ وقد تقدَّم بُطلانه.

يريد هنا: كما أن الله سبحانه وتعالى استحق اسم محيي الموتى قبل إحياء الموتى- ما أحيا أحداً من الموتى؛ ومع ذلك يُقال له مُحيي الموتى؛ إذن فقد تَسمّى بهذا الاسم واتصف بهذه الصفة قبل فعل هذا الأمر-، فكما أنه استحق هذا اسم محيي الموتى قبل إحياء الموتى؛ قال: (**كَذَلِكَ استحق اسم الخالق قبل إنشائهم**) أي: قبل إنشاء الخلق، إذن هو يُسمى بهذا الاسم.

وهذا رد على المعتزلة الذين قالوا بأنه لا يُسمى الخالق إلا لمّا خلق الخلق؛ خلق لنفسه أسماء ومن هذه الأسماء الخالق، ولا يَتَّصِفُ بصفة الخلق إلا عند إيجاد الخلق، هذا رد على المُتكلمين، فهو الآن يُلزمهم؛ كما أنه تبارك وتعالى يسمى من الأزل- من القدم-: محيي الموتى قبل إحيائه للموتى؛ كذلك يسمى من الأزل خالقاً قبل أن يَخْلُق؛ هذا المعنى الذي يريده؛ فقال: ليس بعد الخلق استفاد اسم الخالق.

فمن هنا قال بعض أهل العلم: بأن المؤلف يذهب إلى أن جنس المخلوقات لها بداية، ويمنع تسلسل المخلوقات في الماضي، لكن الظاهر بأنه لا يقول بالامتناع الذي يقوله المتكلمون- والله أعلم- والمُنْكَر هنا.

على كلٍ؛ هذا كله راجع إلى المبحث الذي تقدم، وقد أشبعنا القول فيه والحمد لله.

وقوله: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شيء إليه فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ**) هذا بيان للعلّة، للسبب، لماذا هو لم يَزَل خالقًا مُصَوِّرًا ...إلخ؟

قال: ذلك لأنه لم يزل على كل شيء قدير، قال الله سبحانه وتعالى: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة:٢٨٤]، وقال: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة:٢٠]، وقال: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} [النحل:٧٠]، {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} [الكهف:٤٥]؛ إلى آخر ذلك من الآيات التي تدل على هذا.

فالله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير؛ فيخلُقُ متى شاء، ويُميتُ متى شاء، لم يأتِ زمن من الأزمان لم يكن قادراً على ذلك سبحانه وتعالى؛ فلا يخرجُ شيء عن قدرته؛ فكل الموجودات وُجِدَت بقدرته ومشيئته سبحانه.

قال: (**وَكُلُّ شيء إليه فَقِيرٌ**) قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر:١٥] فالله سبحانه وتعالى هو الغني بذاته تبارك وتعالى، والناس والخلق جميعًا فقراء إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: (**وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ**) كل شيء عليه هيِّن وهو قادر عليه- على كل شيء-؛ وهو يسير عليه أيضاً؛ فليس هناك ما يَصعُبُ عليه تبارك وتعالى، أو يَعْجَزُ عنه؛ {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ

مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} [فاطر:٤٤]، {أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [العنكبوت:١٩].

(لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ) لكمال غناه تبارك وتعالى؛ فهو تبارك وتعالى غني عن كل ما سواه.

ذكرنا أن مسائل القدر وما يتعلق بها ستأتي إن شاء الله مع بعضها؛ لأن المؤلف رحمه الله فرَّقها، وذكر الشُّراح هنا عند قول المؤلف: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)؛ ذكروا بعض مسائل القدر؛ مباحث القدر؛ نؤجل هذا كله إلى الكلام في مسألة القدر.

قوله: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البصير} [الشورى: ١١]** هذه الآية فيها الاعتدال؛ تدل على منهج أهل السنة والجماعة وبها يستدلون؛ فهم وسط بين فِرَق الضلال؛ بين الإفراط والتفريط.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}: هذا رد على أهل التشبيه والتكييف، الذين يُشبهون الله سبحانه وتعالى بخلقه، ويقولون: له يد كأيدينا، وله سَمْعٌ كسمعنا، وهذا كفر؛ تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه كفر.

والتشبيه كما قال السلف- وكما تقدَّم معنا-: أن تقول: يد كيد؛ تستعمل (كاف التشبيه)، أو تستعمل لفظ (مثل) الذي يدل على التشبيه في لغة العرب؛ فتقول: يد مثل يد، هكذا قال السلف رضي الله عنهم؛ وهذا معنى أن تكون مشبهاً، أما أن تُثبت لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات؛ فهذا لا يدخل في التشبيه؛ لأن المطلوب منك أن تؤمن بهذه الآية وبكل ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء وصفات، وأن تؤمن بهذه الآية كاملة تامة بجزئيها، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وكذلك: {وَهُوَ السَّمِيعُ البصير} ولا تكون مؤمناً بها إيماناً تامَّاً

إلا أن تنفي التشبيه الذي ذكرناه عن الله تبارك وتعالى، وأن تُثبت له ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات كما قال سبحانه {وَهُوَ السَّمِيعُ البصير}؛ وبهذا تكون قد آمنت بها.

أما أن تؤمن بشطرها الأول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، وتكفر بالثاني: {وَهُوَ السَّمِيعُ البصير} كما فعلت المُعطِّلة؛ فهذا ليس الإيمان المطلوب منك شرعاً، أو تؤمن بشطرها الثاني: {وَهُوَ السَّمِيعُ البصير}، وتكفر بشطرها الأول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} كما فعلت المُشبهة؛ فما هكذا أمرك الله سبحانه وتعالى ولا هذا ما أراد منك؛ إنما أراد منك أن تؤمن بهذا وهذا، وأراد منك أن تُثبت له ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات كما يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى، وأن تنفي التمثيل؛ هذا ما أُمرنا به.

فهذه الآية دلت على منهج الحق؛ وهي أصل عند أهل السنة والجماعة.

وهنا مسألة تُطرح: (الكاف) في هذه الآية- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} - ماذا يُقصد منها؟

لأن أهل العلم- غير المشبهة طبعاً- متفقون على المعنى المراد بهذا اللفظ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}؛ أن المراد به: نفي المثل عن الله تبارك وتعالى، إذا كان المراد هو نفي المثل عن الله؛ فهذه الآية لو حملتها هكذا وفهمتها بناء على ما يظهر لك؛ تقول: فيها إثبات المثل لله، كيف ذلك؟

قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} يعني كأنه يوجد له مثل وهذا المثل ليس له شبيه؛ وهذا المعنى باطل ولا يُراد من الآية.

إذن ما المُراد منها؟

اختلف العلماء في المراد من (الكاف) هنا، توجيهات كثيرة كلها تدور على أمر واحد وهو الوصول إلى المعنى المراد حقيقة من الآية؛ وهو نفي التمثيل عن الله تبارك وتعالى.

بعضهم قال: الكاف هذه زائدة، لكن ردَّ الآخرون: بأنه لا يوجد زائد في القرآن؛ فكل حرف له معنى.

وأَصَح ما قيل في هذا: أن هذه الكاف هي تأكيد لنفي المثل، كيف؟

قالوا: كأن الله سبحانه وتعالى قال: ليس كهو شيء، وليس مثله شيء؛ هذا معنى التأكيد؛ وهذا المعنى أصح ما قيل في ذلك. والله أعلم.

قال المؤلف بعد ذلك: **(خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَاراً، وَضَرَبَ لَهُمْ آجالاً)**

قوله: (**خلق الخلق بعلمِهِ**) خلق؛ أي: أوجد وأنشأ وأبدع (الخَلْقَ بعلمِهِ) أي: خلقهم عالمًا بهم، هكذا قال أهل العلم في تفسيرها، قال الله تبارك وتعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤]، وخلقه تبارك وتعالى دليل على علمه وقدرته، الخلق يستلزم العلم؛ فلا يكون خلق إلا بعلم؛ فالخلق يستلزم العلم ويستلزم القدرة.

والأدلة على إثبات العلم لله تبارك وتعالى في الكتاب والسنة كثيرة جداً؛ {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران:١١٩]، {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ} [البقرة:٢٣٥]، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤]؛ آيات كثيرة جداً، الأمر- والحمد لله- معلوم من الدين بالضرورة؛ أن الله سبحانه وتعالى عالم ويخلق بعلم ويعلم دقائق الأشياء.

العلم من صفات الله، ومن أهل البدع من ينكر هذا؛ فالجهمية ينفون عن الله سبحانه وتعالى أسماءه وصفاته؛ يقولون هذه الأسماء إضافتها لله سبحانه وتعالى إضافة مجاز، وهي في الحقيقة أسماء لبعض مخلوقاته، وأما الصفات فينفيها الجهمية وينفيها المعتزلة، فالمعتزلة يقولون:

هو عليم ولكنه بلا علم، فالعلم ليس صفة قائمة به، وقدير بلا قدرة، وسميع بلا سمع، وبصير بلا بصر- نسأل الله العافية-؛ هذا معنى نفيهم للصفات.

وأما أهل السنة والجماعة فيثبتون الأسماء والصفات لله سبحانه وتعالى، وصفة العلم من ذلك؛ وكما ذكرنا هذه الصفة عليها أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، والله سبحانه وتعالى علمه أزلي، لا يوجد شيء لا يعلمه تبارك وتعالى.

قوله: **(وقدر لهم أقداراً)** قال الله تبارك وتعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان:٢]، وقال: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:٤٩]، وجاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال: "قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلق قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وكان عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ".

قوله (**وضرب لهم آجالًا**) يعني أن الله سبحانه وتعالى قدَّر آجال الخلائق، والأجل هو النهاية؛ نهاية المدة المُقدرة، إذا جاء أجل الشخص- يعني المدة المُقدرة له أن يعيش فيها-، إذا جاء وقت موته؛ انتهى الأمر، الدنيا هذه لها أجل، وأجلها أن تقوم الساعة؛ وقت قيام الساعة هذه نهايتها، ويوجد آجال مختصة بكل فرد، كما جاء في حديث ابن مسعود: "وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كلمات: بِكَتْب رِزْقِهُ وَأَجَلِهُ..." يعني: متى يموت، وكل أمة لها أجل كما قال الله سبحانه وتعالى: {لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [يونس:٤٩].

فالآجال والأعمار كلها مُقدرة، وهذا ما دلّت عليه الأدلة؛ الآيات والأحاديث؛ أن الآجال والأعمار كلها مقدرة.

ودلّت النصوص على أن لطول العمر وقِصره أسباباً كونية وشرعية، فمن الأسباب الشرعية: صلة الرحم وبر الوالدين كما جاء في الحديث: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي

أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"، لكن هل يعني هذا أن الآجال المكتوبة في اللوح المحفوظ عند الله سبحانه وتعالى تتغير؟

لا، فليس المقصود من هذا أنه يكون مكتوباً له في اللوح المحفوظ عمر معين، ثم بعد ذلك إذا وَصَلَ رحمه؛ زاد هذا العمر؛ لا، لكن هو مكتوب عند الله سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ بأنه سيصل رحمه وبأن عمره سيكون كذا وكذا؛ فهذا سَبَقَ في علم الله أنه سيصل رحمه، ومدَّ الله سبحانه وتعالى في عمره جزاءً له؛ وهذا كله في اللوح المحفوظ.

وكذلك الأمر في الدعاء، الدعاء مؤثر عند أهل السنة والجماعة؛ خلافاً لبعض أهل الباطل الذين قالوا بأن الدعاء لا يؤثر؛ لأن الأسباب عندهم غير مؤثرة؛ وهذه من مسائل القدر، وستأتي إن شاء الله.

الله سبحانه وتعالى يجعل الدعاء سبباً في أمور يريدها تبارك وتعالى وكتبها وقدَّرها عنده في اللوح المحفوظ؛ فهو مكتوب عند الله سبحانه وتعالى أن فلاناً يدعو ويستجيب الله سبحانه وتعالى له ويقع الأمر، الدعاء سبب والأسباب مؤثرة، وكل شيء بقدر الله سبحانه وتعالى، والمسألة متعلقة بمسألة القدر، وستأتي إن شاء الله.

ثم قال المؤلف: **(وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ)**

قوله: **(وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ)** هذا تأكيد للعلم الذي تقدَّم وأن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء، قبل أن يَخْلُقَهُم؛ يعلم من سيخلق؟ وكيف سيخلقهم؟ وماذا سيفعلون؛ كل هذا معلوم عنده تبارك وتعالى؛ فعلمه تبارك وتعالى تام قديم أزلي بكل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه شيء أبداً.

يقول أهل العلم هنا: (فإنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون) كما قال تبارك وتعالى: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [الأنعام:٢٨]؛ يعلم الله أنهم لو ردوا إلى الحياة الدنيا؛ فسيعملون نفس ما كانوا يعملون من قبل مما نهوا عنه؛ مع علمه أنهم لا يُرَدُّون.

وقوله: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} [الأنفال:٢٣]، قال أهل العلم: في ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين يقولون: لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويوجده؛ وهذه المسألة أيضاً من مسائل القدر وستأتي إن شاء الله.

قال المؤلف: **(وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ)**

هنا ذكر المؤلف مسائل من مسائل القدر، ثم ذكر مسائل الشرع- الأمر والنهي-؛ تنبيهاً على وجوب الإيمان بالشرع مع الإيمان بالقدر، حتى لا تقول: أن الله قدَّر علينا المعاصي، وقدر علينا الطاعات؛ إذن نترك ونمضي في حياتنا، وكل شيء مقدر وينتهي الأمر، لا؛ إنما أمرك الله ونهاك، وأعطاك القدرة على الفعل وعلى الاختيار، وأعطاك مشيئة على هذا الأمر؛ تشاء وتفعل، وتحاسب وتعاقب على أشياء أنت تقدر على فعلها وعلى عدم فعلها؛ فلذلك يحاسبك عليها، والله سبحانه وتعالى خلقك لعبادته، وهداك النجدين؛ طريق الحق وطريق الباطل، وأعطاك القدرة على الاختيار وعلى الفعل، والواجب عليك أن تختار ما فيه خير لك في الدنيا والآخرة وأن تطيع الله سبحانه وتعالى؛ لأنه لذلك خلقك في الدنيا { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** }[الذاريات :٥٦] لهذا خلقك الله؛ لعبادته، فاشغل نفسك بعبادته، ولا تحتج بالقدر على معاصيك وذنوبك وانحرافك؛ فهذا قد فعلته بمشيئتك، وباختيارك، وبقدرتك؛ لذلك تعاقب عليه، ولا حجة لك فيما قدَّر الله عليك، أنت لا تدري

ما قدره الله عليك، وأنت تعلم أن الله أمرك ونهاك وأنك قادر على أن تعمل بالأمر أو تعمل بالنهي؛ فاختر لنفسك، وكن منصفاً معها.

المهم أن المؤلف أراد أن ينبه على هذا الأمر: أن الله سبحانه وتعالى خلقنا لعبادته، مع ذكره لمسائل القدر؛ فلا تجعل ما قدر الله سبحانه وتعالى وإيمانك بالقدر حجةً لانحرافك؛ فهذا فهم سقيم، واشغل نفسك بما أمرك الله. والله أعلم.

ونكتفي بهذا القدر والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الثامن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح العقيدة الطحاوية؛ وهو الدرس الثامن.

وصلنا عند قول المؤلف: **(وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ؛ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْذِلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا)**

هذه الفِقْرة أيضًا من مسائل القدر، يقول المؤلف هنا: **(وَكُلُّ شَيْءٍ)** هذا عموم؛ **(وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ)** كل شيء يحصل في هذا الكون هو بتقدير الله ومشيئته، بتقديره هو سبحانه وتعالى؛ عَلِمَه، وشاءه، وهو كتبه، وخلقه، وكل ما يجري في هذا الكون داخل تحت مشيئته؛ شاءه الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك أفعال العباد؛ شاءها الله سبحانه وتعالى لذلك كانت.

قوله: **(وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لا مَشِيئَةَ للعِبادِ؛ إِلَّا ما شَاءَ لَهُمْ)** يقرر المؤلف هنا أن لله سبحانه وتعالى مشيئة- يشاء الأشياء؛ وهذه من مراتب القدر الأساسية؛ الإيمان بأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا بُدَّ من الإيمان بهذا- وستأتي الأدلة التي تدل على ذلك.

(ومشيئته تَنفُذ): مشيئة الله هي التي تحصل، (لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم)؛ العباد لهم مشيئة لكن مشيئتهم مرتبطة بمشيئة الله، ولا تكون إلا بعد أن يشاء الله سبحانه وتعالى؛ فهي تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى، وليست غالبة لها، ولا تكون مستقلة كما يقوله أهل

الباطل؛ {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير:٢٩]؛ هكذا قال الله سبحانه وتعالى في كتابه.

قال: (وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ) لا يمكن للعبد أن يشاء شيئاً، والله سبحانه وتعالى يشاء شيئاً آخر، ومشيئة العبد هي التي تمضي؛ هذا باطل لا يُمكن أن يحصل؛ بل مشيئة الله هي النافذة.

نعم للعبد مشيئة؛ لكن مشيئته لا يُمكن أن تخرج عن مشيئة الله سبحانه وتعالى.

قوله: **(فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لم يكن)** هكذا يعتقد أهل السنة والجماعة في مسألة المشيئة: أن الله سبحانه وتعالى له مشيئة والعبد له مشيئة، ولكن مشيئة العبد مرتبطة بمشيئة الله سبحانه وتعالى لا تَغلِبُها؛ بل مشيئة الله سبحانه وتعالى هي الغالبة وهي النافذة؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

يعني: لا يمكن أن تقول لي: العبد يُريد أن يكفر والله يُريد له الإيمان فتحصل مشيئة العبد؛ ولا تحصل مشيئة الله؛ هذا باطل، نعم العبد له مشيئة ويختار؛ لكنها تابعة لمشيئة الله سبحانه وتعالى.

قوله: **(يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)** أي: الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء من عباده؛ يهديه الصراط المستقيم؛ يوفقه للإيمان ويوفقه لعمل الخير.

قوله: **(وَيَعْصِمُ):** يَعْصم من الخطأ، يَعْصم من الزَّلَل، يَعْصم من الوقوع في الحرام، يَعْصم من الوقوع في الكفر، ومن الوقوع في الذنوب.

قوله: **(وَيُعَافِي فَضْلًا)** يُعافي من البلايا فضلًا منه تبارك وتعالى، فيجعل هذا مؤمناً مُطيعاً؛ يَعْصِمْه من الكبائر، ويَعْصمه من المعاصي التي يشاء الله سبحانه وتعالى، ولمن يشاء من

عباده؛ فَضْلًا منه؛ يتفضل به على العباد، ليس هو حقاً لهم؛ بل هو فَضْلٌ من الله سبحانه وتعالى؛ يتفضل به على من يشاء من عباده.

قوله: **(وَيُضِلُّ من يشاء)** ويُضِلُّ من يشاء من عباده، **(ويخذل)** يعني يترك هدايته، **(ويبتلي)؛** يبتليه تبارك وتعالى بما شاء من الابتلاءات؛ **(عدلا)**؛ وهذا يكون عدلًا من الله سبحانه وتعالى.

فيهدي المؤمن للإيمان، ويُضِلّ الكافر، ويَكْفُرُ الكافر بمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ هدى المؤمن فضلًا منه وتَكَرُّماً، وهذا الفضل يَمُنُّ به على من يشاء من عباده؛ لأنه إكرام منه تبارك وتعالى، وأما ذاك- وهو إضلال الكافر- فكان عدلًا منه؛ لا يَظْلِمُ ربُّك تبارك وتعالى أحداً؛ هذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله.

فهو هنا يُثبت عُموم مشيئة الله سبحانه وتعالى، وأنها شاملة لكل شيء، ولا مشيئة للعباد إلَّا ما شاء لهم، فالعباد لهم مشيئة، ولهم أفعال وأفعالهم على نوعين:

أفعال اختيارية يفعلها الإنسان باختياره؛ فيؤمن ويكفر ويذهب ويجيء؛ كل هذا يفعله باختياره.

وأفعال ليست اختيارية؛ تحصل منه دون اختيار كحركات النائم مثلاً؛ هذه تحصل بلا إرادة؛ أما الأولى فتحصل بمشيئة.

وكما ذكرنا مشيئة العباد مُقيدة بمشيئة الله تبارك وتعالى كما قال سبحانه وتعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير:٢٨-٢٩]، أثبت الله سبحانه وتعالى لهم مشيئة، وأثبت أنها تابعة ومُقيّدة بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

وقوله: **(يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا)** هذا أدلته في القرآن والسنة كثيرة منها: قوله تعالى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [البروج:١٦]، وقال: {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}

[فاطر:٨]، وقال سبحانه وتعالى: {مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام:٣٩]، وقال سبحانه وتعالى أيضًا: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام:١٢٥].

فيهدي الله سبحانه وتعالى من يشاء، ويَعْصِم ويُعافي فَضْلًا، ويُوفق من يشاء للخير والأعمال الصالحة، ويَعْصِم من الوقوع في الزلَات والسيئات، ويُعافي من يشاء؛ وكل هذا كما ذكرنا فضلًا من الله سبحانه وتعالى، كما قال الله: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحجرات:٧-٨]، وكذلك قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} [إبراهيم:١١]؛ فهو يدي من يشاء بفضله وحكمته؛ فيضع تبارك وتعالى فضله هذا في موضعه المناسب بحكمته تبارك وتعالى، ويُضِلُّ من يشاء كما قال الله تبارك وتعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [فاطر:٨].

ولا بُدَّ هنا من أن نعلم أن الهداية- هداية الله سبحانه وتعالى- نوعان:

الأولى: هداية عامة للمؤمن والكافر؛ وهي هداية الدلالة والبيان والإرشاد كما في قوله تبارك وتعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد:١٠]، وقوله: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت:١٧]؛ هذه هداية بيان.
والثانية: هداية توفيق؛ يُوَفِق الله سبحانه وتعالى من يشاء من عباده لقَبول الحق، وهذه كما تَقَدَّمت {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ}.
هاتان هدايتان بهذين المعنيين، وقد ذكر أهل العلم في التفسير هاتين الهدايتين.

وقال بعضهم الهداية المذكورة في القرآن أربعة:

الأولى: هداية عامة للإنس والجن والحيوانات، كقوله تبارك وتعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: ٥٠].
الثانية: هداية إلى طريق الجنة وطريق النار كقوله تبارك وتعالى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات:٢٢-٢٣]؛
هاتان هدايتان لا إشكال فيهما.
الهداية الثالثة: هي التي ذكرنا؛ هداية البيان؛ وهذه أيضاً لا إشكال فيها.
الهداية الرابعة: هي هداية التوفيق؛ كذلك هي التي ذكرنا.

وهذه الهداية هي التي أنكرها المعتزلة والقدرية- هنا انتبهوا! - لماذا ذكر المؤلف هذا الفصل؟ هنا الإشكال في هداية التوفيق؛ هذه الهداية هي التي أنكرها المعتزلة والقدرية، وعند مرورها في القرآن وآيات الكتاب يَرُدُّونها إلى هداية البيان، ويُفَسرون الأدلة التي وردت فيها بهداية البيان.

في سورة الفاتحة لو تنظرون كلام الطبري وغيره من المفسرين؛ تجدونهم يَرُدّون على الذين يُفَسرون هذه الهداية بهذا المعنى، فيثبت أهل السنة هداية التوفيق؛ لأن الله سبحانه وتعالى يُوَفِق من يشاء للإيمان ويَخْذُل من يشاء؛ فهنا لا بُد من الانتباه لهذا الأمر.

وعلى ماذا بَنَوا أصلهم هذا؟ ولماذا يُنكِر المعتزلة والقدرية هداية التوفيق؟

عندهم إشكال في الأمر!

الأمر كله عندهم عائد إلى مسألة الظلم، يقولون: الله سبحانه وتعالى إذا هدى المؤمن إلى الإيمان وخَذَلَ الكافر وأضَلَه؛ هنا يكون قد ظَلَمَ الكافر هذا؛ إذ إنه هدى هذا ولم يهدِ هذا؛ فمنعه مما يستحقه؛ لذلك يقول العلماء: الهداية هي فضل من الله سبحانه وتعالى؛ يَمُنُّ بها على من يشاء، فإذا مَنَعَها من شخص؛ ما مَنَعه حقاً له؛ هو منعه فضلاً يَتَفَضَّل به على من يشاء.

مثال- ولله المثل الأعلى-: معك رغيف خبز، وأنت مار في الطريق، مرَّ بك رجلين لا حقَّ لهما عندك؛ فأعطيتَ أحدهما ربع الرغيف، وأعطيتَ الآخر ثلاثة أرباع الرغيف، أو أعطيت أحدهما الرغيف ولم تعط الآخر؛ هل ظلمت أحدًا منهما؟

لا؛ لأنه لا حقَّ لهما عندك أصلًا، لا يوجد حقوق؛ هذا الذي فعلته أنت كرم وتَفَضُل منك عليهما، تُعطي ما تشاء وتَمنع ما تشاء، ولله المثل الأعلى.

وكذلك مسألة هداية التوفيق هذه؛ هذه فضْل من الله سبحانه وتعالى يَتَفَضَّل به على من يشاء من عباده، فيتَفَضَّل على هذا، ويَمنع هذا، لكن الله سبحانه وتعالى لا يفعل ذلك عشوائياً؛ بل يفعله لحكمة؛ لأن هذا يَسْتَحِقُّ الهداية فهداه، وهذا لا يَسْتَحِقُّ الهداية فَخَذَلَه وأَضَلَّه.

هذا معنى هداية التوفيق، لكن هذا الأمر ما تصوَّرَهُ المعتزلة والقدرية؛ ما الذي تصوروه؟

جعلوا الظُّلْم الذي نزَّه الله سبحانه وتعالى نفسه عنه؛ كالظلم عند البشر، فشَبَّهوا الله سبحانه وتعالى في هذا بالبشر، فأرادوا أن يَفِرّوا منه؛ فوقعوا في هذا.

ما هو الظُّلْم عند المعتزلة والقدرية؟

الظُّلْم عند المُعتزلة والقدرية- أي: في حق الله لو فعله- مثل الظُّلْم عند الإنسان؛ يُشَبِّهون الله بخلقه؛ نفس الظُّلم بين الناس؛ فالظلم عندهم: إضرارُ غير مستحق، أو عقوبة العبد على ما ليس منه...إلخ.

والظُّلْم عند الأشاعرة: هو التَّصرُّف في غير ما يَملِك؛ يقولون: التَّصَرُّف في غير ما يَمْلِك؛ هذا ظُلْم، فيقولون بناء على ذلك: يجوز لله أن يفعل ما يشاء، هؤلاء أيضاً أرادوا أن يَفِرُّوا من الظُّلْم؛ فغَيَّروا معناه؛ قالوا: إذا كان الظُّلْم هو التَّصّرُّف في مِلك الغير- لأن هؤلاء الأشاعرة ليسوا من القدرية الذين يَنفون هداية التوفيق-، فأرادوا أن يَفِرُّوا من مسألة الظُّلم؛ فقالوا :

الظُّلْم هو التَّصرُّف في مِلك الغير، والله سبحانه وتعالى لا يوجد شيء ليس مِلكًا له؛ كل شيء مُلك له؛ إذن فلا يقع منه ظلم مطلقاً، فبأيِّ تصرُّفٍ تصرف؛ فهو متصرف فيما يملك؛ فلا يمكن أن يقع منه ظلم.

إذن بناء على ذلك ماذا يكون الظُّلْم؟ يكون مُمْتَنِعاً في حقِّ الله لا يُمكن أن يحصل؛ لأنه تصرُّف في مُلك الغير، وملك الغير لا يوجد؛ إذن لا يوجد ظُلْم أصلًا هذا قولهم؛ فصار الظُّلْم عندهم مُمْتَنعاً.

وبناء على هذا حتى لو أثاب الله شخصاً بعمل غيره، أو عذَّب آخر بعمل الأول؛ لا يكون ظالماً له.

وعندهم معنى ثان للظُلْم؛ وهو فعل ما نُهِيَ المرء عنه، فقط هذا هو الظُلْم، والله سبحانه وتعالى لا ناهي له؛ إذن لا يوجد ظُلْم، إذن الظُلْم عندهم مُمْتَنِع عن الله، أي: ليس الأمر أن الله سبحانه وتعالى قادر على الظُّلم؛ ولكنه لا يَظْلِم، وفرق بين الأمرين؛ صار الظُّلْم عندهم مُستحيلاً؛ غير داخل تحت القدرة؛ لأن جميع المخلوقات ملكه ولا يأمرُهُ ولا ينهاهُ أحد، إذن لا يوجد ظُلْم نهائياً في حقه، يمنع نفسه منه.

وبناء على ذلك لا يوجد صفة كمال في نفي الظُّلْم عن الله؛ لأن عندهم أن الله سبحانه وتعالى مستحيل الظلم منه أصلًا- غير موجود-؛ فلا يوجد صفة كمال في الموضوع.

أما عند أهل السنة والجماعة؛ فالظُّلْم هو وضع الشيء في غير مَوضِعِه- هذا تعريف الظُّلْم؛ فاحفظوه-، وهل الله سبحانه وتعالى قادر أن يَضَع الشيء في غير مَوضِعِه؟ نعم قادر.

إذن هل الظُّلْم ممكن أم غير مُمكن؟ نعم مُمْكن؛ من حيث القدرة عليه.

لكن هل يَفعله الله سبحانه وتعالى؟ لا؛ لأنه نقص لا يفعله الله سبحانه وتعالى، وقد حَرَّم الله سبحانه وتعالى الظُّلْم على نفسه.

إذن هو مَقدور لله لكن الله نَزَّهَ نفسه عنه وحَرَّمَه على نفسه، ها هنا تكون صفة كمال؛ الله سبحانه وتعالى تَنَزَّه عن النقص المَقْدور له، هذا فيه وصف لله بالكمال عند أهل السنة والجماعة.

هذه مسألة الظُّلْم، وهي أساس المُشكلة عند المعتزلة والقدرية.

وحتى تفهم موضوع القدر: أساس المُشكلة عند المعتزلة والقدرية هو موضوع الظُّلْم، والأشاعرة والجبرية أرادوا أن يَردّوا عليهم؛ فأفسدوا من ناحية ثانية؛ فعرَّفوا الظُّلْم تعريفاً باطلاً، وبَنوا عليه أيضًا معنى باطلاً كما تقدَّم.

لمَّا عرَّف المُعتزلة والقدرية- الذين كلامنا الآن عنهم؛ لأنهم هم الذين نَفَوا هداية التوفيق-؛ لمّا عرَّفوا الظُّلْم بهذا التعريف ماذا بَنوا على ذلك؟

لمّا صار الظُّلْم عندهم بهذا المعنى نَفَوا هداية التوفيق.

لماذا؟ لأنهم قالوا: إذا هَدى هذا وأضَلَّ هذا؛ فقد ظَلَمَ الذي أَضَلَّه؛ فكيف يُعَذِّبه بعد ذلك على شيء فعله فيه؟ هذه شُبْهَتُهُم.

إذن قالوا: بما أنه خلق العباد؛ فيجب عليه أن يفعل لهم الأَصْلَح، يجب عليه- لاحظ! - أن يفعل الأصلح لهم، فلا يُمكن له أن يهدي أحداً ويُضِل أحداً؛ هذا ظُلْم؛ فلا يكون قد فعل الواجب الذي عليه؛ فيكون ظالماً، ولا يجوز الظُّلْم عليه.

فإذا قلنا: هداية التوفيق بيده.

وقلنا: يجب عليه أن يفعل الأصلح، ويعطي العباد ما يستحقون من الهداية؛ ولم يفعل، ثم يعذبهم؛ فقد ظلمهم.

ولذلك نقول: هداية التوفيق ليست بيده؛ بل العبد هو الذي يؤمن ويكفر ويطيع ويعصي بمشيئته المستقلة.

هذا معنى قولهم.

وبناء على هذا- انظر كيف تنبني الأشياء على بعضها- إذن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم من هداية وضلال وغير ذلك، والله سبحانه وتعالى لا علاقة له بأفعال العباد أبداً، هم يَخلُقون أفعالهم استقلالاً.

انظر إلى أين وصلوا! أثبتوا خالقًا مع الله سبحانه وتعالى.

لوازم قول المعتزلة والقدرية هذه ثلاث:

أولًا: أن مشيئة العبد تَغْلب مشيئة الله؛ وهذا مُخالف لصريح الآية: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير:٢٩].

ثانيًا: يقع في مُلك الله ما لا يُريده، إذ إن العبد له إرادة مُسْتَقلة، وله مَشيئة مُسْتَقلة، يفعل بنفسه ما يُريد حتى وإن لم يُرِده الله سبحانه وتعالى.

ثالثًا: إثبات خالق مع الله، إثبات أكثر من خالق مع الله؛ فعندهم العباد كلهم يخلقون أفعالهم؛ إذن أثبتوا خالقًا مع الله وأشركوا.

هذه الثلاثة لوازم أقوال المُعْتزلة والقدرية؛ وهذا كلُّه باطل، فبالأدلة التي ذكرنا؛ تُبَيِّن بُطلان هذا.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ، بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ)**

انظر كيف يؤكد المؤلف هنا، قال الله سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن:٢] فمن هداه الله إلى الإيمان فبفضله، ومن أضَلَّه فبِعَدْله؛ لأن الله سبحانه وتعالى يفعل بحكمة، هذا الذي هداه؛ هداه لأنه يعلم أنه يستحق الهداية، وهذا الذي أضَلَّه؛ أضلَّه لأنه يعلم أنه لا يستحق الهداية؛ فأضَلَّه الله سبحانه وتعالى، فالله حكيم يضع الأشياء في موضِعِها؛ فلما هدى المُهتدي وفقَّه للإيمان، هذا يَسْتحِقُّ أن يكون مُهتدياً؛ فلذلك هداه،

وهذا يَسْتَحِقُّ أن لا يكون مُهتدياً؛ لذلك أَضَلّه؛ فيضع الله سبحانه وتعالى الشيء في موضعه؛ وهذا عدل وليس ظُلْماً.

قال: **(وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الأَضْدادِ وَالأَنْدادِ)**

الضِّد: المُخالف، والنِّد: المثل.

فهو سبحانه لا مُعارِضَ له؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

قالوا: هنا يُشير المؤلف في نفيّه للضِّد والنِّد إلى الرد على المُعتزلة؛ ففي زَعْمهم أنَّ العبد يَخلُق فِعله، لأنهم جعلوه ندّاً لله سبحانه وتعالى في هذا، وضِدًّا؛ يعني مُخالِفاً لله سبحانه وتعالى، فالله يُريد- مثلاً- الإيمان من العبد والعبد يُريد الكفر؛ فتنفذ إرادة العبد عندهم.

قال: **(لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غالب لأمره)**

قوله: **(لا رادَّ لِقَضائِه)** ما أراده الله سبحانه وتعالى يكون أبداً؛ لا أحد يستطيع أن يُخالف أمر الله.

قوله: **(وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ)** أي: لا أحد يُؤخر حكمه تبارك وتعالى، إذا أراده؛ حصل.

قال: **(وَلَا غالب لأمره)** أمره هو الغالب تبارك وتعالى، لا يوجد أمر لأحد يَغلب أمر الله سبحانه وتعالى، وهذا كُلُّه نقضه المعتزلة والقدرية؛ فردّوا قضاء الله سبحانه وتعالى بجعل العبد يخلق فِعله- خالقاً مع الله سبحانه وتعالى-، ومَشيئته هي التي تمضي، وقضاؤه هو الذي يَرُدُّ قضاء الله تعالى، ويؤخر حكم الله، ويَغْلِب أمر الله؛ كل هذا جعلوه في كلامهم هذا الذي ذكروه.

قال رحمه الله: **(آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ)**

آمنا بكل هذا الذي ذكره؛ في مسائل الإيمان والقدر وغيره مما قررناه من العقيدة الصحيحة.

قوله: **(وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عنده)** أي: كل كائن مُحدَث من عند الله سبحانه وتعالى، فكل الكائنات مخلوقة لله سبحانه وتعالى؛ فهي كائنة بقضاء الله وقدره ومشيئته سبحانه وتعالى. والله أعلم.

ونكتفي اليوم بهذا القدر، ومسائل القدر طبعاً ستأتي إن شاء الله، لكن هذه الآن هي أصل المُشكلة بيننا وبين القدرية والجبرية؛ مسألة الظُّلْم، مع الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى يُوَفِّق من يشاء ويهدي من يشاء ويُضِل من يشاء؛ صار عندهم مشكلة في هذا؛ إذ كيف يهدي الله سبحانه وتعالى من يشاء ويُضِل من يشاء، ثم بعد ذلك الذي يُضِلُّه يُعّذِّبه؛ مُشكِلة، قالوا: هذا ظُلْم، وبعد ذلك فسروا الظُلْم بأنه مثل ظُلْم العباد بعضهم بين بعض، ثم بعد ذلك بدأوا في التحريف كما ذكرنا. والله أعلم.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس التاسع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح العقيدة الطحاوية؛ وهو الدرس التاسع .

وقفنا في كلام المؤلف عند قوله: **(وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ المرتضى)**

قدم المؤلف رحمه الله تعالى القول في هذه العقيدة في أنواع التوحيد الثلاثة؛ فذكر ما يتعلق بالألوهية وبالربوبية وبالأسماء والصفات، ومن ذلك بعض مسائل القدر، فذكر المؤلف رحمه الله تعالى الشهادة؛ شهادة أن لا إله إلا الله وما يتعلق بها، ثم بدأ الآن بذكر نبينا محمد ﷺ وما نعتقده فيه، وهذا ما يتعلق بالشطر الثاني من الشهادة؛ وهي شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

قوله: **(وَإِنَّ مُحَمَّدًا)** هذا اسم النبي ﷺ؛ وهو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

و(محمد) هو أشهر أسمائه، لكنّ أسماءه ﷺ أكثر من واحد؛ فقد جاء في حديث جُبير بن مُطْعِم في "الصحيحين": أن رسول الله ﷺ قال: "لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ".

وفي رواية عند مسلم: "وَأَنا العاقب الَّذِي لَيْسَ بعده نَبِي" والحديث أصله متفق عليه.

(محمد): بمعنى المحمود مع المبالغة؛ أي: الذي حُمِدَ مرة بعد مرة وتكاملت فيه الخِصال المحمودة.

(أحمد): وهو الاسم الثاني؛ أفعل تفضيل من الحمد؛ ومعناه: أحمد الحامدين لربه؛ أي: أكثرهم له حمداً، وأعظمهم في صفة الحمد التي هي ضِدُّ الذم وقريبة من معنى المدح.

(الماحي): فُسِّر هذا الاسم في الحديث؛ قال: "الذي يمحو الله به الكفر" أي يُزيله، لعله يُريد زوال الكفر من الأرض التي وصلها الإسلام التي زُوِيَت للنبي ﷺ، أو من حيث شاء الله تبارك وتعالى.

(الحاشر): كذلك جاء في الحديث تفسيره؛ قال: "الذي يُحْشَرُ الناس على قدمي"، وفي رواية: "على عَقِبي" أي بعدي؛ يعني يُحشر الخلق يوم القيامة على أثره؛ أي: أنه ليس بينه وبين القيامة نبي آخر ولا أمة أخرى ولا شريعة تنسخ شريعتَهُ كما نَسَخَت شريعتُهُ سائر الشرائع.

و (العاقب) الذي ليس بعده نبي؛ أي: أنه آخر الأنبياء وخاتمهم.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري؛ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ".

(المُقَفِّي) المُتَّبِع للأنبياء قبله؛ يُقال: قَفَوتُهُ وقَفَيتُهُ؛ أي: اتبعته.

و(نبي التوبة) أي: أنه جاء بالتوبة.

وتختلف عن توبة من سبق، ومن أوجه الاختلاف: أن توبة السابقين تُقْبل بقتل أنفسهم كما جاء في توبة بني إسرائيل، وهذا ليس في أمة محمد ﷺ، وذكر العلماء بعض الفروق بين التوبة التي جاء بها النبي ﷺ والتوبة التي كانت تُقبل في الأمم الماضية.

و(نبي الرحمة) أي: أنه جاء بالتراحم، وهو مبعوث رحمة للعالمين؛ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧].

هذه مجموعة من الأسماء ثابتة للنبي ﷺ، وقال أهل العلم بأن أسماء النبي ﷺ أعلام وأوصاف أيضاً؛ فاسمه مثلًا (محمد) علم، وصفة يدل على كثرة محامده، وكثرة الخِصال الحميدة فيه، تكاملت فيه الخِصال المحمودة التي تليق به ﷺ كبشر ورسول.

قوله: **(وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى)**

(عَبْدُهُ) فيجب أن نشهد بأن النبي ﷺ عبد لله كما قال الله سبحانه وتعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء:١]، في أشرف المقامات وأعظمها وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه عبد؛ لأن هذا مَقام تشريف في حقه ﷺ أن يكون عبدًا لله، {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} [البقرة:٢٣]، {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} [الفرقان:١]؛ يذكره في مَقامات التشريف والتعظيم أنه عبد لله تبارك وتعالى.

فنحن نشهد للنبي ﷺ بهذه العبودية، وهذا شَرَف لنبينا ﷺ أن يكون عبداً لله، وفي هذا نفي للغُلُوِ فيه؛ بهذه الشهادة ننفي الغُلُوَ فيه ﷺ؛ فلا يرتفع عن مَقام العبودية إلى مَقام الألوهية أو الربوبية؛ بل هو عَبْد؛ نشهد بهذا.

(الْمُصْطَفَى) أي: المُختار، والاختيار والاصطفاء: طلب خير الشيئين.

قوله: **(وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى)** لاحظ أنه تقدم وصف العبودية، ثم الآن جاء وصف النبوة، فهو نبيٌّ مُنبَأٌ بالوحي؛ {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء:١٦٣].

وما معنى النبيّ؟ وهل هناك فرق بين النبيّ والرسول؟

سيأتي بيان هذا إن شاء الله.

الاجتباء: قريب من معنى الاصطفاء، فالاجتباء والاصطفاء والارتضاء؛ كلها قريبة من بعضها في المعنى؛ هو مُختار؛ اختاره الله من بين خلقه.

قال: **(وَرَسُولُهُ المرتضى)** فهو نبيّ ورسول أيضاً؛ مُرتضى ارتضاه الله سبحانه وتعالى {إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن:٢٧].

فإذن ذكر المؤلف وصفه بالنبوّة وبالرسالة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه في أكثر من موضع: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ} يصفه بالنبوّة، و{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ} يصفه بالرسالة؛ فهو نبيّ ورسول، كما قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف:١٥٨]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} [سبأ:٢٨]؛ فهو مُرسل إلى الناس كافة؛ فهو رسول وهو نبيّ.

ما الفرق بين الرسول والنبي؟

عرفنا معنى الاصطفاء والاجتباء والارتضاء؛ فما الفرق بين نبيّ ورسول؟

أولا: بعض أهل العلم ذهب إلى أنه لا فرق بين النبيّ والرسول، وهذا القول خطأ؛ بل الفرق ثابت، وقد حقّق القول في هذه المسألة بكلام طيِّب في إثبات الفرق بين النبيّ والرسول الشيخ المُحَدِّث الألباني رحمه الله في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (المجلد السادس- القسم الأول" عند كلامه على الحديث رقم (٢٦٦٨): "كان آدم نبيّا مُكَلّما، كان بينه وبين نوح عشرة قرون، وكانت الرسل ثلاثمئة وخمسة عشر".

جاء في بعض الأحاديث أن الأنبياء يعدون بعشرات الآلاف؛ يزيدون عن مائة ألف، وأن الرسل بهذا العدد الذي ذكرنا في هذا الحديث- هذا في بعض الأحاديث-، وهنا تحدث الشيخ الألباني رحمه الله عن الفرق بين النبيّ والرسول، واستدل بهذا؛ بالأحاديث التي فرّقت بين عدد الأنبياء وعدد الرسل، وكذلك استدل بقول الله تبارك وتعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} [الحج:٥٢]؛ هنا فرّق بينهما.

والشائع عند العلماء: أنّ النبيّ أعم من الرسول؛ فالرسول هو من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبيّ من أُوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ؛ هذا الفرق هو المشهور عند كثير من أهل العلم.

بعضهم قال: النبي لم يُؤمر بالتبليغ والرسول مأمور بالتبليغ؛ هذا فرق عند الكثيرين؛ وهذا القول ضعيف؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال في هذه الآية {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} أنه أرسل النبيّ، والإرسال يقتضي البلاغ، والوحي يَنْزِل لِيُبَلَّغ لا لِيُكْتَم.

وجاء في الحديث أنّ النبيّ ﷺ قال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ" إذن الأنبياء يُبَلِّغون؛ فيستجيب أقوام ويَمتنع أقوام.

والأقرب في الفرق بينهما: أن الرسول من أُوحِيَ إليه بِشَرْعٍ جديد، والنبيّ هو المَبعوث لتقرير شرع من قبله؛ هذا أَصَحْ عندي. والله أعلم.

طبعاً أوصل البعض الأقوال في هذه المسألة إلى ستة أقوال؛ في الفرق بين الرسول والنبي، ولا نُريد أن نُطيل في ذكرها؛ فالخلاف معروف بين أهل العلم في هذه المسألة.

قال المؤلف: **(وأنَّهُ خاتَمُ الأَنْبِياءِ، وإِمامُ الأَتْقِياءِ، وَسَيِّدُ المُرْسَلِينَ، وَحَبيبُ رَبِّ العالَمِينَ)**

(وأنه) أي: النبي ﷺ محمد الذي خُتِمَ به الأنبياء؛ فلا نبيَّ بعده.

(خاتم الأنبياء) يعني: آخرهم ولا يأتي بعده نبيّ.

(وإمام الأتقياء) التقي: الذي يفعل أوامر الله ويجتنب نواهيه؛ فبهذا يُتَّقى عذاب الله سبحانه وتعالى، والنبي ﷺ إمامهم.

(وسيد المرسلين) هو سيِّد الناس من المُرسَلين وغيرهم؛ قال النبي ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ".

إذن هو خاتَم الأنبياء كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب:٤٠]، وقال تبارك وتعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران:١٤٤]؛ فجميع الرسل والأنبياء قد مَضوا قبلَه؛ فلا نبيّ ولا رسول بعده ﷺ.

وكذلك ما تقدَّم من معاني أسماء النبيّ ﷺ، ذكرنا من الأسماء (العاقِب) الذي ليس بعده نبيّ، وجاء في الحديث في "الصحيح" أنّ النبيّ ﷺ قال: "وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي".

وقد قال أهل العلم بأنّ هذه المسألة؛ أنه لا نبيّ بعد النبيّ محمد ﷺ ولا رسول بعده؛ هذه مسألة من المَعلوم من الدين بالضرورة، حتى عامة الناس يعرفون هذا، ومن شكَّ في أنه ﷺ خاتَم النبيين؛ فهو كافر، هذا بالنسبة لمن شكَّ في هذا؛ فكيف بمَن ادّعى النُّبوة أو صدَّق من يدَّعي النبوة؛ فهو كافر أيضاً.

إذن من ضمن شهادة أنَّ محمداً رسول الله: أن نشهد أنّه خاتَم الأنبياء وخاتَم الرسل.

كذلك لا بُدَّ أن نشهد أنّه مرسل للناس كافة؛ يعني من يقول أنّ محمداً ﷺ مرسل للعرب فقط؛ لا يكفي منه ولا يُعتبر مؤمناً بهذا، لا، حتى يشهد بعموم وشمول رسالة النبيّ ﷺ للناس كافّة؛ للإنس والجن: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}

[الأعراف:١٥٨]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} [سبأ:٢٨]، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"، وقال عليه الصلاة والسلام: "لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا اتِّبَاعِي".

فمن زعم اليوم أنّ اليهود والنصارى أو أي أحد من الناس يَسَعُهُ أن يخرج عن شريعة محمد ﷺ؛ فهو كافر، ومن جوّزَ لأحد أن يكون على غير دين الإسلام؛ فهو كافر مُكَذِّب بهذا الذي ذكرناه كله، حتى عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة محمد ﷺ.

وشَريعتُهُ ﷺ لازمة لجميع البشر، ولا يَسَعُ أحد الخروج عن شريعته ﷺ.

قوله: **(وإمام الأتقياء)** فالنبي ﷺ إمامهم، والإمام: هو القدوة في الخير؛ فهم يَقْتَدون به.

قوله: **(وسيد المرسلين)** أي أفضَلُهُم، ودليله تقدَّم: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ".

قوله: **(وحبيب رب العالمين)** بمعنى أنه محبوب لله تبارك وتعالى؛ لكن هذه المحبة ليست خصوصية للنبي ﷺ؛ فمحبة الله تكون للأنبياء والرسل والصالحين والأتقياء والمحسنين كما جاء في كتاب الله في غير موطن كقوله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف:٤]، وقوله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة:١٩٥]، وغير ذلك.

وكما ذكرنا فالمحبة ليس فيها خصوصية للنبي ﷺ، لكن الخصوصية في ماذا؟

الخصوصية في الخُلَّة، والخُلَّة أعلى مراتب المحبة، والخُلَّة هذه من خصائص النبي ﷺ مع إبراهيم عليه السلام كما قال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ"، وقال:" إِنَّ

اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا"؛ فإبراهيم ومحمد خليلا الله تبارك وتعالى، هذه هي الخصوصية؛ فالأفضل أن يُقال: (وخليل رب العالمين تبارك وتعالى).

قال المؤلف: **(وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ؛ فَغَيٌّ وَهَوَى)**

هذا لِما قدَّمنا: أنه خاتَم الرسل، فأي أحد يأتي ويدَّعي النبوة أو الرسالة من بعده؛ فدعواه باطلة.

(الغَيّ) ضد الرشد، و**(الهوى)** ضد الهُدى؛ فادعاء النبوة بعد مبعثه ﷺ: هو اتباع للهوى والضلال؛ كما قال الله تبارك وتعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام:٩٣] من أظلم من هذا؟!

وكما جاء في الحديث كما قدّمنا بأنه سيأتي أُناس ويَزْعُمون ويدَّعون أنهم أنبياء وحصل هذا حتى في زمن النبي ﷺ؛ مثل مُسيلمة الكذّاب والأسود العَنْسي وسَجاح وغيرهم بعد ذلك؛ وهذا كله كذب وضلال وكفر.

قال: **(وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى؛ بالحَقِّ والهُدى، وبالنُّورِ والضِّياءِ)**

النبي ﷺ مبعوث إلى **(عامَّة الجِنِّ)**، وإلى **(كافّة الوَرَى)** أي كافّة الناس، فهو مرسل إلى الجن والإنس.

أما الناس؛ ففي قوله تبارك وتعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف:١٥٨]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} [سبأ:٢٨].

وأما الجن؛ فجاء في آيات أنه مُرسل إليهم؛ من ذلك سورة الجن: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} [الجن:١].

فالنبي ﷺ مرسل إلى هؤلاء وإلى هؤلاء؛ إلى الجن والإنس.

والجن موجودون، وذِكْرُهم في القرآن، في غير ما آية؛ بل سورة كاملة اسمها سورة الجن، هم عالم غيبي، مُكَلَّفون، في القرآن والسنة ذِكْرُهم كثير، ومن يُنْكِر وجود الجن يَكْفر.

وقوله: **(بالحق والهدى وبالنور والضياء)** أي: النبي ﷺ مُرسل بالحق والهدى والنور والضياء؛ كل بمعنى واحد:

الحق ضِد الباطل، الهدى ضِد الضلال، النور والضياء، المعنى قريب من بعضه، {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} [التوبة:٣٣] بالعلم النافع والعمل الصالح.

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [البقرة:١١٩]؛ بالحق، كل ما جاء في الكتاب والسنة فهو حق، والقرآن والسنة نور وضياء تضيء للإنسان الظُلْمة وتهديه من الضلال الذي يعيشه، هذا وصف لشريعة الله تبارك وتعالى التي جاءت في الكتاب والسنة، والتي جاء بها النبي ﷺ؛ فكل ما فيها حق وليس فيها شيء من الباطل، وهي نور وهداية للناس تُخرجهم من ظلمات الكفر ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى ونور الحق؛ المشي في الطريق الصحيح السليم هداية، هذه الأوصاف كلها نؤمن بها في حق نبيّنا ﷺ.

والناس في النبي ﷺ على ثلاثة أقسام:

من يَغلو فيه ويجعل فيه بعض خصائص الألوهية أو الربوبية.

ومنهم من يُقَصِّر في حقه؛ ومن هؤلاء المقصرين في حقه: المُكَذِّبون له.

والاعتدال في ذلك: هو تصديقه فيما جاء به من عند الله تبارك وتعالى، ونَتَّبِعه ونُطيعُه ونلتزم بالشريعة التي جاء بها، ونَعْتَقِدُ أنّه عبد ورسول لله تبارك وتعالى. والله أعلم.

نكتفي بهذا القدر. والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس العاشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

معنا اليوم درس جديد من دروس شرح العقيدة الطحاوية؛ وهو الدرس العاشر.

وقفنا عند قول المؤلف رحمه الله: **(وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلاً، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْياً، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقّاً، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ؛ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ؛ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [الْمُدَّثِّرِ: ٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [الْمُدَّثِّرِ: ٣٢]؛ عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ الْبَشَرِ)**

قوله: **(وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ)** هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن، هذا القرآن الذي بين أيدينا الذي نقرأه، الذي يبدأ بالفاتحة وينتهي بسورة الناس؛ عقيدتنا فيه أنه كلام الله.

وقول المؤلف: **(وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ)؛** هذا معطوف على ما تقدَّم؛ بأننا نقول في القرآن؛ مُعتقدين بتوفيق الله: إن القرآن كلام الله؛ أي: هذا مُعتقدُنا، هذا الذي نَدينُ الله به، نَعْتَقِدُه ونُقِرُّ به ونقوله؛ إنّ القرآن هذا الكتاب المُنَزَّل على محمد ﷺ؛ هو كلام الله؛ تَكَلَّم به سُبحانه وتعالى.

قوله: (مِنْهُ بَدَا) قولًا له، (مِنْهُ بَدَا)؛ أي: ظَهَرَ منه، قولًا له؛ قاله وأنزله سبحانه وتعالى على نبيه، فالله سبحانه وتعالى قاله- تَكَلَّمَ به-، وسَمِعَهُ منه جبريل، وسَمِعَهُ نبيّنا محمد ﷺ من جبريل، وبَلَّغَهُ لأمته، وها هم يتناقلونه؛ جمعاً عن جَمعٍ إلى زمننا هذا.

فمنه بدا؛ أي: إنه تَكَلَّمَ به وقاله وأنزله سبحانه وتعالى، كما قال الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة:٦]؛ فهو كلام الله تَكَلَّمَ به.

وقال تبارك وتعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة:٧٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فهو كلام الله (مِنْهُ بَدَا) كلامًا له، وأنزله على نبيّه ﷺ {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر:١]، {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ} [النحل:١٠٢]؛ فابتدأ من الله تبارك وتعالى؛ تَكَلَّمَ به.

قوله: **(بِلَا كَيْفِيَّةٍ)** أي: إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كَيْفِيَّةٍ نَعْلَمُها؛ هذا المعنى المقصود هنا، كما قال الإمام مالك رحمه الله في الاستواء: (الاستواء مَعْلوم، والكَيْفُ مَجْهول، والسُؤال عنه بدعة).

فنقول: كيفية الكلام مجهولة بالنسبة لنا لا نعلمُها؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يُخْبرنا بذلك، هذه أمور غيبية، نحن نؤمن بما أخبرنا الله تبارك وتعالى به منها، وما جاء في الكتاب آمنا به، وما جاء في السنة آمنا به، وما سَكَتَ الله سبحانه وتعالى عنه؛ نسكت نحن عنه.

قوله: **(قَوْلًا)** أي: منه بدا قولًا بلا كَيْفِيَّة نعلمها- هذا المقصود-، أي: بدا من الله قولًا له قالَه، تَكَلَّمَ به، وسمعه منه جبريل وسمعه الرسول ﷺ من جبريل.
وقوله: (قَوْلًا) أَكَّدَ فيه أنه كلام الله تبارك وتعالى؛ حتى لا تَتَوَهَّم أن مَقْصودَهُ من ذلك: أنّ منه بدا خلقاً، لا؛ بل منه بَدَا قَوْلاً.

قوله: **(وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا)؛** فهو مُنْزَل على النبي ﷺ، {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء:١٩٣- ١٩٥]؛ إذن هو مُنَزَّلٌ من عند الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ وَحْياً من الله تبارك وتعالى؛ كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام:١٩].

قوله: **(وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا)** المؤمنون هم الذين آمنوا بما جاء به محمد ﷺ، فصدَّقوا الرسول ﷺ، (وَصَدَّقَهُ) أي: صَدَّقَ المؤمنون الرسول ﷺ، (على ذلك حقًّا) فصدَّقَ المؤمنون ما جاء به النبي ﷺ من كلام الله تبارك وتعالى، (حقًّا) والحَقُّ ثابت ضِدّ الباطل، فصدقوه بأن هذا الكلام هو كلام الله، وأنّه أتى به من عند الله تبارك وتعالى، وأنّ الله أوحى به إليه، وأنَّ هذا حقٌّ ثابتٌ لا شك فيه.

قوله: **(وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ)** يعني: أيقَنَ المؤمنون الذين صدَّقوا به، **(أنّه)** أي: هذا القرآن كلام الله على الحقيقة لا المجاز.

المُعَطِّلة بأنواعهم يقولون هو كلام الله؛ يقول لك: أنت تقول: هو كلام الله، ونحن نقول: هو كلام الله؛ إذن لا يوجد فَرْق؛ لكن ماذا يَعْنون بكلام الله؟

يقول الجهميَّة والمُعْتزلة: هو كلام الله ولكنه مَخْلوق، وإضافته إليه إضافة تشريف؛ كإضافة الناقة، وإضافة البيت؛ فهو من إضافة مَخْلوق إلى خالقه- هذا كلامهم-؛ فليس هو كلام الله حقيقة، ليس هو كلام الله الذي هو صفته تبارك وتعالى، يقولون: لا؛ ليس هو كذلك، يقولون: الله لا يتكلم؛ فلا يُثْبِتون صفة الكلام لله تبارك وتعالى.

والذين خالفوا في هذه المسألة- وهي مسألة القرآن وأنه كلام الله- وهم المُعَطِلة أهل البدع الذين قالوا: القرآن مَخْلوق؛ المسألة عندهم مَبْنية على صفة الكلام أساساً، فمن نفى صفة الكلام؛ يُشْكِلُ عليه أمر القرآن؛ فكيف يَنْفي صفة الكلام، ثم يقول القرآن كلام الله؟! لا يستقيم، فعنده الله لا يَتَكَلَّم؛ فكيف يكون القرآن كلام الله؟!! فلذلك قالوا: القرآن مَخْلوق وليس كلام الله.

وقالوا: الله لا يَتَكَلَّم؛ فنفوا عنه صفة الكلام؛ هذا أصل ضلالهم.

وقد تقدم الكلام في صفة الكلام في مبحث الصفات وإثباتها لله سبحانه وتعالى؛ وأنّ إثباتها يَلْزَم منه التشبيه عند أهل البدع؛ ولذلك يَنْفونها عن الله سبحانه وتعالى.

إذن المُعَطِّلة يقولون: هو كلام الله لكن لا حقيقة، ليس كما قال المؤلف: (وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ)؛ فالمؤلف هنا ينفي عقيدة أهل البدع من المُعَطِّلة الذين يقولون إن الكلام كلام الله ولكنه ليس على الحقيقة؛ بل على المَجاز، وإضافته إلى الله إضافة تشريف من إضافة المَخلوق إلى الخالِق؛ هذا قولُهُم؛ هذا قول الجَهمية والمُعْتزلة.

أما الأشاعرة؛ فهم كعادتهم مُضْطَرِبون مُتَخَبِطون، يأتون بعقائِد مُلَفَّقة تَأخُذُ من هنا وهناك؛ لذلك تَحْذَر من تَخَبُطاتِهِم وأقوالهم التي يُحاولون الجَمْعَ فيها بين عقيدة أهل السنة والجماعة وعقيدة المُعَطِّلة من الجَهْمِية والمُعْتَزِلة، فإنهم حين يُصْدَمون ويُواجَهون بأدلة الشرع من الكتاب والسنة وما كان يَقوله السلف الصالح رضي الله عنهم؛ يُحاولون أن يُلَفِقوا أقوالًا ما أنزل الله بها من سلطان؛ فيجمعون بين قَول المُعَطِلة وقَول أهل السنة من هنا وهناك- ولا يَجْتَمِعان طبعاً-؛ لذلك أتَوا بما أضْحَكَ عليهم العُقَلاء؛ كمسألة الرؤية التي ستأتي إن شاء الله، ومسألة كَسْب الأشعري، وغيرها من العقائد التي اضطرب فيها الأشاعرة اضطراباً شديداً.

فالجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلَة يقولون القرآن كلام الله لكنه مَخْلوق.
والأشاعرة مُؤدّى كلامهم ونهايته أنّه مَخْلوق أيضاً، وليس كلام الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء الأشاعرة يُثبتون الكلام لله؛ يقولون: الله سبحانه وتعالى له كلام؛ لكنّ كلامه عندهم نفسي.
ما معنى الكلام النفسي؟
يعني: أنّها معانٍ أو معنىً واحد قديم قائمٌ به سبحانه وتعالى لازمٌ لذاته، معانٍ قائمة بالنفس، هذا معنى كلام نفسي؛ معانٍ في النفس لا يتكلّم بها بحرف وصوت؛ هي معانٍ موجودة في النفس أو معنىً واحد قديم قائم في الله سبحانه وتعالى في نفسه، وإذا أراد أن يُظْهر هذا المعنى خَلَقَ خَلْقًا عَبَّر به عما يُريد؛ لذلك يقولون: القرآن عبارة عن كلام الله؛ فهو في الحقيقة مَخْلوق عندهم، بَعْضُهُم يُصَرِّح بهذا، وبَعْضُهُم لا يُصَرِّح.

إذن في النهاية عندهم جميعاً: أنّ القرآن الذي بين أيدينا هذا مَخْلوق، وأنّه كلام الله مَجازا لا حقيقةً؛ هذا مُؤدى القول عند الأشاعرة وغيرهم.

وأما أهل السنة والجماعة؛ فيُخالفونهم في هذا، ويقولون بأنّ الله سبحانه وتعالى تَكَلّمَ بهذا القرآن كلاماً حقيقيًّا بحرف وصوت، وسَمِعَهُ منه جبريل.

فالقول بأن القرآن مَخْلوق قول مُبْتَدَع، وقد كَفَّرَ السلف من يقول القرآن مَخْلوق في نصوص كثيرة جاءت عنهم؛ ذكرها الخَلّال في "السنة"، وعبدالله بن الإمام أحمد في "السنة"، وذكرها الآجُري في "الشريعة"، واللالكائي في "اعتقاد أهل السنة والجماعة"؛ وغيرهم أيضًا، وقد نقلوا الاتفاق على هذا؛ أنّ من قال: القرآن مَخْلوق؛ فهو كافر.

وبسبب هذه المسألة حَصلَت مِحْنَةُ العُلَماء، في زمن الخليفة المأمون العباسي، لمّا صار له وزير من المُعْتَزِلة وهو ابن أبي دُؤاد؛ تَبَنّى هذه العقيدة- أنّ القرآن مَخْلوق-، وتَبَناها معه المأمون؛ فامْتَحَنَ العُلَماء عليها، وقَتَلَ من قال القرآن كلام الله غير مَخلوق وأبى أن يقول: القرآن مَخْلوق؛ فقَتَلَ من قَتَلَ منهم وعَذّبَ من عَذّب، ونَجّى الله سبحانه وتعالى مَن شاء مِن فِتْنَتِه.

فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة ليس بمَخلوق كما يَقوله أهل البدع من أهل الكلام؛ المُعَطِّلة والمُتَكَلِّمون أهل الكلام الذين يتكلمون في دين الله بالرأي، بالعقول؛ العقلانيون، الجَهْمِيَّة؛ كلّها أسماء لمن قدّمَ العقل على النَّقْل، ومن نفى شيئاً من صفات الله سبحانه وتعالى الثابتة في الكتاب والسنة.

قوله: **(فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ؛ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [الْمُدَّثِّرِ: ٢٦])**

(فَمَنْ سَمِعَهُ) ضمير عائد إلى القرآن، **(فزعم)** أن القرآن كلام البَشَر، تَكَلَّمَ به محمد ﷺ؛ **(فقد كفر)**؛ هو كافر مُكَذِّب للرسول ﷺ، وقد وَرَدَ أنّ الوليد بن المُغيرة سمع القرآن، فأراد الكُفّار منه أن يقول فيه قولاً فقال: (إنْ هذا إلا قول البشر)؛ فأنزل الله فيه الآيات التي في سورة المدثر: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا* وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ *كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا *سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر: ١١-٢٩]؛ هكذا توعده الله سبحانه وتعالى على قوله: (إن هذا إلا قول البشر).

(عَلِمنا بذلك أنّه قَولُ خالِق البشر، ولا يُشْبه قَوْل البشر)

وذم الله سبحانه وتعالى هذا الذي قال: (إنْ هذا إلا قول البشر)، وتَوَعَّده الله سبحانه وتعالى؛ إذن فليس هو بقول البشر؛ بل هو قول خالق البشر تبارك وتعالى.

قال: **(وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ البشر)** لا يُشبه قول البشر لا في فصاحته، ولا في معناه، ولا في عدله، ولا في صِدْقِهِ في أخباره؛ لا يُشبه قول البشر، مع أنّه نَزَل باللغة العربية، وهو كلام بحرف وصوت.

هذا ما أردنا أن نذكره في هذه الفِقْرة.

ثم قال المؤلف -رحمه الله-: **(وَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ؛ فقد كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا؛ اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكفار انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ)**

(من وَصَفَ الله بمعنى من معاني البشر)؛ يعني من شبَّه الله سبحانه وتعالى بخلقه؛ فقد كفر؛ لأنّه مُكَذِّب بقول الله تبارك وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:١١]؛ فالله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

قال أحد أئمة السلف؛ وهو نُعَيم بن حَمّاد: (من شَبّهَ الله بخلقه كَفَر) لاحظ هناَ من شبه الله بخلقه كما فعل المُشَبِهة؛ كَفَر، (ومن جَحَدَ ما وَصَفَ الله به نفسه كفر)؛ كما فعلت المعطلة، قال: (وليس فيما وصَف الله به نَفْسَه ولا رسوله تَشبيه)؛ أي: أنت عندما تثبت لله ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات؛ لا تكون قد شبَّهْتَ الله بخلقه، وليس في هذا تشبيه، وقد تَقَدّم معنا معنى التشبيه عند السلف ومتى يكون المُشَبِّه مُشَبِّهاً.

قال: **(فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ)** من أَبْصَرَ هذا، من تأمل فيه وأبصَرَه ببصيرته؛ اعتبر؛ فهناك فَرْقٌ واضح بين صفات الخالق وصفات المَخْلوق، وإن اشتركت في الاسم وأصل المعنى؛ لكنها تختلف في الحقيقة وتختلف في الواقع والخارج؛ فلا تشابه بين كلام الله وكلام البَشَر، وكذلك في بقية الصفات؛ فَفَرق بين صفات الله وصفات المَخْلوق، ومن لم يُفَرِّق بينهما؛ فقد كَفَر .

(وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكفار انزجر) انزجر عن مثل قول الوليد بن المُغيرة، وعن مثل قول من كَذّبَ بما جاء في الكتاب والسنة من إثبات ما أثبت الله لنفسه.

(وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر) أنّ الله سبحانه وتعالى بصفاته ليس كالبشر، لا في صفة الكلام ولا السَمْع ولا البَصَر، ولا غير ذلك من الصفات؛ فليس كمثله شيء تبارك وتعالى. والله أعلم.

والحمد لله. ونكتفي بهذا القدر.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس الحادي عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح العقيدة الطحاوية وهو الدرس الحادي عشر.

قال المؤلف رحمه الله: (وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ؛ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [الْقِيَامَة: ٢٢ - ٢٣]، وَتَفْسِيرُهُ على ما أراده اللَّهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ، لا نَدْخُلُ فِي ذلكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرائِنا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا؛ فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ)

هذه الفِقْرة يتكلم فيها المؤلف رحمه الله عن عقيدة مهمة، هذه العقيدة من أعظم أسباب الخلاف بين أهل السنة والجماعة، وأصل البدع من المتكلمين؛ وهي رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم يوم القيامة.

أهل السنة والجماعة يُثبتون هذه العقيدة؛ يقولون بأن المؤمنين سَيَرَون ربهم يوم القيامة بأعيُنِهِم، وأهل البدع من الجهمية والمُعتزلة يَنفون هذه الرؤية.

قال المؤلف: **(وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ)** الرؤية ثابتة لأهل الجنة؛ يَرَون ربهم يوم القيامة في الجنة، ويَرَونَه في المَحْشر.

واختلف العلماء في المنافقين والكفار؛ هل يَرَونه في المَحْشَرِ أم لا؟

أما وَهُم في النار؛ فلا، لكن الخِلاف في الكفار والمنافقين في المَحْشَر.

أما أهل الإيمان؛ فيَرَوْنَه في المَحْشَر ويَرَونَهُ في الجنة، ورؤيتُهُ نعيمٌ لأهل الجنة.

وأهل السنة والجماعة أَثْبَتوا هذه الحقيقة؛ لِثُبوتِها في الكتاب وفي السنة ولإجماع السلف الصالح رضي الله عنهم عليها، فالأدلة ثابتة في الكتاب وفي السنة وفي الإجماع وقد نَطَقَ بها السلف صراحةً، والأدلة فيها مُحْكَمَةٌ؛ فلا يُخالف في هذه المسألة إلا ضالٌ مُبْتَدِعٌ صاحب هوى، ترك الأدلة المُحْكَمة وذهب يَتَعَلَّقُ بالمُتَشابهات؛ اتباعاً للهوى.

لهذا أثبت أهل السنة والجماعة هذه العقيدة؛ فقال المؤلف: **(وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ)** عند أهل السنة والجماعة، **(بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ)** أي: وإن كانوا يَرَوْنَهُ؛ إلا أنهم لا يُحيطون به؛ فهو تعالى أعظم من أن يُحيط به العباد قال تبارك وتعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٠]، كذلك لا يُحيطون به رؤية كما في قوله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام:١٠٣] أي: لا تُحيط به الأبصار.

وهناك فَرْقٌ بين الإحاطة والرؤية؛ لذلك قال المؤلف: (بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ) يعني: لا يَرَوْنَهُ رؤية يُدْرِكونَه بها من كل وَجْه؛ إحاطة كاملة، لا تدركه الأبصار بهذه الطريقة؛ لكنهم يَرَوْنَهُ؛ فيؤمنون بهذه الآية {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}، ويؤمنون بقول الله تبارك وتعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٢-٢٣] تنظر إلى الله سبحانه وتعالى؛ أي: يَرَوْنَه.

هكذا أهل السنة يؤمنون بالكتاب كلّه، لا يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعضه، ولا يَجْعلون بَعْضَه يُخالِفُ بَعْضاً ويُعارِضُ بَعْضاً؛ فكتاب الله تبارك وتعالى وسنة نبيه ﷺ لا تعارضَ بينها، ولا يَقْدَحُ بعضها في بعض؛ بل كُلُّها يُصَدِّق بعضها بعضاً، الخَلل عند أهل البِدَع ومن

يُسَلِّمُ تفسير الكتاب والسنة إلى عقله؛ هذا يَقع عنده الخَلل؛ فالرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة.

(وَلَا كَيْفِيَّةٍ) لا كَيْفيَّة نعلمها، الكَيْفِيَّة موجودة لكننا لا نعلمها؛ فنقول: (بغير إحاطَةٍ ولا كَيْفِيَّةٌ نَعْلَمُها)؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بالرؤية ونحن نَعْلَم أن هذه الرؤية لها كَيْفيَّة، ولصفاته تبارك وتعالى كَيْفِيَّة؛ ولكن لا نَعْلَمُها.

قوله: **(كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [الْقِيَامَةِ: ٢٢ - ٢٣])**

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} يعني: بَهِيَّة حَسَنة، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} تنظر إلى ربها.

هذه آية واضحة وصريحة في المُراد، ويوجد في الكتاب والسنة أدلة صريحة على هذه العقيدة.

ولا يجوز تحريف الأدلة الشرعية- والذي يُسَمونه التأويل- كي تتماشى مع البدع والضلالات، إذا جاءتنا نصوص واضحة وصَريحة في المُراد؛ فالواجب هو التسليم لها، ولا يجوز تحريفها أو ما يُسَمونه تأويلاً.

وكلام العرب وإن كان أحياناً يَحْتَمِلُ معانيَ؛ إلَّا أنّه يكون معه من القَرائِن والسِّياق ما يَمْنَعُ الاحتمالات ولا يُبقي إلا معنى واحداً، وهنا يكون النّص صريحاً في المُراد.

من الممكن أن تأتي وتتفَلْسَف بفلسفاتٍ كثيرة للتأويلات الباطلة- هذا ممكن- في أيِّ كلام يمكن أن تفعل ذلك؛ لذلك تَجِد أهل البِدَع لا يَتَوَقَّفون عن التأويلات والتحريفات لنصوص الكتاب والسنة؛ هذا ممكن بِتَكَلُّف وتَصَنُّع، والكذب على اللغة العربية يمكن أن يَحْصُل، لكن الذي عنده علم؛ يعلم في قرارة نفسه أنه مُبطِلٌ في فعلِه هذا.

قال الذهبي رحمه الله في "تاريخ الإسلام" بعد أن ذَكَرَ كلامًا كُفرِيًّا لِبَعْضِهم، وحاول البعض أن يتأوّل له تأويلات حتى يَلْتَمِس له العُذْر فيما قال؛ كما يفعل كثير من أهل البدع لرؤوسهم اليوم؛ كما يَفْعلون في كلام سيّد قُطُب وغيره، وكما يفعل أهل البِدَع في نصوص الشَرْع في الكتاب والسُّنة؛ يُحاولون تَحْريفها كي تتماشى مع أهوائِهِم، تأويلات فاسدة؛ قال: (إن فَتَحنا باب الاعتذارات للاعتذار عن المَقالات، وسَلَكْنا طريقة التأويلات المُسْتَحيلات؛ لم يبقَ في العالم كُفْرٌ ولا ضَلالٌ، وبَطَلَت كُتُبُ المِلَل والنِّحَل واختلاف الفِرَق).

هذا لأجل تأويل الكلمات الواضحات التي يكون فيها كُفْرٌ صَريح ويتأوّلونها عن معانيها، كذلك الأمر في تأويل النصوص الحق والتي تدل على العقيدة الحق؛ تُتَأوّل تأويلات كهذه التأويلات المستحيلات.

وقال في مثل هذا ابن أبي العِز الحَنَفي؛ قال في آية {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}: (وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يُسميه تأويلًا؛ فتأويل نصوص المَعاد والجَنة والنار والحِساب أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مُبْطِلٌ أن يتأول النصوص ويُحَرِّفَها عن مَواضِعِها؛ إلا وَجَدَ من السبيل ما وَجَدَه مُتَأَوِّل هذه النصوص؛ وهذا الذي أفسد الدنيا والدين؛ وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحَذَرَنا الله أن نفعل مِثْلَهُم، وأبى المُبطِلون إلَّا سلوك سبيلِهِم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جِناية، فهل قُتِلَ عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد، وكذا ما جرى في يوم الجَمَل وصِفّين ومَقْتَل الحُسَين والحرّة، وهل خرجت الخوارج واعتزلت المُعتزِلة ورَفَضَتْ الرَوافض وافْتَرَقَت الأمة على ثلاثٍ وسبعين فِرقة إلا بالتأويل الفاسد).

هذا ما قاله ابن أبي العِز وقد أحْسَن في مسألة التأويل الفاسد؛ التَّسَلُّط على نصوص الشريعة بالتأويلات الفاسدة المُبْطِلة؛ فانظر إلى التأويلات أين تَصِل.

التأويل لا يكون حقًا إلا في مَوضِعِه الجائز شرعاً فقط، تأويل كلام أهل الباطل لالتِماس الأعذار لأهل الباطل: باطل؛ كما قال الذهبي- وقد تَقَدَّمَ نَقْل كلامه في ذلك-، وتأويل النصوص الشرعية الحق التي تَدُلُّ على العَقائِد الصحيحة لِصَرفِها عن معانيها الصحيحة؛ باطل، هذه التأويلات لا تكون تأويلات صحيحة؛ لأنها تكون بعيدة كل البُعْد عن الصَّواب؛ لوضوح المَقالات وصراحَتِها في المُراد.

هذا الكلام عن التأويل والحَذَر من التأويل والدفاع عن الباطل بالتأويلات، أو رَد الحق بالتأويلات؛ نوعان:

تأويل لرَدّ الحق؛ وهو الذي نحن فيه، وتأويل للدفاع عن الباطل أو عن أهله؛ وهو ما ذكره الذهبي رحمه الله؛ وكُلُّه باطل.

الخلاصة والتي أردناها؛ أنك إذا أردت أن تتَأول وأن تُحَرِّف في الكلام فيمكن ذلك؛ ستَجِد إلى ذلك سبيلًا، حتى لو كان بالتَّكَلُّف، وحتى لو كُنت أنت في قَرارة نفسك تعلم أنك مُبْطِل للتلبيس؛ لكنّ الحق عليه نور؛ لا يَخْفى على مُريدِهِ.

فهذه الآية التي معنا واضحة وصَريحة في المُراد، يمكن أن يُحَرِّفها أهل الباطل وأن يَتَعَلَّقوا بشيء؟

نعم يمكن؟ كيف؟

بالنَظَر، الفعل (نَظَرَ)؛ يأتي في لغة العرب على وجوه؛ فَتَعَلَّقوا بهذا، لكن لا مُتَعَلَّق لهم به؛ لأن السِّياق الذي يأتي به يَدلُّ على المُراد منه، ويَتَعَيَّن المُراد مع القرائِن.

(النَظَر) يأتي متعَدِياً بنفسه؛ فيكون بمعنى الانتظار؛ {هل يَنْظُرون إلا تأويله} أي: (هل يَنْتَظِرون إلا تأويله) هنا لا يوجد حرف جر جاء بعده، وتعدّى بنفسه؛ فكان معناه الانتظار.

ويأتي مُتَعَدِياً بحرف جر (في)؛ فيكون معناه التَّفكُّر: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف:١٨٥]؛ يَتَفكَّروا فيها.

ويأتي مُتَعَدِيًا بـ (إلى)؛ فيُراد به نَظَرُ العين {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ} [ق:٦]، {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية:١٧]؛ النَظَر بالعين.

والنظر عندنا هنا تعَدّى بـ(إلى): {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} هو مُتَعَدٍ بـ(إلى)، تَنْظُر الوجوه إلى ربها.

وهناك قَرينة ثانية في الآية تَدُلّ على أنّ المُراد نَظَرَ العين لا نَظَرَ القلب-كما يقول أهل البِدَع-؛ قال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} الوجوه مَحَل النظر لا القلب؛ إذن فهو نَظَر عين لا نظر قلب؛ هذه قرينة ثانية.

فمع هذا السِّياق وهذه القرينة؛ لا يُمكن حَمْلُ الكلام على غير هذا المعنى؛ فالآية واضحة وصَريحة في المُراد، يَدْعَمُها ويُقَويها الأدلة الأخرى التي تأتي في هذا الباب؛ منها قول الله تبارك وتعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس:٢٦] (الحُسْنى) هي الجنة

و(الزِّيادة) هي النظر إلى وَجْه الله تبارك وتعالى؛ هكذا فَسَّرها النبي ﷺ وفَسَّرها الصحابة رضي الله عنهم والحديث في "صحيح مسلم".

والدليل الثالث من القرآن أيضاً قال الله تبارك وتعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥]؛ استدل بهذا الدليل: الإمام الشافعي؛ فقال: (لمّا حُجِبَ هؤلاء في حال السُّخْط؛ كان هذا دليلًا على أن أولياءه يَرَونه في الرِّضى)؛ استدلالٌ قوي.

وأمّا الأحاديث في هذا؛ فكثيرة مُتواترة، لم تَرِد عن صحابي ولا اثنين ولا ثلاثة ولا أربعة؛ بل جَمْعٌ من الصحابة؛ قال بعض أهل العِلْم: بَلَغَ نحو ثلاثين صحابيّاً، رووا هذه الأحاديث التي فيها الرؤية؛ فهي مُتواترة؛ منها: حديث أبي هريرة أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ".

هذا حديث أبي هريرة، وورد من حديث أبي سعيد، ومن حديث جرير بن عبد الله؛ وكُلُّها في "الصحيحين"، وغيرها من الأحاديث؛ كُلُّها تدل على رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة.

واستدل أهل البِدَع بأدلة في هذه الرؤية منها: قول الله تبارك وتعالى: {لَنْ تَرَانِي} [الأعراف:١٤٣]، وقوله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام:١٠٣].
{لَنْ تَرَانِي} هذه قالها الله تبارك وتعالى لموسى لمّا طلب من الله تبارك وتعالى أن يراه؛ فقال له: {لنْ تَرَانِي}، هذا في الدنيا وليس في الآخرة.

قال أهل العِلمِ: وهذا لأنّ البَشَرَ لا قُدرة لهم في الدنيا على رؤية الله تبارك وتعالى؛ لِضَعْف قُوى البَشَر، واسْتَدَلوا على هذا بقول الله تبارك وتعالى: {وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} [الأعراف:١٤٣]؛ فالجبل مع قُوّتِهِ وصَلابَته لا يَثْبُت للتجلّي في هذه الدار؛ فكيف بالبشر الذي خُلِقَ من ضَعْف، أما يوم القيامة؛ فيُمَكِّنهم الله سبحانه وتعالى من ذلك.

واستدل أهل العِلْم بهذه الآية على أنّ الرؤية يوم القيامة مُمكنة أصلًا، لا كما يقوله أهل البِدَع بأنها غير مُمْكِنة؛ قالوا: لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يُنْكِر على موسى هذا الطّلَب من أصْلِه؛ قالوا: لو كان غير مُمْكن؛ لأنكره عليه؛ كما أنكَرَ على نوح سؤاله نجاة ابنه.

وأما قول الله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} فقد فَسَّرنا معناه؛ وهو الإحاطة، والإحاطة غير الرؤية؛ فلا حُجَة لهم في ذلك، ونحن نُثْبِت الرؤية لا نُثْبِت الإحاطة وبينهما فَرْق.

وفي الحديث تشبيه الرؤية بالرؤية؛ إنكم ستَرَون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامُّون في رؤيته، هذا تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي.

لكن في الرؤية وإثبات الرؤية دليل على عُلُو الله على خلقه، فالخَلْقُ يَرَوْنَهُ في العُلُو تبارك وتعالى؛ لذلك نفى الأشاعرة رؤية الله إلى جِهَة؛ وهذا ضَلال الأشاعرة؛ أثبتوا الرؤية ولكنهم نَفَوا الجهة؛ فقالوا: لا يُرى في جهة مُعينة لا أمام ولا خَلف ولا فوق ولا تحت ولا شيء؛ فضَحِكَ منهم العُقَلاء، وتَسَلَّط عليهم المُعتزلة وغَلَبوهم؛ فقالوا: كيف تُعقَل رؤية بلا مُقابلة بغير جِهة، فهذا الكلام باطل، فلا يَدْعَمُهُ الشرع ولا العقل.

ففي ذلك إثبات للعلو أيضاً؛ فنرى الله في العلو؛ هذه عقيدتنا.

الكلام حول مسألة الرؤية طويل، وقد تكلَّم الشارح ابن أبي العز الحنفي رحمه الله بكلامٍ جميل وطيِّب وحَسَن وأنصح الجميع بقراءته؛ فهو مُفيد، ليس فقط في باب رؤية الله يوم القيامة؛ بل حتى في طريقة الرَّد على أهل البدَع في غير هذا الباب؛ فكلامه نفيس ويُنْصَح بقراءته.

وأما رؤية النبي ﷺ لله في الدنيا عندما أُسرِيَ به؛ فهذه المسألة فيها خِلاف، والراجِح أنه لم يرَه.

وقد سأله أبو ذَر؛ فقال له:" نورٌ أنى أراه "، وقد نَفَت عائشة رضي الله عنها وغير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم أن يكون النبي ﷺ رأى رَبَه؛ وهذا هو الأصل الثابت: أنّ الله تبارك وتعالى لا يراه أحد في الدنيا، أمّا في الآخرة يوم القيامة؛ فيَرَوْنه.

قوله: **(وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ)** كما قال النبي ﷺ، كل ما جاء من الأحاديث النبوية فيها إثبات الرؤية؛ فنحن نُثْبت الرؤية كما قال عليه الصلاة والسلام.

قوله: **(وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ)** على ما أراد النبي ﷺ، ومعناها واضح وصَريح.

قوله: **(لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا)** كما فعل الجَهْمِيَّة والمُعْتَزِلة.

(وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا) نَتَّبِع هوانا في ذلك بأوهامٍ وضلالات، لا؛ بل نُؤمن ونُسَلِّم بما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

وقد تقدَّم معنا معنى التأويل، وهذا التأويل المنفي هو التأويل الباطل.

والتأويل الباطل هو صَرْف اللفظ عن ظاهره لغير دليل؛ هذا تأويل باطل، وحقيقة يُسمى تحريفاً، أما التأويل بمعنى التفسير أو التأويل بمعنى ما يؤول إليه الأمر- أي ما يَصير إليه الأمر-؛ فهذا صحيح وحق، وليس هذا بابه، وقد تقدّم الكلام في هذا.

قوله: **(فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله ﷺ وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ)** فنؤمن بما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ على مُراد الله وعلى مُراد رسوله ﷺ، نُسَلِّم ونَنْقاد، نُصَدِّق ونُخْلِص العبادة لله سبحانه وتعالى، وما أَشْكَلَ علينا ولم نستطع فهمه؛ فنَكِلُ عِلمَه إلى الله تبارك وتعالى؛ فهُناك أمور استأثر الله سبحانه وتعالى بِعِلْمها؛ كحقائق ما أخْبَرَ الله تعالى عن نفسه من أسماء وصفات وحقائق اليوم الآخر؛ فهذا مما يَخفى علينا؛ فنَكِلُ عِلْمَه إلى الله تبارك وتعالى.

وكلام المؤلف فيه وجوب التسليم والانقياد لأمر الله تعالى ولحُكْمه، وعدم مُعارضته بالعقل وبالهوى؛ وهذا كُلُّه حق، والاستدلال عليه تقدَّم.

قال المؤلف: **(وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التسليم والاستسلام)**

الإسلام الصحيح لا بُدَّ فيه من التسليم لله سبحانه وتعالى {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥].

والاستسلام: هو الانقياد والطاعة لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ.

قال: **(فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ؛ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خالصِ التَّوْحيدِ، وصافي المَعْرِفَةِ، وصَحيحِ الإيمانِ؛ فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِقْرَارِ والإنكار؛ مُوَسْوَسَاً تائِهاً شاكّاً، لا مُؤْمِناً مُصَدِّقاً، ولا جاحِداً مُكَذِّباً)**

قوله: **(فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ)** يعني هناك من العلوم ما حَجَبَه الله عن الناس؛ مثل عِلْمِ الكيفية؛ فهذا لا نطلبه ولا نتكلم فيه، كما قال السلف: لا يُقال للأصل لِمَ ولا كيف؛ تُسَلِّم لأمر الله سبحانه تعالى ولا تَبْحَث عن أشياء لم تُبَيَّن لك.

قوله: **(وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ)** يعني: يُريد أن يَفْهم ما لم يُخبره الله سبحانه وتعالى به، ولَمْ يقتنع بأن يُسَلِّم لأمر الله سبحانه وتعالى؛ فمن كان هذا حاله: **(حَجَبَهُ مَرَامُهُ)** أي: مُبْتَغاه **(عَنْ خالص التوحيد)**، مُبتغاه لعلم ما حُظِرَ عنه حَجَبَهُ عن خالص التوحيد، **(وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان)** قد قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء:٣٦]

قوله: **(فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْإِقْرَارِ والإنكار)** هذا من لم يُسَلِّم لله ولا إلى الرسول، ويَبْحَث عن أشياء حُجِبَت عنه؛ فمثل هذا يقع تائهاً حائراً مُضطرباً، مثل المُنافقين الذين يكونون مُذَبذَبين مُضْطَرِبين، لا يكون على عقيدة راسخة ثابتة؛ إذ إنه لا يعرف طريق الانقياد والاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى، إنما أدخل نفسه في متاهات، وهذا الوصف ينطبق تماماً على المُتَكَلّمين وعلى الفلاسفة الذين يتكلمون في كل شيء وخاصّة في أمور الرب تبارك وتعالى، من أسماء وصفات وذات وغير ذلك من الأشياء التي حَجَبها الله سبحانه وتعالى عنهم؛ فيَقَعون في حيرة وضلال وتَذَبْذُب، وما

عندَهم يقين في أنفسهم؛ يتكلفونه تكَلُّفًا، فيَتْذبذَبون بين الكُفر والإيمان والتَصديق والتكذيب والإقرار والإنكار؛ هذا وصفهم.

أما أهل الإيمان فما عرفوه ووجدوه في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ؛ آمنوا وسَلَّموا وانقادوا له وصَدَّقوه وفَهِموه على فَهْمِ سلفنا الصالح رضي الله عنهم، وعلى مُراد الله وعلى مُراد رسوله ﷺ وانتهى الأمر عندهم- لا يوجد عندهم إشكال-، ويَبْقَون في يقين من أمرهم والحمد لله، ولا يَقَعون في مُخالفة أمر الله سبحانه وتعالى؛ الأوامر التي نهاهم أن يقولوا فيها ما لا يعلمون.

قوله: **(موسوسًا تائهًا شاكًا زائغًا لا مؤمنًا مصدقًا ولا جاحدًا مكذبًا)** هذا وصفه حقيقةً، هذا وصف لأهل التردد والنِّفاق، هم دائمًا في شك وتردد وتّذّبْذُب؛ لأنهم لم يأخذوا بالتسليم والانقياد الذي أُمِروا به.

يُريد المؤلف أن يقول لك: سَلِّم لأمر الله، انْقَد، ما جاءك الخبر به؛ فصَدِّقهُ وسَلِّم له، وما حُجِبَ عنك من العِلم؛ فاسكت عنه ولا تبحث عنه، واشغل نفسك بما أمرك الله به؛ بتعلمه والعمل به، ولا تكن كالفلاسفة والمُتَكَلِّمين وأهل البدع والضلال؛ الذين تكلموا بكلام لا أثارة عليه من علم، من بيِّنة، من أدلة؛ وإنما هي الأهواء. والله المُستعان. والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس الثاني عشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد ...

فمعنا اليوم الدرس الثاني عشر من دروس شرح العقيدة الطحاوية.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لمن اعتبرها مِنْهُمْ بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ؛ إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤيَةِ- وتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبوبِيَّةِ- بِتَرْكِ التَّأْوِيلِ وَلُزومِ التَّسْلِيمِ؛ وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ)** إلى آخر ما قال.

هنا يقول المؤلف رحمه الله: **(وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ لمن اعتبرها مِنْهُمْ بِوَهْمٍ)**
الإيمان برؤية المؤمنين رَبهم في الجنة؛ هذا معنى كلامه.

قوله: **(لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ)** يعني لأهل الجنة، و**(الرُّؤْيَةِ):** رُؤية المؤمنين رَبهم تبارك وتعالى في الجنة.

لا يَصِّحُ الإيمان بهذه العقيدة **(لمن اعتبرها مِنْهُمْ بِوَهْمٍ)** أي: تَوَهَّمَ أنّ الله تعالى يُرَى على صفة كذا؛ أي: يُشَبِّه الله سبحانه وتعالى بِخَلْقِه، إنْ أَثْبَتَ ما تَوَهَّمَهُ من الوَصْف؛ يكون مُشَبِّهاً، وإنْ نَفى الرُؤية من أصلِها لأجل هذا التَّوَهُّم الذي حَصل؛ فهو جاحِدٌ مُعَطِّل، يعني (يَتَوَهَّم)؛ يَتَصَوَّر تشبيهاً، ثم بعد ذلك إما أن يُثْبِت هذا التشبيه؛ فيكون مُشَبِهاً، أو أن يَنْفي؛ فيكون مُعَطِّلاً؛ فهو دائِرٌ بين أحد أمرين.

لماذا؟ لأنه وقع في التَّوَهُّم؛ التَّوَهُّم: أن الله يُرَى على صفة كذا.

فالواجب دَفْعُ ذلك الوَهْم، ولا يَدْفَعُه هذا التَّوَهُّم إلى نفي عقيدة الرؤية- رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة-، ولا يَدْفَعُهُ أيضاً إلى التشبيه؛ لأنّ الناس عادة في العقائد ما بين إفراطٍ وتَفريط؛ فالمؤلف هنا يقول: الإيمان الحقيقي والصحيح في هذه العقيدة: أن تَعْتَقِدَ أنّ الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة؛ يراه المؤمنون في الجنة، وألا تعْتَقِدَ تَشْبيهاً بهذا، ولا تنفي الرؤية؛ فتكون مُعْتَدِلاً.

قوله: **(أو تَأَوّلَها بِفَهْمٍ)** أي: ادَّعى أنّه فَهِمَ لها تأويلاً يُخالِفُ ظاهِرَها؛ يعني: حَرَّفَها، لم يؤمن بها إنْ أَوَّلَها على غير الحقيقة التي دَلّت عليه النصوص والتي يَعْتَقِدُها أهل السنة؛ فتَأَوَّلها تَأويلاً باطِلاً كالذين يقولون بأنّ الله تبارك وتعالى يُرَى بالقلوب لا بالأعين.

لاحِظ أن المؤلف يدور حَول أنّك لا تكون صاحِبَ عقيدة صحيحة في الرؤية إلَّا إذا كُنت مُعْتَدلاً؛ تُثْبِت الرؤية، وأنّنا نَرى الله سبحانه وتعالى حقيقة بأعيُنِنا يوم القيامة، من غير تشبيه لله سبحانه وتعالى بِخَلْقِه، ومن غير أن نَنْفي هذه الرؤية.

وكيف نَنْفيها؟ بتحريف النصوص التي وَرَدَت فيها؛ هذا ما يُريده المؤلف رحمه الله.

فقوله: **(وَلَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ)** لا يَصِّح الإيمان برؤية المؤمنين أهل الجنة لله تبارك وتعالى لمن اعتبرها منهم بوهم؛ فتوهَّمَها بعقله بأنها تُفيد تشبيهاً لله سبحانه وتعالى بخلقه، أو تأوَّلها بِفَهم؛ أتى لهذه النصوص التي وردت في الرؤية؛ وحرَّفها على معنى غير المعنى الحقيقي لها.

قوله: **(إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الربوبية بترك التَّأْوِيلِ، ولزوم التسليم)**

ما معنى التأويل هنا؟

التأويل يأتي على معان كما قَدَّمنا ذلك في شرح "لُمعة الاعتقاد"، ذكرنا أنّ التأويل يأتي بمعنى التفسير، ويأتي بمعنى ما يَؤول إليه الأمر؛ أي: ما يصير إليه الأمر؛ يعني: حقيقة الأمر؛ وهذان المَعْنَيان لُغَوِيّان، والمعنى الثالث؛ وهو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل، إن كان هذا الدليل صحيحاً؛ فهو تأويل، وإن كان الدليل فاسداً باطلاً أو لغير دليل؛ فهو تحريفٌ، وإن كان يُسَميه البعض تأويلاً؛ فيُسَمى تأويلاً فاسداً، تأويلٌ فاسدٌ أو تحريف؛ المعنى واحد.

وهذا التأويل هو المُراد هنا؛ وهو صَرْفُ اللفظ عن ظاهرِهِ لغير دليل صحيح؛ وهو التحريف، وهو الذي وَقَعَ فيه المُعْتَزِلَة ومن يُنْكِرُ الرؤية.
قال: **(إِذْ كَانَ تَأْوِيلُ الرُّؤْيَةِ)** صَرْف النصوص الواردة فيها عن ظاهرها، **(وَتَأْوِيلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الربوبية)** كل معنى من المعاني التي تُضاف إلى الله سبحانه وتعالى؛ كأن تقول: يد الله، عين الله، سَمْع الله، بصَرُ الله؛ كُلُّه تُضيفه إلى الرُّبوبية، إلى الله سبحانه وتعالى: **(بِترك التَّأويل)** لا يجوز لك أن تُحَرِّفه عن ظاهره، والواجب الإيمان به كما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وعلى مُقْتَضى اللغة العربية، وكما جاء عن السلف رضي الله عنهم.
ولا يجوز تأويل النصوص- أي: صَرْفها عن ظاهرها- لغير دليل صحيح؛ فالواجب إثبات ما أثبت الله لنفسه.

قوله: **(وَلُزُومَ التَّسْلِيمِ)** التسليم للنصوص الشرعية التي وردت؛ تُسَلِّم لها، لا تُعارِضها، لا تَرُدها، لا تَكْفُر بها.

قوله: **(وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُسْلِمِينَ)** من السَّلَف رضي الله عنهم ومن اتَّبَعَهُم بإحسان؛ كُلُّهُم كانوا على هذا المَنْهَج وعلى هذه العقيدة؛ حتى جاء أهل البِدَع، وانحرفوا عن جادَّة الصواب فيها.

قال: **(وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيهَ؛ زَلَّ ولَمْ يُصِبِ التَّنْزِيهَ)**

قوله: **(ومن لم يتوق النَّفْيَ والتَّشْبيهَ)** كِلاهُما، من لم يَكُن حَذِراً من النَّفي والتشبيه، ويبتعد عن النَّفي والتشبيه، ويجعل بينه وبينهما وِقاية؛ بالالتزام بِمَنهج السلف رضي الله عنهم؛ بالإيمان بكل ما ثبت في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى، وعلى ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم؛ بهذا تَتَوَقَّ النَّفي وهو التعطيل، والتَّشبيه وهو تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه، وأهل السنة وَسَطٌ بين الطَّرَفين، من لم يَتَوقَّاهما **(زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التنزيه)** زَلَّ: أي انحرف.

(مَنْ لم يَتَوَقَّ النَّفي) مَنْ لم يجتنب النَّفي ويَحْذر منه؛ نفي الأسماء والصفات، ولم يتوقَّ (التَّشبيه)؛ من لم يَجْتَنِب ويَحْذَر من التَّشبيه، كِلاهما- التَّعطيل والتَّشبيه- مَنْهَجان فاسدان لأهل البِدَع؛ وهما على طرفي نقيض، وأهل السنة وَسَطٌ مُعْتَدلون بينهما.

قال: **(زَلَّ)** أي: زَلَّتْ قَدَمُه وانحرفَ عن الطريق المُستقيم، **(وَلَمْ يُصِبِ التنزيه)** لمْ يكن مُنَزِهاً لله سبحانه وتعالى.

المُعَطِّلة عندما يَنفون صفات الله سبحانه وتعالى عنه يَزعُمون أنهم يريدون أن يُنَزِهوه عن النقائص؛ ما هي هذه النقائِص؟ مُشابَهة المَخْلوقين.

مُشابَهة المَخلوقين لا شَكَّ أنها نَقص في حق الله يَجِبُ تنزيه الله عنها؛ لكن كيف ذلك؟

هل بنفي الصِّفات التي أثبَتَها لنفسه؟ لا؛ وإنما بإثبات الصِّفات لله سبحانه وتعالى كما أثبتها لنفسه وكما يَليق بجلاله وعَظَمَتِه، ونفي أن تكون مُشابِهة لصفات المَخْلوقين؛ نكون قد نَزَّهْنا الله سبحانه وتعالى عن النقائص؛ إذ إننا لا نستنقِص الله سبحانه وتعالى عندما نقول الله مَوجود والخَلْقُ موجودون، والله سبحانه وتعالى حيّ والخَلْقُ أحياء؛ هل استَنْقَصْنا الله بهذا؟ لا، لأنّ وجود الله يليق بجلاله وعَظَمَتِه ووجود المَخلوقين يليق بِنَقْصِهِم، وحياة الله تَليق بجلاله وعَظَمَته وحياة المَخلوقين تَليقُ بِنَقْصِهِم؛ إذن ليس الوجود كالوجود ولا الحياة كالحياة؛ بهذا نكون قد عظمنا الله سبحانه وتعالى وآمنا بما أثبت الله تبارك وتعالى لنفسه ونَزَّهناه عن النقص، أما أن تُعَطِّل من أجل أن تُنَزِّه؛ فلا تكون قد أصْبتَ التنزيه؛ بل وقعتَ في التحريف ووصَفْتَ الله بالنقص؛ إذ نَفيتَ عنه ما أثبت لنفسه تبارك وتعالى.

وكذلك المُشَبِّه ما نَزَّهَ الله بتشبيهه بخلقه، ولا أَثْبَتَ ما أَثبَتَ الله لنفسه؛ الله تبارك وتعالى أَثْبَتَ لنفسه صفات تَليق به ولمْ يُثْبِت لنفسه صفات تليق بالبشر والمَخلوقين؛ وشتان بين الأمرين؛ فهذا المُشَبِّه أَثْبَتَ لله صفاتٍ تليق بالمَخلوقين لا تَليق بالله؛ فوَصَفَه بذلك بالنقص ولمْ يُصِب التنزيه؛ هذا معنى قول المؤلف: (زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التنزيه).

الخلاصة:

إذن الواجب علينا أنْ نُثْبِتَ ما أَثْبَتَ الله لنفسه من الأسماء والصفات كما يليق بجلال الله وعَظَمَتِه، وعلى ما فَسَّرَه به سَلَفُنا الصالح رضي الله عنهم، ولا يجوز لنا أنْ نُحَرِّفها، ولا نُأَوِّلَها تأويلاً فاسداً، ولا أنْ نُشبه الله سبحانه وتعالى بشيء من خلقه؛ بهذا نكون قد آمنا بأسماء الله وصفاته.

ومن ذلك أيضاً رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في الجنة؛ يَرَوْنَه بأعيُنِهِم حقيقةً، ولكن لا كرؤية المَخْلوق للمَخْلوق (بإحاطة)[1].

وتشبيه النبي ﷺ الرؤية برؤية القمر؛ هو من تشبيه الرؤية بالرؤية لا من تشبيه المرئي بالمرئي.

ثم قال رحمه الله: **(فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ من البرية)**

المعنى واحد؛ أنّ الله سبحانه وتعالى **(مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ)**.

(الفَرْدانية): الفَرد؛ المعنى واحد، (مَنْعوت): موصوف؛ المعنى واحد.

أي: أَنّ الله سبحانه وتعالى يُوصَف بصفاتٍ تَليق بالواحد الأحد ولا تَليقُ بغيره، له يَدْ تَليق بجلاله وعَظَمَتِه، له سَمْعٌ له بَصَر يَليقُ بجلاله وعَظَمَتِه، يَضْحَكُ ضَحِكًا يليق به، يَغْضَبُ غَضَبًا يليق بجلاله وعَظَمَتِه، يستوي على العَرْش كما يليق بجلال عَظَمَتِه تبارك وتعالى.

هي صفات تليق بالواحد الأحد الفرد الصَّمَد {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص:١-٤]، نثبت الصِّفات التي تليق بالرب تبارك وتعالى التي أثبتها لنفسه في الكتاب وفي سنة نبيه ﷺ لا نُشَبِّه هذه الصِّفات بصفات المَخلوقين؛ فهذه صفات تَليق بالفَرد الواحد الأحد تبارك وتعالى؛ هذا معنى كلامه.

---

[1]- ما بين قوسين زيادة على الصوتية؛ لزيادة التوضيح.

قوله: **(لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ من البرية)** ليس كمثله شيء، الخَلْق خَلْقٌ يَليق بهم النقص الذي هم فيه، والرَّبُ تبارك وتعالى كامل يليق به الكمال الذي يليق بالربوبية وبالفرد الصَّمَد.

قال رحمه الله: **(وَتَعَالَى عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعاتِ)**

(وَتَعَالَى) وتَنَزَّه وتَقَدَّس سبحانه وتعالى، هذا تنزيه لله تبارك وتعالى.

وهذه الألفاظ مما أُخِذَ على هذه العقيدة؛ ألفاظٌ مُجْمَلة تَحْتَمِلُ حقاً وباطِلاً، فاستعملها المؤلف، واسْتَغَلّها أهل البِدَع والأهواء لتمرير عقيدَتِهم، وزَعْمِهم أنّ هذه العقيدة على أُصولِهم، وهذا خَطَرُ استعمال الألفاظ المُوهِمَة المُجملة في العقيدة، التي تَحْتَمِلُ حقاً وباطِلاً.

نُحاوِلُ جاهدين في العقيدة ألا نَخْرُج عما وَرَدَ في الكتاب وفي السنة؛ هذا الأصل؛ لا نَتَكَلَّمُ بغير هذا، هذا المَفروض، لكن اضْطَرَّ السلف رضي الله عنهم أن يتكلموا أحياناً ببعض الألفاظ التي لا تَجِدُها في الكِتاب والسنة؛ ردّاً على أهل البِدع عقائِدَهم الفاسدة، فاضطروهم إلى أنْ يَتَكَلَموا ببعض الألفاظ التي لا بُدَّ منها لتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة؛ تقرير الحقّ الذي ورد في الكتاب والسنة، وإن لم تَرِدْ الألفاظ المُعَيَّنة التي استعملوها لردّ الباطل عند أهل الباطل؛ كقولهم في القرآن: (القرآن كلام الله غير مَخلوق)؛ لماذا؟

الآن لا تَجِدْ نصوصاً صريحة في زمن الصّحابة أنهم كانوا يَنْطِقون بهذا، ويقولون عقيدة أهل السنة والجماعة القرآن كلام الله غير مَخلوق؛ لماذا؟

لأن أهل البدع لم يكونوا قد وجدوا بعد؛ يَتَكَلَّمون بمثل ما تكلموا به من الباطل.

تجد كلاماً في كلام الصّحابة يَدُلُّ على هذا المعنى ضمن كلام في موضوع مُعَيَّن غير هذا الموضوع؛ لأنهم ليسوا بحاجة إلى قول هذا الكلام؛ فلم يأت أهل البِدَع بعدُ ليُقَرِّروا بِدَعَهم، لكن لمّا ظهرت هذه البدعة- وهي القول بخلق القرآن-؛ تَجِدْ أئمة السلف الذين عاصروا هذه البِدْعة؛ تَجِدْ كلامهم كثيراً في هذه المسألة؛ لأنّ البِدْعة ظَهَرَت ووجَبَ رَدُّها بكلام واضح وصريح.

لذلك لمّا سُئِلَ الإمام أحمد رحمه الله: ألا يَسُعُنا أن نقول القرآن كلام الله ونَسْكُت؟ قال: ولِمَ تَسْكُت؟! كان يَسُعَكَ ذلك قبل أن يَتَكَلَّمَ أهل البِدَع بما تكلَّموا به، أمَّا اليوم؛ فلا.

انظر كيف يكون الفقه! هذه طريقة السَّلف رضي الله عنهم؛ قبل أنْ تحدث البِدْعة كان يَسَعُنا أن نقول القرآن كلام الله وانتهينا، يكون مَعروفاً ومَفهوماً عند الجميع ما معنى القرآن كلام الله، لكن لمّا ظَهَرَ أهل البِدَع؛ يقولون: القرآن كلام الله؛ لكنهم أيضاً يقولون: القرآن مَخْلوق، ومعنى أن يكون القرآن كلام الله عندهم أنّه مَخْلوق لله، وإضافته إلى الله إضافة تشريف، كأن تقول: ناقة الله، وبيت الله؛ إضافة تشريف، يقول لك: هذه ليست إضافة الصفة إلى المَوصوف، إذن أصبح عندي باطل، ولا بُدَّ من تمييز الحق عن الباطل بكلمة تفصل ذلك؛ ماذا نقول؟

نقول: القرآن كلام الله غير مَخْلوق؛ فانتهت البِدْعة.

إذن السّلف أحياناً يزيدون بعض الألفاظ للتمييز ما بين الحق والباطل وفصله عنه، إذ إنّ أهل البدع أهلُ تلبيس وأهل باطل لا يُحْسَنُ الظَّنُ في كلامهم أبداً؛ لأنهم يُلَبِّسون ويُراوِغون ويُحاولون خَلْطَ الحقِّ بالباطل في كَلماتِهم وفيما يتكلَّمون به.

هذا معنى ما نريد أن نقول: أن نبقى مع ألفاظ الكتاب والسنة ما استطعنا، نَزيدُ إذا زادَ أهلُ البِدَع لرَدِّ البِدْعة؛ إذا لمْ نَقْدِر على رَدّها إلا بإضافة بعض الكلمات التي لا بُدَّ منها؛ لأنّ الأصل أنْ نتوقف في العقيدة مع الكتاب والسنة وما جاء عن السلف رضي الله عنهم فقط، ولا نَزِيد على ذلك.

قال: **(وَتَعَالَى)** وتنزَّه وتَقَدَّس عن **(الحدود)**.

و(الْحُدود) جمع حَدْ، والحَدُّ في اللغة يأتي على مَعْنَيين؛ الأول: المَنْع، والثاني: طَرَفُ الشيء؛ هذا في اللغة.

لكن ماذا يريدون به في الاصطلاح؟ إذ ليس الجميع يستعملها بالمعنى اللغوي، البعض عندهم معانٍ اصطلاحية لهذه الكلمة؛ لذلك جاء عن بعض السلف؛ قالوا: أعلى مَن وُجِدَ عنه النطق بهذه الكلمة عبدالله بن المُبارك، وأثْبَتَ الحَدّ، وجاء عن بعضهم: نفي الحدّ؛ بلا حَدّ.

قالوا لعبد الله بن المُبارك: بحَدٍّ؟ قال: بحَدّ، وفي رواية عن الإمام أحمد أنه وافق على هذا القول، وجاء عن الإمام أحمد أنّه نفى الحَدّ.

هل بين أقوال السَّلف تعارض في ذلك؟ لا؛ لأنّ الحَدّ كما ذكرنا يُطْلَق على أكثر من معنى؛ لذلك قلنا: هو لفظ مُجْمَل لا بُدَّ من الاستفصال؛ ما المُراد منه؟ حتى نُثْبِتَ أو ننفي؛ هكذا نتعامل مع الألفاظ المُجملة؛ فنقول: هذا لَفْظٌ لم يُستعمل لا في كتاب الله ولا في سُنة رسول الله ﷺ؛ فماذا تُريد به؟

فنحن لا ننفيه ولا نُثْبِته بداية حتى نَسْتَفْصِل.

الحَدُّ يُطْلَقُ على معنىً صحيح وهو: أنّ الله سبحانه وتعالى مُستوٍ على عرشه، عالٍ على خلْقِه، بائِنٌ من خَلْقِه، ليس في شيءٍ من خَلْقِه، ولا خَلْقُه في شيءٍ منه، بائنٌ من خَلْقِه مُنْفَصِلٌ عن خَلْقِه؛ يستعمل الحَدّ بهذا المعنى.

وهذا المعنى يَسْتَعمِله البعض ويُرِيدُ به: ردَّ عقيدة القائلين بأن الله في كل مكان؛ فعلى هذا المعنى: صحيح؛ لذلك جاء في بعض كلامهم- في كلام عبد الله بن المُبارك-؛ قالوا له: كيف نَعْرِفُ رَبَّنا عز وجل؟ قال: بأنّه على عَرْشِه بائِنٌ من خَلْقِه بحَدٍّ؛ يعني أنّه غير حالٍ في خَلْقِه، مُنْفَصِل عنهم، مُسْتَوٍ على عرشه تبارك وتعالى، ليس في شيءٍ من خَلْقِه.

وعُثْمان بن سعيد الدَّارمِي في رَدِّه على المِرّيسي أَثْبَتَ هذا الحَدّ بهذا المعنى وأوجَبَه؛ للانفصال عن أهل البِدَع والضلال.

هذا المعنى الأول، وإثبات الحَدِ بهذا المعنى صحيح؛ للردِّ على قول الذين يقولون: بأنّ الله في كل مكان.

المعنى الثاني **للحَدّ**: بأنّ الله تبارك وتعالى يُدْرِكُ العقْلُ حَدَّه وتُحيطُ به المَخْلوقات؛ المعنى معنى باطل.
معنى الحدُّ بهذا المعنى؟ لا.
قال أهل العلم: أهل العقول هم أَعْجَزُ أن يَحُدّوه أو يُكَيِّفوه منهم من أن يَحُدّوا الرّوح أو يُكَيِّفوها؛ فنفيُ الحَدِ بهذا المعنى صحيح؛ فالله سبحانه وتعالى لا يُحيط به أحد.
إذن ما وَرَدَ عن السَّلف رضي الله عنهم في إثبات الحدّ المُراد منه معنى: أنّ الله عالٍ على عَرْشِه، بائنٌ من خَلقِه، وليس في شيءٍ من خَلقِه، والمُرادُ منه الردّ على الذين يقولون بأنّ الله في كل مكان؛ هذا الذي أثبت الحدّ.

أمّا على قول من قال بنفي الحدّ؛ فمُراده من ذلك: نفي الإحاطة ومعرفة الكُنْه والحقيقة.

نحن نعرِفُ الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته التي تعلمناها، أما الإحاطة؛ فلا {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٠] هذا أصْلٌ؛ هذا بالنسبة للحدّ.

وأمّا **(الغَايَات)** فالغاية تُطْلَق ويُراد بها النهاية، غاية الشيء نهايته، وتُطلَق ويُراد بها: المَقْصود من الفعل؛ أي: الحِكْمة منه.

فإن أرادوا بنفي الغاية أنّ الله سبحانه وتعالى لا حِكْمَة لأفعاله، ويقولون مُنَزّه عن أن تكون له حِكَمٌ في أفعاله؛ فهذا باطل؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى له الحِكْمَةُ البالِغة في أفعاله تبارك وتعالى.

وكذلك يُراد بنفي الغايات: نفي أنْ يكون الله في السماء فوق العَرْش؛ وهذا المعنى باطل؛ أنّ الله ليس في السماء وليس فوق العرش: معنىً باطل؛ يَنْفون الغايات ويُريدون به هذا.

(وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ):

(الأَرْكَانْ) الجوانب، و(الأَعْضَاء) التي في الإنسان عضو مثل اليَدْ والرِّجْل، في الإنسان في الحيوان، وهذه أجزاء يُمْكن أن تَتَبَعَّض، وأجْزاء الإنسان أعضاء، ويُقال لها أعضاء؛ لأنّه يُمكن انفصالها.

ويُقال: نفي الأعضاء بمعنى أنّه تعالى مُنَزَّهٌ عن التَّجَزُّؤ، الله سبحانه وتعالى أحّدٌ صَمَد، وهذا صحيح أحَدٌ صَمَدٌ لكن هذا التعبير مُشْكِل!

وقولُهُم الأعضاء والأدوات يَحْتَمِلُ أنْ يُراد منها نفي ما أثبت الله لنفسه من الصِّفات الذاتية كالوجه والعينين واليدين، فيُسَميها من يُريد نفيَها أعضاءً؛ فينفي الأعضاء والأدوات والأركان وهو يُريد نفيها في الحقيقة؛ وهذا المعنى نَفْيُه باطل.

لكن استعمال هذه الألفاظ مُجْمَل ماذا تُريد من هذا؟

قوله: **(لا تحويه الجهات الست)** فوق، تحت، أمام، خلف، يمين، شمال؛ هذه الجهات الست.

قوله: **(كسائر المبتدعات)** سائر المُبْتَدَعات تُسْتَعمل بمعنى بقية المُبْتَدَعات؛ يعني كسائر المَخلوقات كبقية المَخْلوقات، وتُسْتَعْمَل كلمة (سائر) كل؛ ككُل المَخْلوقات، والظاهر هنا أنه يُريد هذا؛ ككُل المَخْلوقات.

إذن الجهات الست عنده التي يُريدها هي الجِهات المَخْلوقة، لكن هي من الألفاظ المُجْمَلة، فربما يُريد مَن ينفي هذا: نفي عُلُو الله سبحانه وتعالى؛ وهذا باطل.

أمّا إن كان قصده: لا تَحْويه الجِهات المَخْلوقة؛ فهذا حق؛ فالله سبحانه وتعالى مُنَزَّه أن يُحيطَ به شيء من المَخْلوقات، بل هو أعظم وأكبر من أن يُحيطَ به شيء من المَخلوقات.

إذن هذه الألفاظ مُشْكِلَة، استعمالها مُشْكِل وهو مما أُخِذَ على المُصَنِّف، لكن عرفنا من حيث المعنى ما هو المعنى الصحيح وما هو المعنى الفاسد من ذلك. والله أعلم، والحمد لله.

نكتفي بهذا اليوم، نسأل الله القَبول لنا ولكم.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس الثالث عشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح "العقيدة الطحاوية"؛ وهو الدرس الثالث عشر، وقد وقفنا عند مَبْحَث المِعْراج.

قال المؤلف –رحمه الله-: **(وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: 11]؛ فصلى الله عليه وسلم في الآخِرَةِ والأولى)**

هذه المسألة هي عقيدة الإسراء والمِعْراج.

(الإسراء) هو السَّير بالليل، والمَقصود به هنا الذَّهاب بالنبي ﷺ ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ قال تبارك وتعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء:1].

و**(المِعْراج)** في اللغة: آلة العُروج، يعني: آلة الصُّعود؛ فالعروج: الصعود، عَرَجَ إلى السَّطح؛ يعني: صَعَدَ إليه، {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ} [المعارج:4] أي: تَصْعَد.

فالنبي ﷺ عُرِجَ به إلى السماء، وفي كتاب الله تبارك وتعالى إشارة إلى العُروج بالنبي ﷺ في قوله: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى

(13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} [النجم:11-14]، وقد ثَبَتَ في السُّنة أنّ النبي ﷺ رأى جبريل على صورته التي خُلِقَ عليها، له ستمائة جناح في ذاك الوقت.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا، فالأحاديث التي وردت في الإسراء بالنبي ﷺ والعُروج به إلى السماوات صحيحة مُتواترة، وقد اتفق أهل السُّنة والجماعة على القول بها، ونَصَّ العُلماء على أنَّ مَن أنْكَرَ الإسراء أو المِعراج كَفَر، وليس فقط الإسراء المَذكور صراحة في القرآن؛ بل حتى لو أنْكَرَ المِعراج كَفَر؛ لأنّه مُكّذِب بالأحاديث المُتواترة الصحيحة عن النبي ﷺ في ذلك؛ فهم مُتَفِقون على ثُبوت الإسراء والمِعْراج.

وقد كان هذا حقيقةً وليس مناماً؛ هذا ما عليه أهل السُّنة والجماعة، ومَن زَعَمَ أنَّه مَنام؛ فقد قال قولًا باطلاً لا يُعَوَّلُ عليه، وإن جاءت رِواية بذلك؛ فهي رِواية مُنْكَرة غير صحيحة لا يُتَعَلَّق بها، ولو كان الإسراء والمِعْراج مناماً؛ ما أنْكَرَته قُريش؛ فقُريش لا تُنْكر المنامات، النبي ﷺ لمّا أخبرهم بذلك؛ أنْكَروه انكاراً شديداً، ولو قال لهم عليه الصلاة والسلام: هذا مَنام وليس حقيقة؛ ما كَذّبوا؛ الأمر عندَهم مُصَدَّق.

فالقول بأنّ الإسراء والمِعْراج كان مَناماً: هو قول باطل.

وقول آخر هو باطل أيضاً: القول بأنّ الإسراء والمِعْراج كان بالروح لا بالجسد، فحقيقة ليس هناك فرق كبير بين أن يكون الإسراء والمِعْراج بالروح أو أنْ يكون مناماً؛ هذا القَول عَزاه البعض لعائشة ومعاوية رضي الله عنهما من أصحاب النبي ﷺ؛ ولا يَثْبُت عنهما؛ غير صحيح، وهذه الأقوال باطلة.

والقَوْل الصحيح الذي لا يَجوز قول غيره؛ هو: أنّ الإسراء والمِعراج كان بالروح والجسد؛ أُسْرِيَ به وعُرِجَ به حقيقة بروحه وجَسَدْه ﷺ.

ومن أَخَذَ بالأقوال الماضية أحدَثَ قولاً آخر بسبب تَعارُض الأدلة عنده؛ لأنّه ذهب إلى قول باطل ومن الطبيعي أن تتعارض الأدلة عنده؛ لأنّ الأدلة الحقيقية التي كان يجب أنْ يَفْهَمَها فَهْمًا صحيحًا قد عارَضَت ما ذَهَبَ إليه؛ فأراد الجَمْع؛ فقال: حادِثَةُ الإسراء والمِعْراج مُتكرِرَة ليست مرة واحدة.

وهذا القول باطل؛ كيف يكون فرض الصلوات الخَمْس بالصورة التي ذُكِرَت في الحديث مُتَكَررة؛ هذا الكلام بعيد وضَعْفُه ظاهر.

فالحق أنّ الإسراء والمِعْراج حَصَل مرة واحدة، وكان بالروح والجَسَد.

وهذه القصة والحادثة- حادِثة الإسراء والمِعراج- تَدُلُّ على عُلُوِ الله على خَلْقه؛ فإنّ النبي ﷺ عُرِجَ به إلى ربه وكَلّم الله سبحانه وتعالى، وهناك كثير من الأدلة التي تَدُل على عُلُوِ الله على خَلْقِه؛ لذلك ضَلّلَ العلماء من نفى هذا، بل كَفّروا من لم يُثْبِتْ عُلُوَّ الله على خلقه واستوائه على عَرْشِه.

وفي هذه الحادثة- في الحديث الذي ذُكِرَ فيها- فيه إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى، وقد كَلَّمَ النبي ﷺ بلا واسطة، وأثبَتَتْ هذه الحادثة فضيلة النبي ﷺ العظيمة.

ووُجِدَ اليوم من أهل الضَّلال والانحراف من يتلاعب بكتاب الله تبارك وتعالى وبسنة نبيّه ﷺ ويُنْكر الإسراء والمِعْراج أو يُنْكِر المِعراج، وقد ذكرنا أنّ العلماء يُكَفِّرون من أَنْكَرَ المِعراج؛ لمُخالفته للأحاديث المُتواترة.

لكن انتبه أنت! لا يأتيك الضَّالُّ المُنْحَرِف ويقول لك: أنا ضال، أنا مُنْحَرِف، أنا في قلبي زَيْغ، أنا أدعوك إلى النار، أنا أدعوك إلى الضَّلال، أدعوك إلى مُخالَفة عقيدة أهل السُّنة والجماعة؛ عقيدة الصَّحابة، عقيدة النّبي ﷺ، لا يأتي ويقول لك: أنا أدعوك إلى مُخالفة هذا، لا يأتيك بهذه الطريقة، وإنما يأتيك على أنَّه ناصح أمين، يأتيك على أنَّه عالم نِحْرير، ومُحَقِّقٌ وباحِثٌ وعلّامة وحافِظٌ فهّامة؛ هكذا يأتيك، ويُظْهِر لك نفسه بهذه الصورة؛ حتى تَغْتَرَّ به وتأخذ عنه ما يُمليه عليك من عقائد فاسدة، ويكون في الحقيقة ممن قال فيهم النبي ﷺ: "دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا"، وممن قال فيهم النبي ﷺ: "إِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ"؛ هؤلاء يأتون ويَتَعَلَّقون بالمُتَشابه؛ فيلتَبِسُ هذا المُتشابه على الناس؛ فيَزيغوا ويَهْلِكوا.

فالواجب على الناس أن يعرفوا علماءهم النَّصَحَة لهم، الذين يَتَّبِعون العقيدة التي كان عليها النبي ﷺ والصحابة الكِرام؛ حتى لا يَضيعوا وهم يَشْعرون أو لا يَشْعُرون.

قال المؤلف رحمه الله-: **(وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ غِيَاثًا لأُمَّتِهِ حَقٌّ)**

هو حوض النبي ﷺ؛ هذا الحَوْض: حوضٌ من ماء، أخبَرَنا عنه النبي ﷺ بكلام واضح صَريح في أحاديث كثيرة مُتواترة، يجب على كل مُسْلِمٍ أن يُؤمن بها.

من ذلك: حديث أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ" (عَدَن) جنوب اليمن، و(أَيْلَة) بجانب العقبة في فلسطين، هذه مساحة الحوض؛ فهو كبير جداً؛ أكثر من ألفي كيلو أو ما يقارب، قال: "لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ" هذا وَصْفه من حيث اللون، "وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ" من حيث الطعم، "وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ" الآنية التي يشربون بها، "وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ»،

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ".

وفي حديث حُذَيفة: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ»

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال رسول الله ﷺ: "حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا"، أحاديث كثيرة؛ وهذه في "الصحيحين".

هذا الحَوْض- حَوْض النبي ﷺ- أَكْرَمَ الله تبارك وتعالى به نبيَّه ﷺ.

وهذا الحَوْض في عَرَصات القيامة- يعني: في الساحات؛ ساحات القيامة-، لمّا تقوم السّاعة تَقوم على أرض كالرَّغيف، مُنْبَسِطة ليس فيها عَلَم لأحد، هذه عَرَصات القيامة فيها حَوْض النبي ﷺ، وهذا قبل دخول الجنة، وليس هو الكوثر؛ فنهر الكوثر في الجنة، لكنّ هذا الحَوْض ماؤه من الكَوْثر؛ فالكوثر له ميزابان يَصُبّان في هذا الحَوْض، فهذا الحَوْض في عَرَصات القيامة والكَوْثر في الجنة، يَرِدُ على هذا الحَوْض أمّة محمد ﷺ؛ المُتَمَسِّكون بسنته ﷺ، ومن شَرِبَ منه لم يظمأ بعدها أبدًا؛ وشُرْبُهم في الجنة بعد ذلك للاستمتاع، فالجنة لا ظَمأ فيها ولا جوع؛ نؤمن بهذا كله ونُصَدِّق.

وقال أهل العلم: أنّ الحَوْض قبل الصِّراط؛ هذا هو الراجح إن شاء الله.

طبعاً هذا الحَوْض أنْكَرَهُ بعضُ فِرَق الخوارج وبعض فِرَق الرّافضة.

وذكر بعض أهل العلم أنّ لكل نبي حوضاً؛ وهذا لا يَصِحّ، ورد فيه حديث ضعيف.

على كلٍ؛ الحَوْض من الأمور الغيبية التي يجب علينا أن نُؤمن بها، ومن أنْكَرَه لا يُوجد عنده لا دليل عقلي ولا دليل نقلي، وهذه أمور غيبية الواجب التسليم لها، ولا يوجد أيُّ مانع شرعي أو عقلي يمنع من الإيمان به، وأولئك ليس لهم حُجَّة إلَّا أنّهم قالوا: إنّ أحاديثَه ليست مُتواترة؛ وهذا باطل أحاديثه مُتواترة.

ولا يَلزم أن يكون في المسألة حديث مُتواتر حتى نُؤمن بها، الحديث إذا ثبت عن النبي ﷺ؛ يجب علينا الإيمان به والتَّصديق، اشتراط التواتر باطل، وللشيخ الألباني رسالة نفيسة في أنّ خبر الآحاد حُجَة بنفسها.

مع العلم أنّ خبر الآحاد ليس الذي يرويه واحد عن واحد فقط؛ لا، حتى لو رواه اثنان عن اثنين أو ثلاثة عن ثلاثة أو أربعة عن أربعة أو خمسة عن خمسة؛ هي آحاد، ما لم تبلغ حد التواتر، فكل حديث لا يبلغ حد التواتر؛ فهو آحاد، فعندما تسمع كلمة آحاد لا تَظُن أنهم يُريدون واحداً عن واحدٍ فقط؛ لا، يمكن أن يروي الحديث عشرة عن عشرين ولا يَبْلُغ حد التواتر؛ لا يَقبلونه في العقيدة، هذا ضَلال أيُّما ضلال! نسأل الله العافية.

وإنّما قَعّد هؤلاء العقلانيون المتكلمون هذه القواعد من أجل ردّ أحاديث النبي ﷺ؛ من أجل ردّ الأدلة الشرعية؛ لأنهم يعتقدون ما يَرْكَب على عُقولِهم، وإذا أخَذوا بما رَكِبَ على عُقولهم وما أَمْلتْه عليهم عُقولهم؛ تَعارض هذا مع أدلة الشرع، وإذا تَعارض مع أدلة الشرع ماذا سيصنعون بها؟!

فقَعَّدوا القَواعد التي تُعينهم على ردّ ما ثَبَتَ في الأخبار.

وأعظم قاعدتين تُعينهُم على ذلك: أخبار الآحاد لا يؤخذ بها في العَقائد؛ هذه القاعدة الأولى؛ وبهذه العقيدة تضيع أكثر أحاديث النبي ﷺ، وهذا يَدْخُل فيه ضِمنيًّا- طبعاً-: الحديث الغَريب والحديث العزيز والحديث المَشهور والمُستفيض؛ هذه كُلُّها ضاعت لا يُؤخذ بها في العقيدة عندهم؛ إنما المُتَواتر فقط.

ماذا بقي؟ بَقِيَت الأحاديث المُتواترة والآيات القرآنية، قالوا: هذه وإن كانت من حيث الثُبوت ثابتة ويقينية، ولا يوجد عندنا شك فيها؛ لكن المعنى الذي تَدُلّ عليه فيه شك- فيه احتمال-، إذن ماذا نفعل بها إذا تَعارضت مع العقل؟

العقل يقيني؛ إذن يُقَدّم العقل- هذه القاعدة الثانية-؛ فتردُّ هذه النصوص.

كيف نَرُدُّها؟

وَضَعوا تَقْعيد التأويل، إذ عندهم العقل دليل، فإذا خالف الشرع العقل!؛ فالعقل مُقَدّم؛ إذن: أيُّ نص شرعي من كتاب أو سنة مُتواترة أو غير مُتواترة خالف العقل؛ يجب تأويله، ويَعْنون بالتأويل: التحريف؛ لأنّه لا يوجد دليل شرعي صحيح عليه إنما هي ما تَوَهَّمَتْه عُقولهم فقط؛ فيجعلون الحُجَّة للتأويل: ما تَوَهَّمَتْه عُقولهم؛ فَيُحَرِّفون كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ التي جاءت حتى لو كانت مُتواترة الأخبار ويقينية؛ عندهم يَقين العقل أقوى؛ فيُقَدّم العقل مباشرة.

هذه طريقة العقلانيين، فهم في الحقيقة لا يُؤمنون بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ؛ بل هم يُؤمنون بعقولهم، وكما قال أحد السَّلَف رضي الله عنهم: (ومن أخذ بالعقل؛ فقد أخذ بالهوى حقيقة)؛ هذا واقع الحال، وهذا هو الواقع الذي نجده اليوم من هؤلاء العقلانيين؛ صاروا

يَرُدون حديث الحَوْض ويَرُدون الميزان ويَرُدون الإسراء والمِعْراج، كثير من الأمور الغيبية يَردونها ولا يُؤمنون بها؛ ما السبب؟

هو الهَوى حقيقة ويُسَمونه العقل، وليس هو اتباع للعقل حقيقة، لو اتبعوا العقل الموزون المستقيم؛ لَما وقعوا فيما وَقَعوا فيه هكذا، ورَدّوا أدلة الكتاب والسنة للعقل.

فانتبهوا بارك الله فيكم أن تقعوا فيما وقعوا فيه من ضَلال.

وأعظم طريقة عندهم لردّ النُّصوص: التَّعَلُّق بالمجاز، وأيُّ نَصٍّ يأتي لا يركب على عُقولهم؛ يقولون: هذا مَجاز خِلاف الحقيقة، لذلك سمّى بعض أهل العلمِ المَجاز بالطاغوت؛ لأنهم استعملوه لهذا الغَرَض.

قال المؤلف –رحمه الله-: **(وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ حَقٌّ؛ كَمَا رُوِيَ فِي الأَخْبارِ)**
الشَّفاعة: في الأصل جَعْلُ الفَرْدِ شِفْعًا، وفي الاصطلاح: التَّوسُط للغير بِجَلْبِ مَنْفَعة أو دَفْعِ مَضَرَّة، والشَّفاعة منها باطلة ومنها صحيحة.

الشَّفاعة الباطلة هي كالشفاعة التي تحصُل بين المَخْلوقين- بين الناس-، والتي يتعلّق بها المُشركون؛ فيجعلون شفاعة معبوديهم عند الله كشفاعة المخلوق عند المخلوق، ويَعْبُدون أصنامهم من أجل تَحْصيلها؛ من أجل أن تشفع لهم عند الله؛ فيعبُدون الأصنام ويَزْعُمون أنّها تُقَرِّبهم إلى الله زُلْفى، {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} [يونس:18]، {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر:3]؛ هذه شفاعة باطلة.

المُشْرِك لا تَنْفَعُه شفاعة الشافعين كما قال الله تبارك وتعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المُدثر:48]، فمن أراد الشفاعة؛ فعليه بالتوحيد؛ فهؤلاء هم الذين يَسْتَحِقون الشَّفاعة كما قال النبي ﷺ.

ولا بُدَّ في الشَّفاعة الصحيحة من رضا الله سبحانه وتعالى وإذنه، بخلاف شفاعة المخلوق عند المخلوق؛ {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم:26]، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة:255]، {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء:28]؛ فلا يَشْفَعُ أحد إلا بإذن الله تبارك وتعالى له بالشفاعة، ولا يَشْفَعُ إلا فيمن ارتضى أن يَشفع فيه.

وقد تَحَدَّثنا عن موضوع الشَّفاعة وبيَّناه في شرح "العقيدة الواسطية"، وفي شرح "لمعة الاعتقاد" بما يكفي.

والشفاعة منها شفاعة خاصَّة بالنبي ﷺ؛ وهي شفاعته العامة في الناس جميعاً في المَوقف لأهل الموقف حتى يقضي الله بين العِباد، وفي الحديث: أنّ الناس عندما يشتد عليهم الأمر بعد قيام الساعة وهم وقوف في انتظار الحِساب وعندما تقترب منهم الشمس ويَغْرَق من يَغْرَق في عَرَقِه؛ يأتون إلى الأنبياء كي يَشْفَعوا لهم عند الله تعالى؛ ليبدأ بالحساب، فيأتون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى؛ فيقول كل منهم: نَفْسي نَفْسي، اذهبوا إلى الآخر إلى أنْ يأتوا إلى النبي ﷺ؛ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا،

لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ...)؛ فيَشْفع عليه الصلاة والسّلام، وهذه الشَّفاعة العُظمى؛ الشَّفاعة الكُبْرى للنبي ﷺ.

الشَّفاعة الثانية الخاصّة به عليه الصّلاة والسَّلام: أنَّه يَشْفَعُ في أهل الجنة أنْ يَدْخُلوا الجنّة، فقد جاء في الحديث من حديث أنس في "الصحيح" قال رسول الله ﷺ: "آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ".

والشَّفاعة الثالثة الخاصّة بالنبي ﷺ؛ وهي شفاعته في عمِّهِ أبي طالب.

وقلنا: إن الشَّفاعة في الكُفار لا تجوز؛ قال الله تبارك وتعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر:48]، ولا يُوجد شفاعة في الكُفار؛ لا تَنْفَع كما قال الله سبحانه وتعالى في هذه الآية، لكن عندنا حالة خاصّة وهي حالة أبي طالب؛ فأبو طالب كافر ومات على الكُفر، لكن يَشْفَعُ فيه النبي ﷺ؛ لكنه لا يَشْفَع فيه للخروج من النار- لا يَخْرُج من النار؛ فمن مات كافراً لا يُمكن أن يَخْرُج من النار-؛ ولكن هذه الشَّفاعة قُبِلَت من النبي ﷺ في أبي طالب لِما فعله أبو طالب من نُصرة النبي ﷺ في حياته الدنيا؛ فقَبِلَ الله سبحانه وتعالى هذه الشَّفاعة، وكانت شَفاعةً في تخفيف النار عنه، فخَفَّفَ الله سبحانه وتعالى عنه من العذاب؛ لكنه لا يَخْرُج من النار.

هذه الشّفاعات الخاصّة بالنبي ﷺ، و يوجد شفاعة ليست خاصّة بالنبي ﷺ؛ بل يَشْفَع الأنبياء ويَشْفَع الصِّديقون ويَشْفَع الشهداء ويَشْفَع النبي ﷺ؛ هذه الشَّفاعة هي شفاعة فيمن

استحق النار من المُوَحِّدين أن يَخرُج منها، فَيَشْفَع فيمن استحق النار أنْ لا يَدْخُلَها، ويَشْفَع فيمن دَخَلَها أنْ يَخْرُجَ منها، هذا وهذا، وهذا ثابت؛ وهذه الشَّفاعة ثابتة أيضاً.

والذين أنكروا الشَّفاعة؛ أنكروا هذه الشَّفاعة- التي هي خروج المُوَحِّدين الذين استحقوا العذاب من النار- هم المُعْتَزِلة والخَوارِج؛ فَمَذْهَبُهم في المؤمِن الفاسق مُرْتَكِب الكبيرة: أنّه مُخَلَّدٌ في نار جهنم، وبناءً على ذلك سَتُشْكِل عليهم أحاديث الشَّفاعة وهي أحاديث مُتواترة؛ الشَّفاعة في أهل النار أن يُخرُجوا منها، أحاديثها مُتواترة في الصحيحين وغيرهما، لكن اعتَقَدوا هذه العقيدة بناءً على مُتشابهات تعلَّقوا بها؛ فَصُدِموا بهذه الأحاديث- أحاديث الشَّفاعة-؛ فماذا فعلوا بها؟ كَذَّبوا بها وردوها ولمْ يؤمنوا بها.

هذه الأحاديث أحاديث مُتواترة وفيها ردٌّ على عقيدتهم الفاسدة، فبَدل أن يؤمنوا بها ويُسَلِّموا؛ رَدّوها وحَرَّفوها؛ هذا ما يَتَعَلَّق بالشَّفاعة.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَتِهِ حَقٌّ)**

الميثاق: عَهْدٌ مُؤكد؛ هذا معنى الميثاق، وهذا الميثاق الذي تحدَّثَ عنه المؤلف هنا- وهو العَهْد المُؤكد- أخَذّه الله تبارك وتعالى على بني آدم.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في هذا الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذُريَّته؛ فهو حق، عهد أخذه الله من آدم وذُرِيَّته قبل أن يخلق الذُّريَّة، أخْرَجَ الله سبحانه وتعالى ذُرِيَّة آدم من ظهره وأَشْهَدَهُم على أنْفُسِهِم بالتوحيد وأقرُّوا- هذا هو الميثاق-، وهذا قبل أن يُوجَدوا على الأرض، قبل أن يَخْلُقَهم الله سبحانه وتعالى موجودين، أحياءً مُكَلَّفين.

هذا الميثاق جاء في أحاديث؛ منها وهو أَصَحُّها: حديث أنس في "الصحيحين"؛ وفيه: "أنّ الله سبحانه وتعالى يقول للرجل من أهل النار يوم القيامة: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ- وهنا الشاهد-؛ قال: "قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي" حديث متفق عليه. "أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ".

وفي حديث ابن عباس: "أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ - يَعْنِي عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا" يعني: خلقها وأوجدها-، قال: "فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قبَلًا، قَالَ: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: 173]"؛ هذا حديث ابن عباس، جاء عن عمر وعن غيره؛ جَمْع من الصحابة.

أحاديث غير حديث أنس فيها نِزاع وكلام في صِحَتها، لكن مجموع هذه الأحاديث يدل على أنّ الحادِثة صحيحة لا غُبار عليها.

والإجماع مَنقول في هذه المَسْألة عن أهل السنة والجماعة؛ الإيمان بهذا الميثاق.

قال إسحاق بن راهويه: (وأجْمَعَ أهلُ العِلْمِ أنّ الله خَلَقَ الأرواح قبل الأجساد وأنّه اسْتَنْطَقَهُم وأَشْهَدَهُم)؛ هذا إجماع ينقله إسحاق بن راهويه.

فالسلف مُتَّفِقون على هذا، ربما يأتي شخص ويُشَوِّش عليك في كلام الحسن البصري يقول لك: الحسن البصري يُخالف.

لا؛ الحسن البصري له كلام يُثْبِت الميثاق، ما خالف الحَسَن البصري في هذه المَسْأَلة، وإنما الذي حَصَل- وهو الكلام الآتي عن موضوع الآية-، خالف في تفسير الآية، على أن البعض يقول: لم يُخالف أيضًا، لكن قال البعض الآخر: أنّه خالف في تفسير الآية.

الآن بالنسبة للأحاديث ثابتة والإجماع ثابت في الميثاق الأمر مُنتهٍ؛ يجب الإيمان بالميثاق ولا يجوز التشكيك فيه.

الخِلاف حاصل أين؟
في الآية {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف:172] هذه الآية في سورة الأعراف الآية مائة واثنين وسبعين؛ هل هي في الميثاق؟ أم في أمر آخر؛ منهم من فَسَّره بالفطرة التي فطر الناس عليها؟
الخِلاف في فَهْم الآية؛ وهل هي في الميثاق أم لا؟
لكنّ الميثاق نفسه لم يختلفوا في وقوعه، وأنّه موجود، وأنّه حصل؛ هذا أمر مهم يجب أن نتنبه له.

هل يوجد من خالَف في الميثاق؟

نعم يوجد؛ بعض أهل العلم يقول لا يوجد خِلاف.

بل يوجد خِلاف في الميثاق؛ موجود؛ من أهل البِدَع- لا من أهل السنة- من خالف في هذا الأمر لا من أهل السنة.

يقول ابن عبد البر رحمه الله في "الاستذكار": (وأمّا أهل البِدَع فمُنْكرون لما قاله العلماء في تأويل قول الله عز وجل {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}؛ قالوا: ما أخَذَ الله من آدم وذُرِّيته شيء قط قبل خَلْقِهِ إياهم، وما خَلَقَهُم قط إلا في بطون أمهاتهم، وما استخرج قط من ذُريّة آدم دونه مُخاطَب ولو كان ذلك لأحياهم ثلاث مرات....) إلى آخر ما قال وذكر من شُبهات القوم.

وهذه المسألة أعجبني فيها ما حقَّقه الشيخ الفاضل الذي له رحمه الله من خدمة السنة والدِفاع عنها قدَمُ صِدْقٍ، ما حقَّقه في هذه المسألة طيِّب وأنصح به في سلسلة الأحاديث الصحيحة وهو الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في سلسلته "سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الرابع"، البحث يبدأ من صفحة 158 عند الحديث ألف وستمائة وثلاثة وعشرين؛ كلام طَيِّب، تكلَّم به وصحَّح الأحاديث، وذكر هناك حديث ابن عباس وصحَّحه وتكلَّم في إثبات هذه العقيدة. والله أعلم.

وقبل أن ننهي:

هذه المسألة؛ حديث الميثاق له تَعَلُّقٌ بمسألة القدر، نفس أحاديث الميثاق ذُكِرت فيها مسائل القدر، لعل المؤلف رحمه الله لذلك ذكر مَبْحَث الميثاق هنا، ثم بعد ذلك تحدَّث عن القدر.

وآخر أمر نُريد أن نَذْكُرَهُ في هذه المسألة- وطبعًا قد تحدث الشيخ الألباني رحمه الله عن هذا الموضوع كذلك-؛ وهو: ما فائدة هذا الميثاق؟ وهل يكفي حُجَّة على العباد؟

نعم هو حُجَّة من ضمن الحُجَجْ؛ لكنّه لا يكفي وحده؛ لماذا؟

لأنّه مَنْسي؛ نُسي، فالأنبياء يُذَكِّرون به؛ فيصير حُجَّة قوية على العِباد بتذكير الأنبياء.

وقال بعض أهل العلم: الفِطْرة التي فَطَرَ الله سبحانه وتعالى الناس عليها هي نتيجة هذا الميثاق؛ فالميثاق له فائدة، وهو حُجَّة.

ونظرنا في الحديث المُتَّفق عليه؛ فوجدنا أنّ الله سبحانه وتعالى احتجَّ به على العباد، فالرسل ذكَّروا العباد به، ولكن من حيث إقامة الحُجّة؛ لا تقوم إلا بالرسل ولا بُد؛ فهذا الميثاق مع الرُّسل والرُّسل ذكَّروا بهذا الميثاق، والأمر كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]، فإقامة الحُجّة التي يُعَذّب الشخص إذا وصلته ولم يَقْبَلها: هي الرسل، والله أعلم. والحمد لله.

نكتفي اليوم بهذا القدر، نسأل الله سبحانه وتعالى القَبول لنا ولكم.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الرابع عشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد ...

فمعنا اليوم الدرس الرابع عشر من دروس شرح العقيدة الطحاوية، وقد وقفنا عند قول المؤلف رحمه الله:

(وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ؛ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلَا يُزَادُ فِي ذَلِكَ العَدَدُ ولا يُنْقَصُ مِنْهُ)

عِلْمُ الله تبارك وتعالى عامّ شامل لكل شيء {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التوبة:115]؛ هكذا قال الله تبارك وتعالى، وهذا عام في كل شيء، وقال: {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب:40]، فالله تبارك وتعالى مَوصوف أنه بكل شيء عليم أزلًا وأبدًا؛ فلا يَلْحَقُ عِلْمَهُ جَهْل ولا نِسيان؛ هذا معنى العلم الكامل التّام لكل شيء.

وفي بعض الأحاديث ما يُثْبِت عِلْمَه بما ذَكَرَ المؤلف خاصة وهو عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار.

جاء في حديث علي بن أبي طالب في "الصحيحين": أن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً" فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ

أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: "أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ" ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)} [الليل:5-10]؛ هذا الحديث مُتَّفق عليه.

ولاحظ قوله: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ".

وجاءت أحاديث أخرى تدل على هذا المعنى الذي ذكره المؤلف.

قال: **(وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ)**

إذن من يَدْخل الجنة مَعْلوم عند الله سبحانه وتعالى، ومن يدخل النار مَعْلوم عند الله سبحانه وتعالى، وكذلك أفعال العباد يَعْلَمها الله سبحانه وتعالى؛ يَعْلَمُ ما الذي سيفعلونه قبل أن يَخْلُقَهم؛ فيعْلم أنّ زيدًا سيؤمن، وأنّ فلانًا سيكفر... وإلى آخره؛ كله مَعْلوم عند الله تبارك وتعالى؛ وهذا كُلّه داخل في العموم الذي ذكرناه بداية.

قال: **(وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ)**

هذا نفسه الذي جاء في الحديث؛ قال: "اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له" في حديث جابر؛ قال: " قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ؛ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ».

ومعنى هذا: أنّ الله سبحانه وتعالى يُيَسِّر للعبد طريقه ويُسَهِّلُهُ له ويهُيِئه، والعبد يَسْلُكُه ويَخْتاره بمشيئته؛ هذا معنى أنّه مُيَسَّر.

وفَرْق بين أن يكون مُيَسَّرًا وبين أن يكون مَجْبورًا؛ فمن التيسير: شرح الصَدْر أو تضييق الصَدْر للإيمان؛ هذا من التيسير {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}[الأنعام:125]، فالعَبْدُ يسير في طريقه باختياره ومَشيئته ورضاه؛ ليس مَجْبورًا، ولكنّ مشيئته بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى كما قال الله تبارك وتعالى: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[التكوير:29].

قال: **(وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ)**

يعني: العبرة بالنهايات؛ علامَ يموت العبد؟ قد يبقى الإنسان في حياته مؤمنًا، ولكنّه يموت على الكفر؛ فهو من أهل النار، ويمكن أن يبقى في حياته كافرًا، وقبل أنْ يموت يؤمن؛ فهو من أهل الجنة؛ فالأعمال بالخواتيم، كما جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: "فوالله الذي لا إله غيره إِنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"؛ فالعبرة بالنهايات؛ بالخواتيم.

لهذا أُمِرنا أنْ نُكْثِرَ من دعاء الله تبارك وتعالى بالثبات، وكان عليه الصلاة والسلام يُكْثِرُ من قوله: "يا مُقَلِّبَ القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك"، {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} [آل عمران:8]؛ هكذا عَلّمنا الله تبارك وتعالى؛ أن ندعوا بالثبات؛ فالعبرة بالخواتيم.

قال: **(وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ)**

السَّعيد الذي لا يَحْزَن على ما فاتَه، ويَسْعَد ويَظْفَر بِمَطْلوبه ومَحْبوبه؛ هذا السَّعيد، والشَّقيّ بخِلافه؛ فالسَّعادة والشَّقاء مَكتوبان مَقْضِيّان مُقَدَّران على العبد كما جاء في حديث ابن مَسعود الذي فيه: حدَّثنا رسول الله ﷺ الصادِق المَصْدوق قال: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.." إلى أن قال: "ثُمَّ يُرْسَلُ إليه مَلَكٌ؛ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ"؛ فهو مكتوب مُقَدَّر عند الله سبحانه وتعالى؛ مُنتهٍ عند الله سبحانه وتعالى.

لكن هناك أسباب للسعادة والشَّقاء لا بُدَّ منها: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل:32] هذه السعادة؛ بمَ نالوها؟

نالوها بالعمل؛ إذن العمل هو سبب دخول الجنة، وكما قال الله سبحانه وتعالى: {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران:106]؛ إذن لا بُدَّ من الأسباب؛ فسبب السَّعادة طاعة الله، وسبب الشَّقاوة معصية الله.

وهنا أُنَبِّه على أمور في مسألة القدر؛ لأنّ كلام المؤلف هذا في موضوع القدر، والمؤلف كما تعلمون فَرّق مباحث القدر في الكتاب؛ لم يَجْمَعْها، لكن هنا في هذا المَبْحَث سنُنْهِي موضوع القدر.

تَقَدّم الكلام عن التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؛ وهذا الأمر مهم في هذا المَبْحَث، وتَقَدَّم الكلام عن مسألة الظُّلم أيضًا، تستحضرون الكلام في هاتين المسألتين من مسائل القدر.

وتَحَدَّثنا عن مراتب القَدَر الأربعة في دروسنا الماضية؛ وهي:
المرتبة الأولى: مرتبة العلم- علم الله تبارك وتعالى-؛ الإيمان بعلم الله الشامل المُحيط بكل شيء، وأنّ الله سبحانه وتعالى عَلِمَ الأشياء أَزَلًا، عَلِمَ ما كان وما يكون وما لم يَكُن لو كان كيف يكون، ولا يَخْفى عليه شيء والأدلة ذكرناها.
المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة؛ أنّ الله سبحانه وتعالى كَتَبَ في اللوح المَحفوظ مقادير الخلائق ودليله: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ..." الحديث.
المرتبة الثالثة: مرتبة المَشيئة؛ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، {إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [الحج:14]، {كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [آل عمران:40]، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ هذه قاعدتنا هنا في المرتبة الثالثة.
المرتبة الرابعة: مرتبة الخَلْقِ والإيجاد؛ {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر:62]، {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف:54]؛ كل شيء مَخْلوق لله؛ ومن ذلك أفعال العِباد.
هذه أربع مراتب، طبعًا هذه المراتب الأربعة مُتَّفق عليها عند أهل السنة والجماعة وأدلتها هي ما ذكرنا وهي كثيرة في الكتاب والسنة.

خالَف في مسألة القدر طائفتان:
الطائفة الأولى: القدرية، وسُمّوا بالقدرية؛ لأنّهم ينفون القدر- لا يُثْبتونه-، القدر الذي هو الركن السادس من أركان الإيمان؛ فسُمّوا قدرية، وهذه الطائفة فِرقتان:

الأولى: الغُلاة منهم؛ وهؤلاء خالفوا أهل السُّنة والجَماعة في أول مرتبتَين من مَراتب القَدر؛ مرتبة العلم ومرتبة الكتابة، هؤلاء الغُلاة يُنْكِرون عِلْمَ الله وإرادته وقُدْرته وخَلْقه لأفعال العبد؛ فالمراتب الأربعة عند هؤلاء مَنفية وليس فقط أول مرتبتَين بل الأربعة، هؤلاء كفار كَفَّرَهُم علماء الإسلام، وقال بعض أهل العلم بأنهم انقرضوا ولا وجود لهم اليوم.

طبعًا ولا تَسْتَبعِد وجودهم؛ فنحن في زمن يمكن أن يوجد من يقول بقولهم، زمننا هذا كَثُرَت فيه الأهواء وكَثُرَ فيه الجَهل وكَثُرَ فيه التَّخَبُط بشكل عظيم جدًا؛ حتى أنك صرت تسمع بالشخص تجتمع فيه أكثر من فِرْقة في آن واحد حتى لو كانت هذه الفِرَق مُتَناقِضة لا تَجْتَمِع، فتَجِد الشَّخص قد جمع من هنا وهناك، وتناقض واضطرب في أقواله بسبب الجهل، ليس الهوى فقط؛ بل قد جمع الهوى والجهل؛ فربما تَجِدُهم لا يُسْتَبْعَد، المهم أنك قد عرفت قولهم وضلالهم.

الطائفة الثانية: يُثْبِتون المرتبة الأولى والثانية خلافًا للطائفة السابقة، فهؤلاء يُثبتون المرتبة الأولى والثانية، فيقولون: الله سبحانه وتعالى عَلِمَ أفعال العباد، وكتبها عنده؛ لكنه في المشيئة لم يَشَئها ولم يَخْلُقها وهنا كان ضلالهم، فهؤلاء عندهم العَبْدُ مُسْتَقِلٌ بإرادته وقدرته، ليس لله في فعله مشيئة ولا خَلْق، العَبْد هو الذي يَشاء مَشيئة مُسْتَقِلة عن مَشيئة الله غير مُرْتبطة بها أبدًا، وهو خالِق فِعله؛ فأثبتوا خالقًا مع الله تبارك وتعالى.

فهذه المراتب الأربعة إذا آمنت بها؛ فقد خرجت من قول القدرية بطائفتيها؛ الغُلاة وجمهورُهُم؛ هذه الفِرقة الأولى التي خالفت أهل السنة والجماعة.

إذن الفرق بيننا وبين جُمهور القدرية: أنّ جمهور القدرية يقولون أنّ العَبْدَ له مشيئة مُسْتقلة وأنّ العَبْدَ يَخْلُق فِعْلَه، وأنّ الله تبارك وتعالى ليس له في فعل العبد مشيئة ولا خَلْق؛ هذه الخُلاصة.

والفِرْقة الثانية التي خالفت أهل السُّنة والجماعة- وكان أهل السنة والجماعة وسطًا بينهما كما هم وسط بين الخوارج والمرجئة-؛ الجَبْرية.

الطائفة الثانية: الجبرية.

وسمُّوا الجبرية؛ لأنهم يقولون بالجَبْر؛ بأنّ العَبْدَ مَجْبور على فِعْله؛ يعني: أنّ المؤمن مَجْبور على الإيمان، حتى لو أراد هو الكفر؛ لا يستطيع- لا يُمْكِنُه-، وأنّ الكافر مَجبور على الكُفر، لو أراد الإيمان؛ لا يستطيع أن يؤمن، لا تأثير له في فعله البتَّة، حتى بالغ بعضُهُم- غُلاتُهم- بأن جعلَ فعلَ العبد هو عين فعل الله، ولا يُنْسَب إلى العبد إلا على سبيل المَجاز فقط، وأنّ الله يَلوم العَبْدَ ويُعاقبه على ما لا صُنْعَ له فيه ولا إرادة ولا اختيار؛ بل هو مُضْطَرٌ إليه، فحركات العَبْد وتصرفاته بمنزلة حركة ورقة الشجر في مَهَب الريح، ما الذي يحرك ورقة الشجر؟ الريح وليست هي، هي لا تتحرك؛ إذن العَبْد ليست له إرادة ولا مَشيئة في فعله، وليس هو الفاعل حقيقة؛ هذا قولهم.

أين خطورة هذا القول؟

القول الأول عرفنا خطورته؛ ففيه إثبات خالق مع الله سبحانه وتعالى، وفيه إثبات عَجْز الله سبحانه وتعالى وغَلَبة مشيئة العَبْد لمشيئة الله، نسأل الله العافية والسّلامة، تعالى الله عما يقولون.

أمّا هذا القول؛ فخطورته في إلغاء الشريعة وإلغاء الحِكمة، ما فائدة الأمر والنّهي إذا كان العَبْد لا يفعل شيئًا باختياره وإرادته، فعندَهم الله هو الذي يأمر وهو الذي ينهى وهو الذي يفعل المعصية وهو الذي يفعل الطاعة ويُعَذِّب بعد ذلك العَبْد على شيء لم يَفْعله ولم يُرِدْه، هذا ضَلال؛ إبطال لشريعة الله وإبطال لحكمة الله سبحانه وتعالى في خَلْقه وأمره.

قال أهل العِلم: الجَبْرية يُخرِجون عن أحكام الله أحكامها ومَصالحها، وَجْه ذلك أنّ الجّبرية لا يُفَرِّقون بين فعل العَبْد اختيارًا وفِعله بدون اختيار؛ كلاهما عندهم مُجْبَرٌ عليه كما سبق، وإذا كان كذلك؛ صار ثَوابه على الطاعة وعِقابه على المَعصية لا حِكْمة له؛ إذ الفعل جاء بدون اختيار، وما كان كذلك فإن صاحبه لا يُمدح عليه فيستحق الثواب، ولا يُذَمُ عليه فيستحق العقاب. انتهى.
إذن كلا القولين فاسد وباطل.

من أين نشأ هذا الضّلال عند الفِرقتين؟
من التَّسوية بين المَشيئة والإرادة من جِهة، والمَحَبة والرِضا من جِهة أخرى؛ يعني جعلوا ما شاءه الله سبحانه وتعالى وأراده أنّه أحبه ورَضِيَه، فلم يُفَرِّقوا بين الأمرين، فقالت الجَبْرية: الكون كله بقضائه وقدره هذا صحيح، لكنهم أكملوا فقالوا: فيكون مَحْبوبًا مَرْضِيًا؛ وهذا باطل؛ فليس كل ما يَقَع في الكون يُحِبُه ويَرضاه؛ لذلك نقول: شاء الكفر من الكافر ولا يُحِبه ولا يَرْضاه منه؛ هذا فَرْق بيننا وبين الجَبرية؛ الجَبْرية يقولون: يُحِبُه ويَرْضاه؛ لأنهم لم يُفَرِّقوا بين الأمرين؛ بين مشيئة الله ومَحَبَتِهِ ورِضاه.
وقالت القَدَرِية النُّفاة: ليست المعاصي مَحْبوبة لله ولا مَرضية له؛ إلى هنا صحيح، لكنهم أكملوا فقالوا: فليست مُقَدّرة ولا مَقْضِية، انظر كيف ربطوا بين الأمرين!

ولو أنَّهم فَصَلوا بين الأمرين؛ لأصابوا.

أصابت الجبرية في قولها: الكون كله بقضائه وقدره وأخطأت فيه القدرية.

وأصابت القدرية في قولهم: ليست المعاصي مَحْبوبة لله ولا مَرْضِية له، وأخطأت فيه الجَبرية.

وأهل السُّنة وسط بين الطرفين.

فعند القدرية ليست المَعاصي مَحْبوبة لله ولا مَرضية له؛ فليست مُقدرة ولا مَقضية؛ فهي خارجة عن مشيئته وخلقه؛ لم يشأها ولم يَخْلُقها.

ودلّت الأدلة الشرعية على التفريق ما بين المشيئة والمَحبة وها هُنا لُب الموضوع.

إذن الخلاصة: أنهم لم يُفرّقوا جميعًا بين المشيئة والمَحبة؛ فجعلوا المَشيئة: ما شاءه أحبه، وما أبْغَضه لم يَشَأْهُ؛ ثم وقعوا فيما قالوا.

والأدلة على التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشّرعية ذكرناها فيما تقدم، فالإرادة الشَّرعية: هي المُتضمنة للمحبة والرِضا، والكونية: هي المشيئة الشاملة لجميع الخَلْق.

قول الله سبحانه وتعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة:253] هذه إرادة كونية، {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام:125] هذه إرادة كونية.

أما الإرادة الشّرعية {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: 185]، {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ} [النساء:28]، {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} [المائدة:6]؛ هذه إرادة شرعية.

أما الأشاعرة؛ فقد أتَوا بشيء أضحك منهم العُقلاء وهو ما يُسمى بكَسْب الأشعري.

حقيقة قَوْل الأشاعرة أنَّهم جبرية، واختلفوا في تفسير الكَسْب عِندهم اختلافًا كثيرًا، فعند أهل السّنة: الكَسْب هو العمل والفعل نفسه {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة:286]، لكن الأشاعرة اضطربوا اضطرابًا شديدًا في هذا؛ وخُلاصة الأمر أن قولهم يَرْجِع إلى الجَبْر.

قال المؤلف رحمه الله بعد ذلك: **(وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ؛ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ؛ فالحَذَرُ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ ذلِكَ نَظَراً وفِكْراً ووَسْوَسَةً؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قال الله تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 23]، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتاب؛ كَانَ مِنَ الكافِرين)**

ما هو سِرُّ الله في خَلْقِه؟ ما هو هذا القدر الذي هو سِرُّ الله في خلقه؟

نحن نعلم أنّ الله تبارك وتعالى له حِكْمة في أفعاله؛ فلا يَعْمَلُ شيئًا إلا بحكمة بالغة، من هذه الحِكَم ما بيَّنه لنا وأظْهَرَه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ، نَعْلَمُه ونتعلَّمُه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أخبرنا به، ومنه ما لم يُخْبِرنا به، وهذا لا سبيل إلى مَعْرِفته، وهو سِرُّ الله في خلقه؛ فالخَلْق لا يُحيطون به عِلْمًا، ولا بحِكْمته في خلقه وأمره، فبما أنّ الله سبحانه وتعالى لم يُخْبرنا بذلك؛ إذن فالواجب عدم البحث عنه والسؤال عنه.

ما معنى **(القَدَر سِرُّ الله في خلقه)** التي يُدَندِن بها أهل العِلم من السّلَف والخَلَف، وينهى العُلماء عن الكلام في هذا؟

هي إجابة السؤال: لِمَ هدى فُلاناً ؟ ولِمَ أَضَلّ فُلاناً ؟ ولِمَ أغنى فُلاناً ؟ ولِمَ أفْقَرَ فُلاناً ؟ ولِمَ أَصَحَّ فُلاناً ؟ ولِمَ أمْرَضَ فُلاناً ؟ وما شابه من أفعال الله سبحانه وتعالى في خلقه وما قَدّرَهُ عليهم، ما الحِكْمة من ذلك ؟

{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:23]؛ بهذا أجب نفسك دائمًا عن هذه الأسئلة: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}.

وقول المؤلف: **(وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)** أفضل الخَلْق: الملائكة المُقَرَّبون والأنبياء المُرْسَلون؛ لم يَطَّلِعوا على هذا؛ إذن فأنت من باب أولى ألا تَعْلَمه؛ فلا يجوز لك أن تسأل عنه؛ هذا ما أراد المؤلف أنْ يُوصِله إليك.

قوله: **(وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ)**

(التَّعَمُّق) في القضاء والقَدَر ومسائِله، و**(النَّظَر)** التَّفَكُّر في ذلك؛ **(ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ)**

والخِذْلان هو عدم التَّوفيق.

فالتَّعَمُّق والتَّفَكُر في أسرار القدر والبَحْث عن ذلك سَبَبٌ لعدم التَّوفيق؛ (ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ)، **(وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ)** سُلَّمٌ يوصِلُكَ إلى الحِرمان.

الحِرمان من ماذا ؟ الحِرْمان من الهداية؛ يعني أنّه طريق إلى الهَلاك، سَبَبٌ للشقاوة.

ما هو ؟ هو التَّعَمُق والنَّظَر في أسرار القَدَر، يعني لا تَشْغَل فِكْرَك بهذه الأمور ولا تَسأَل عنها ولا تُفَتِّش عنها، اشغل نفسك بما أمرك الله به، تَعَلَّمه واعْمَل به، أما هذه الأمور؛ فلا تَشْغَل نفسك بها.

قوله: **(فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً)** هذا تحذير من المؤلف، يُحَذِرُك كي لا تَهْلِك، احذر من هذه الأمور؛ من النَّظَر والتَّفكُّر والوسوسة؛ الأوهام التي تَرِد على ذِهْنِك والخَواطِر التي تُشَكِّكُك، أغلق هذا الباب تمامًا.

قوله: **(فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ)** أي: أخفي هذا العلم **(عَنْ أَنَامِهِ)** عن خَلْقِه؛ إذن فلا سبيل إلى الوصول إليه؛ فلا تَبْحَث عنه.

قوله: **(وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ)** يعني: نَهاهُم عن قَصدِه والبَحْث عنه لأجل الوصول إليه.

قوله: **(كَمَا قال اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 23])** انتهى الأمر، لا نِقاش في هذه المَسألة أغلق الباب؛ هذا المَقصود.

قوله: **(فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟)** الآن فَسَّر لك المُراد؛ **(فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ)** لا تَسأل لِمَ فعل، لا تسأل عن أفعال الله سبحانه وتعالى، لماذا يفعل الله سبحانه وتعالى كذا؟ {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}.

(فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ) أي: كتاب الله سبحانه وتعالى الذي أمره ألا يسأل.

قوله: **(وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتاب؛ كَانَ مِنَ الكَافِرِينَ)** من اعترض على أحكام الله ولم يُؤمن بها وكذَّب بها كان من الكافرين، موضوع التكفير له تفصيل في مَوضِعِه.

قال رحمه الله: **(فَهَذَا جُمْلَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ)**

يعني: ما يَحْتاجه في أمور القَضاء والقَدَر؛ هذه خُلاصة ما يحتاجه في أمور القَدَر، فتُؤمن بما ذكر لك من مسائل القَدَر، تُؤمن بالمراتب الأربع التي ذُكِرت وما معها من تفصيلات.

قوله: **(مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى)** {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس:62-63]؛ فالوَلِيّ هو المؤمن، والذي يتّقي الله سبحانه وتعالى؛ هذا الذي نَوَّرَ الله قلبه بالإيمان؛ هذا قد ذُكِرَ له مباحث القَدَر التي يَحْتاجُها.

قوله: **(وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ)** **(الرَّاسِخ فِي العِلْم)** مأخوذ من الرُّسوخ، والرُّسوخ هو الثُّبوت، يقولون: (رَسَخَت قوائم الدَّابة في الرَّمل) أي: ثَبَتت فيه.

والرُّسوخ في العلم يأتي بالتَّعَلُّم والصَّبر عليه، وكَثْرَة النَّظَر في العِلْم، والمُداومة على ذلك مع كَثْرة الأيام والسِّنين، وهو توفيق من الله سبحانه وتعالى، وليس الرَّاسِخ فقط هو كبير السِّن أو الذي أمضى سِنين طويلة في العِلْم، كم وكم ممن أمضى سنين طويلة وهو مكانه كما هو، أو أنّ الله لم يُوَفِّقْه وكان من أهل الضَّلال، كثير منهم تَجِدُه جاهلًا أو تَجِدُه صاحب هوى، لكنّ الرَّاسِخ الذي وَفَّقَه الله سبحانه وتعالى للعِلْم النّافع، وأمضى على ذلك سِنين؛ فصارت له دُرْبة في العِلم ومَعرِفة وثُبوت، لا يتزلزل عند الفتن، ولا يضطرب عند حدوث المَسائل، هو ثابت راسخ.

أنت ترى من نفسك المسألة عندما تقرأها مرة ومرتين وثلاثة، فَهْمُكَ لها عند قراءتها عدة مرات ومن كتب مُخْتَلِفة ليس كفَهْمِكَ لها عندما تقرأها المرة الأولى؛ هكذا يَحْصُل الرُّسوخ مع التَّوفيق من الله سبحانه وتعالى.

وأنْ يَرْزُقُكَ الله عقلًا راجِحًا حتى تكون راسخًا، فالرّاسخون في العلم ليسوا من الطائشين المُتَهَورين، ولا هُم من صِغار السِّن الذين ليست لهم دُربة في العِلم، ولا من أهل البِدع

والضَّلال الذين لم يُوَفْقْهُم الله سبحانه وتعالى لاتباع السُّنة ومَنْهَج السَّلف الصالح رضي الله عنهم؛ فهم جمعوا بين عِدَّة صِفات.

هذه الدَّرجة؛ أصحابُها هم الذين يؤمنون بالقَدَر على الوَصف الذي ذُكر وعلى طريقة السَّلف الصالح رضي الله عنهم، ولا يَدْخُلون في الضَّلالات ولا تَنْطَلِي عليهم الشُّبُهات؛ هذه درجة الرّاسخين في العِلْم.

قال: **(لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُودٌ، وَعِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودٌ)**

عِلْمٌ استأثر الله سبحانه وتعالى به ولم يُعْلِم به أحدًا وهذا عِلْمُ الغَيب، {قل لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل:65]، "في خَمْسٍ لا يَعْلَمُهنَّ إلا الله"، هذا عِلْمٌ مفقود بين البَشَر، ليس له أن يبحث عنه ولا أن يسأل عنه.

فقوله: **(عِلْمٌ في الخَلْقِ مَفْقود)** الذي ذكرنا، **(وعِلْمٌ في الخَلْقِ مَوجود)** هو عِلْمُ الكتاب والسُّنة، أمرنا الله سبحانه وتعالى بتَعَلُّمه والعمل به والتَّقَيُّد به؛ هذا يجب علينا أن نتعلَّمه، وذاك لا يجوز لنا أن نبحث عنه.

قال: **(فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ كُفْرٌ)**

إنكار عِلْمِ الكتاب والسُّنة كُفْر، من أنكر حرفًا من كتاب الله؛ كفر بإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

قال: **(وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُودِ كُفْرٌ)**

ادّعاء علم الغيب كُفْر: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}؛ فهذا الذي يدّعي علم الغيب قد نازَعَ الله سبحانه وتعالى في أمر يختص به.

قال: **(وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِقَبُولِ العِلْمِ المَوْجودِ، وَتَرْكِ طَلَبِ العِلْمِ المَفْقودِ)**

هكذا يَثْبُت الإيمان، وهكذا يكون المرء مؤمنًا حقًا.

والله أعلم. والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الخامس عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

فمعنا اليوم الدرس الخامس عشر من دروس شرح "العقيدة الطحاوية"، وقد وقفنا عند قول المؤلف رحمه الله: (وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ)

هذه المسألة التي معنا الآن تَتِمّة لمباحث القدر، وقد أكملنا القول في مسألة القدر؛ فلذلك نشرح قول المؤلف هنا بشكل مُختَصر.

قوله: **(وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ)**
(اللَّوح) هو اللّوح المحفوظ، وقد جاءت تسميته في كتاب الله بأكثر من اسم منها: اللّوح المَحفوظ كما في سورة البروج: {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج:22]، وسمّاه ربنا سبحانه وتعالى أيضًا أمَّ الكتاب؛ قال: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد:39]، وذُكِرَ أيضًا باسم: الكتاب المبين والكتاب المكنون.
هذا اللّوح المَحفوظ الذي يجب أن نؤمن به، وهو اللّوح الذي كُتِبَ فيه مقادير كل شيء إلى قيام الساعة.

و**(القَلَم)** هو الذي ذُكِرَ في حديث عُبادة بن الصامت؛ قال لابنه: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ".

فهذا القلم ذُكِرَ في سنة النبي ﷺ، واللّوح المَحفوظ ذُكِرَ في كتاب الله تبارك وتعالى؛ فالواجب علينا أنْ نؤمن بما أخبرنا الله سبحانه وتعالى به وما أخبرنا به نبينا ﷺ، وهذه من الأمور الغيبية التي يجب علينا أن نُسَلِّم بها وأنْ نُؤمن بها.

قوله: **(وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمْ)** يعني وبكل ما كُتِبَ في اللوح المَحفوظ، نؤمن بأنّ الله سبحانه وتعالى كَتَبَ مقادير كل شيء في اللّوح المَحفوظ حتى تقوم الساعة.

هذا تقدير عام لكل شيء في اللّوح المَحفوظ، وجاء أكْثر من دليل يَدُل على تقديرات أخرى، وهذا التقدير هو التقدير العام؛ التقدير الأول.

التقدير الثاني: هو تقديرٌ عُمُري وهذا الذي ورد في حديث عبدالله بن مسعود الذي قال فيه: أخبرني الصادق المَصدوق؛ فذكر أن الجنين في بطن أمه عندما يبلغ أربعة أشهر يأتيه المَلَك فينفخ فيه الروح ويُؤمر بأربع كلمات يُكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد؛ هذا تقدير أيضًا، وهو تقدير عُمُري؛ يعني: في عُمُر الإنسان يُكْتَب مرة واحدة.

والتقدير الثالث: هو التقدير السنوي؛ ويُقال له: التقدير الحَولي؛ لأنه في الحَوْل، وهو ما يكون في ليلة القدر {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان:3-4].

التقدير الذي بعده؛ وهو التقدير الرابع: ذكره بعض أهل العلم وهو التقدير اليومي، واستدلوا له بقول الله تبارك وتعالى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن:29]، يعني: في كل يوم يغفر ذنبًا ويُفَرِّجُ كَرْبًا ويَرْفع قومًا ويَضَعُ آخرين... إلخ.

وذكر بعض أهل العلم أيضًا تقديرًا آخر؛ وهو الذي كان قبل أن يَخْلُق المُكَلّفين وهو تقدير الميثاق؛ ذكره بعض أهل العلم.

فنؤمن بجميع ما فيه قد رُقِم؛ أي: كُتِب، فنؤمن بكل ما كُتِبَ في اللَّوح المَحفوظ إيمانًا مُجْمَلًا؛ يعني: أننا نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قدَّر مقادير كل شيء في اللَّوح المَحفوظ؛ هذا ما نحتاجه، أمّا كيفية اللّوح المَحفوظ والقَلَم؛ فهذا كما ذكرنا أمر غيبي لا عِلْمَ لنا به، ولم يُذكَر لنا لا في كتابٍ ولا في سنة؛ لذلك لا نتحدث عن هذا الأمر.

قال: **(فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ؛ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ)**

قوله: **(كتبه الله تعالى فيه)** أي: في اللّوح المَحفوظ **(أَنَّهُ كَائِنٌ)** يعني أنه سيحصل **(لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ)** ليمنعوا حُصولَه؛ **(لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ)** ما يستطيع أحد أن يُغَيِّر ما كُتِبَ في اللّوح المحفوظ أبدًا.

قال: **(وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ)**

لو أرادوا أن يمنعوا شيئًا كُتِبَ أنّه سيحصل ليحصل؛ لن يستطيعوا، ولو أرادوا أنْ يَحْصُلَ شيءٌ ليس مكتوبًا في اللّوح المَحفوظ أنْ يَحْصُل؛ فلن يستطيعوا ذلك، هذا معنى كلامه.

وهذا يؤكده ما قاله عُبادة بن الصامت لابنه، وجاء مرفوعًا عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس؛ قال: "وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" أقلام القَدَر، رُفِعَت الأَقلام، وثبت الذي كُتِب في الصُّحُف، جَفَّ الأمر عليه؛ انتهى لا تغيير؛ قد فُرِغَ من هذا الأمر.

قال: **(جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ)**

كما جاء في حديث ابن عباس: "رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"، فكل ما كُتِبَ هناك أنّه سيحصل؛ فسيَحْصُل، وما لم يُكْتَب أنّه سيحصل؛ لن يَحْصُل، وبعد ذلك ما نفعله نحن هو أَخْذٌ بالأسباب؛ فكل ما يجري في هذا الكون سَبَقَ به عِلْمُ الله سبحانه وتعالى وكتبه الله تبارك وتعالى، وقدَّر الله سبحانه وتعالى أَنْ يَرْبِطَ المُسَبَبَات بأسبابها؛ فلا يكون شيء إلا بِسَبَبِه، فلا يُمْكِن أَنْ يولد لك إلا أن تتزوج وتُجامِع، هذه أسباب ويجب علينا أن نأخذ بها.

لكن المهم هنا أَنْ نؤمن بأنّ كل شيء مكتوب عند الله سبحانه وتعالى؛ وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب القدر التي تحدثنا عنها سابقًا؛ وهي مَبْنية على المرتبة الأولى؛ الله سبحانه وتعالى يعْلم كل شيء وكتب عنده في اللّوح المَحفوظ ما هو كائن؛ هاتان مرتبتان من مراتب القدر، يجب الإيمان بها، وقد مرّت وتقدّم القول فيها.

وقول النبي ﷺ: "إن أوّل ما خَلَق الله القلم"؛ هل يدل هذا على أنّ القلم هو أوّل مَخْلوق مُطْلَقًا أم لا؟ فيه نِزاع، يوجد أقوال لأهل العلم؛ لكنها كلها ضعيفة إلا قولين:
الأول: أنّ أول مخْلوق هو القلم.
الثاني: هو العرش.

طبعاً الحديث في فَهْمِهِ خِلاف، ويستدلون أيضًا بأدلة.

وهذا الحديث يَستَدِلُ به الذين يقولون أنّ أول مَخْلوق هو القَلَم.

ويَسْتَدِل الذين يقولون بالعرش بحديث عبد الله بن عمرو؛ قال رسول الله ﷺ: "كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"، قالوا: هذا دليل على أنّ العرش كان قبل القلم.

وأما الآخرون فاستدلوا بحديث عُبادة.

وحديث عُبادة يحتمل معنيين؛ يحتمل أنْ يكون معناه (إنّ أول ما خلق الله القلم)؛ هذه جملة تامّة ويصير في هذا دليل على أنّ أول المَخلوقات هو القلم.

أمّا إذا قلنا بأنّ تقدير الكلام هنا (إنّ أول ما خَلَقَ الله القَلَمَ؛ قال له: اكتب)؛ فتكون الجملة هنا مرتبطة ببعضها؛ فتكون الأولية هنا ليست راجعة إلى خَلْق القلم؛ بل راجعة إلى الكِتابة؛ يعني: أول ما خَلَقه؛ مباشرة قال له: اكتب.

وللشيخ الألباني رحمه الله كلام طويل، يُرَجّح فيه أنّ القلم قبل العَرْش، وابن تيمية رحمه الله ومن تابَعَه يُرَجِّحون القول بأنّ العَرْش قبل القلم؛ وهؤلاء طبعًا تأولوا الحديث على المعنى الثاني؛ قالوا: معناه أنّه عندما خَلَقَ القَلَمَ؛ قال له: اكتب.

قوله: **(جَفَّ الْقَلَمُ بما هو كائن إلى يوم القيامة وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ وَمَا أصابه لم يكن ليخطئه)** هذه تَتِمَة الحديث؛ وأنّ الأمر لا يَخْرُج عمّا قُدِّرَ وكُتِبَ في اللّوح المَحفوظ.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ)**

رجع المؤلف إلى عِلْم الله سبحانه وتعالى- إلى المرتبة الأولى من مراتب القدر-، والواجب على العبد أنْ يَعْلَم وأنْ يؤمن بأنّ الله قد سَبَقَ عِلْمُه في كل كائن من خَلْقه؛ يعني: كل مَخلوق من خَلْقِه يَعْلَمُ الله أمره كلّه؛ فالواجب هو أنْ نعتقد أنّ الله عَلِمَ ما كان وما لَمْ يكن بعلمه الأزلي؛ وهو مُحيط بكل شيء علمًا.

قال: **(فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سماواته وأَرْضِهِ)**

كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان:2].

(مُبْرَم) يعني: مُحْكَم؛ تأكيد لإحكام إتقان، يعني: لا تغيير فيه ولا تبديل ولا نقص ولا زيادة.

قوله: **(لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ)** أي: لا يَنْقُضُهُ شيء، فما قدَّرَهُ؛ فهو ماضٍ، لا أحد يَتَصَرَّف فيه فيُغيِّر ما قَضاه الله وقدَّرَه، لا رادَّ لقضائه ولا مُعَقِّبَ لحكمه؛ أي: لا رادّ لحكمه؛ فلا أحد يستطيع أنْ يَتَصَرَّف فيه بشيء؛ هذا المقصود من كلام المؤلف.

قوله: **(وَلَا مُعَقِّبٌ وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سماواته وأرضه)** كلام واضح.

هذا أمر قُضِيَ منه وانتهى، وهو كما كُتِب لا يتغير، الأمور ماضية كما قدَّر الله سبحانه وتعالى.

قال: **(وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، والاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) [الْفُرْقَانِ: 2])**

قوله: **(من عقد الإيمان)** أي هذه العقيدة؛ عقيدة القضاء والقدر من عقيدة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، هي من أركان الإيمان الستة التي ذُكِرَت في الحديث؛ فلا يكون العبد مؤمنًا إلا بها، فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، لا يَصِح الإيمان إلا به كما جاء في الحديث؛ قال: "وَنُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ".

قوله: **(وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)** يعني: الإيمان بالقضاء والقدر يدخل في توحيد الربوبية؛ لأنه من أفعال الله سبحانه وتعالى، إذن الخَلَل فيه؛ خَلَل في توحيد الربوبية قال: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}؛ إذن هو من فعله تبارك وتعالى.

قال: **(وَقَالَ تَعَالَى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مقدورا} [الأحزاب: 38])**

فهذه الآيات تدل على وجوب الإيمان بالقضاء والقَدَر والتسليم.

قال: **(فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ للهِ تَعالى فِي القَدَرِ خَصِيما، وَأَحْضَرَ للنَّظَرِ فيهِ قَلْبًا سَقِيمًا؛ لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيما، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أفاكا أثيما)**

قوله: **(فويلٌ لمن صار لله تعالى في القدر خصيما)** كيف يكون ذلك؟
بالتشكيك في هذا، وعدم الإيمان بما أمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان به في مسائل القدر؛ فيكون خَصيمًا لله سبحانه وتعالى.
و**(الخَصيم)** هو المُخاصِم، المُنازِع، المُعادي.

قوله: **(وأحضر للنظر فيه قَلْبًا سَقِيمًا)** أي مريضًا؛ فهو لمّا نظر في القضاء والقدر نظر فيه بقلب مريض؛ فإلى ماذا سيصل هذا؟

سيصل إلى الضلال والهَوى؛ فمسائل القَدَر الواجب فيها الإيمان والتسليم والانقياد فقط.

قوله: **(لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا)**
القدر سِرُّ الله في خَلْقه؛ فلا يجوز لك أنْ تَبْحَث عن هذا، وقد فسَّرنا معنى هذا في الدرس الماضي، فأنت لمْ تُكَلّف بالبحث عمّا أخفى الله عنك؛ الواجب عليك أن تشغَل نفسك بما أمرك الله به.

قوله: **(وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أفاكا أثيما)**
يعني: عاد بما قال في القدر؛ أي: رجع في النهاية فيما قال في القدر **(أفّاكًا)** من الإفك الكذب **(أثيمًا)** من الإثم، يكذب فيما يقول ويدّعي بأنّه سلّم نفسه لهواه، ونَظَر إلى الأمر بعقله الذي لا يُمْكِنُهُ أن يُدرِك هذه الأمور الغيبية إلا بالتسليم، وهو لم يُسَلِّم.

قال: **(والعَرْشُ والكُرْسِيُّ حَقٌّ)**
هذا مَبْحَثٌ آخر؛ مبحث العَرْش والكُرسي.
(العَرْشُ) في لغة العرب هو سرير المُلْك، وعَرْشُ الله تبارك وتعالى فسَّرَه العلماء.

قال ابن كثير رحمه الله: (هو سرير ذو قوائم تحْمِلُه الملائكة وهو كالقُبَّة على العالَم وهو سَقْفُ المَخْلوقات)؛ هذه أوصاف وردت في أحاديث صحيحة، وبعضها في كتاب الله تبارك وتعالى.

وهو عَرْشٌ عظيم يحمِلُه ثمانية من الملائكة؛ فهو مَخْلوق من مَخْلوقات الله سبحانه وتعالى، وهو أعلى المَخلوقات.

وأمّا **(الكُرسيّ)** فجاء في الأَثَر عن ابن عباس أنه مَوضِعُ القَدَمين.

ورُوِيَ في رِواية ضعيفة عن ابن عباس رضي الله عنه: أنّ الكُرسيّ هو العِلْم؛ وهذا خطأ.

والله سبحانه وتعالى استوى على عَرْشِه {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:5].

والعَرْشُ هو ما وصفنا لك، لا كما يقوله أهل البِدَع بأنّ العَرْش هو المُلْك؛ فهذا الكلام باطل، العَرْش مَخْلوق {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود:7]، {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة:17]، {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [غافر:7]؛ هذا عَرْشٌ مَخْلوق تَحْمِله الملائكة، والرحمن تبارك وتعالى استوى عليه.

وجاء في الحديث: "فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الجنة، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ"؛ فهو فوقَ جميع المَخلوقات، الفِرْدَوس هو أعلى الجِنان، وفوقه عَرْشُ الرحمن؛ فلا يَصِح تفسيره بالمُلك مع كل هذه الأوصاف التي ذُكِرت.

قال: **(وهوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العَرْشِ وما دُونَهُ)**

أي: أنّ الله سبحانه وتعالى استوى على العَرْش نَعَم؛ لكن لا لِحاجَتِه إلى العَرْش؛ فالله سبحانه وتعالى مُسْتَغْنٍ عن العَرْش وعن كل شيء، بل هو تبارك وتعالى الذي يقوم على كل شيء؛ فهو غَنيّ عن العَرْش وما دون العَرْش، وجميع المَخْلوقات مُحتاجة إليه تبارك وتعالى {إِنَّ

اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر:41]؛ فهو الذي يُمْسِكْها تبارك وتعالى، وهو الذي يُمْسك العَرْش وجميع المَخْلوقات.

ولا تَقِس ما هو من صفات الله تبارك وتعالى على صفات خلقه؛ تُفَكِّر في عقلك مباشرة؛ استوى على العَرْش: علا وارتفع على العَرْش، البشر عندما يرتفعون على شيء يكونون مُحتاجين إلى الشيء الذي تحتهم؛ فتقيس هذا على هذا! القياس هنا ممنوع، ودائمًا ممنوع في حق الله سبحانه وتعالى، لا يوجد قياس، الأمور غيبية؛ تُسَلِّم بها كما وَرَدَت.

فنؤمن بعُلو الله على خلْقِه، وأنّه مُسْتوٍ على عرشه وانتهينا، لا نُناقِش ولا نُجادل في هذه الأمور.

قال: **(مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)**

قوله: **(محيط بكل شيء وفوقه)** يعني: مُحيط بكل شيء من خَلْقِه وفَوْق المَخْلوقات، إحاطَتُه بالأشياء تبارك وتعالى بعلمه، أمّا هو بذاته تبارك وتعالى؛ فمستوٍ على العَرِش؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ عِلْمُه في كل مكان وهو مُسْتوٍ على العَرْش، مُحيط بكل شيء بعِلمه، وفوقَ كل شيء بذاته تبارك وتعالى.

قوله: **(وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الإحاطة خلقه)** كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:110]؛ فأعْجَزَ الخَلْق أنْ يُحيطوا به.
نكتفي بهذا القدر اليوم. والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس السادس عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد ...

فمعنا اليوم الدرس السادس عشر من دروس شرح العقيدة الطحاوية.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَنقُولُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ اللهُ موسى تَكْلِيماً؛ إِيماناً وَتَصْدِيقاً وَتَسْلِيماً)**

هذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله؛ يقوله أهل السنة والجماعة؛ لأنّه جاء مَنْصوصًا عليه في كتاب الله؛ فقال الله تبارك وتعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء:125]، وقال: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء:164].

(الخُلَّة): هي كمال المَحَبة، والخُلَّة درجة من درجات المَحَبَة؛ وهي أعلاها وأكملها؛ فإنّ الله اتخذ إبراهيم خليلًا؛ نؤمن بهذا؛ يعني: نقوله ليس مُجَرَّد قول باللسان؛ بل هو قَول معه إيمان وتصديق وتسليم لِما نصَّ الله سبحانه وتعالى عليه؛ فنحن نقول هذا الذي ذُكِر في كتاب الله قولًا باللسان وتصْديقًا أيضًا به وتسليمًا وانقيادًا لأمر الله سبحانه وتعالى وتصديقًا لقوله.

قوله: **(إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)** ذكرنا الخُلَّة وهي من المَحَبَة وهي أعلى درجة من درجات المَحَبَة، فأهل السُّنة والجَماعة يؤمنون بهذا ويَعْتَقِدونه خِلافًا لأهل البِدَع؛ للعقلانيين؛ العقلانيون الذين يَتَعَبَدون بعقولهم وما أمْلَته عليهم عقولهم، لا ما جاء في كتاب الله وفي سنة

الرسول ﷺ، فنحن نَتَعَبَّد لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسُّنة، وهم يَتَعَبَّدون بعقولهم؛ وهذا الفَرْق بين السُّني والمُبْتَدِع.

قال الجَعْد بن الدِّرهم أحد أئمة المُبْتَدِعة ورأس من رؤوس العَقْلانيين: (بأنّ الله لم يَتَّخِذ إبراهيم خليلًا ولم يُكَلِّم موسى تَكْليمًا)، كما روى أهل العِلْم عن الأمير خالد بن عبد الله القَسري؛ خَطَبَ الناس يوم الأضحى؛ فقال: (يا أيها الناس ضَحُّوا تقبل الله ضحاياكم؛ فإني مُضحٍّ بالجَعْد بن درهم، إنّه زَعَمَ أنّ الله لم يَتَّخِذ إبراهيم خليلًا ولم يُكَلِّم موسى تَكْليمًا) ثم نَزَلَ فَذَبَحَه؛ قالوا: كان هذا منه بفتوى من علماء التابعين في زمنه، وقد أَحْسَنَ ما فَعَل.

ثم أخذ هذا المَذْهَب عن الجَعْد: الجَهْم بن صفوان، والذي تُنْسَب إليه طائفة الجَهْمِيَّة، أظهَرَهُ وناظر عليه؛ فقَتَلَه مُسْلِم بن أَحْوَز أمير خُرَاسان.

ثم انتقل ذلك إلى المُعْتَزِلة أتباع عمرو بن عُبيد، وظَهَرَ قولُهم في أثناء خِلافة المأمون، وتعرفون قصة الإمام أحمد، وما حَصَلَ مَعَهُ في وقت المأمون ومن خَلَفَه.

فأهل السُّنة والجَماعة يُثْبِتون صفة المَحَبة لله سبحانه وتعالى كما هي القاعدة عندَهم؛ من غير تَكْييفٍ ولا تَمْثيلٍ ولا تَحْريفٍ ولا تَعْطيل، فالمَحَبَة التي لله سبحانه وتعالى مَحَبّة تَليق بجلاله وعَظَمَتِه، ليست كَمَحَبَة المَخْلوقين، هم كعادَتِهم يقولون: إثبات هذه المَحَبة يَلْزَم منه التشبيه؛ فلا يُثْبِتونها لله سبحانه وتعالى ويُحَرِّفونها.

قوله: **(وَكَلَّمَ اللهُ موسى تَكْليما)** الله سبحانه وتعالى يَتَكَلّم كلامًا حقيقيًّا بحرف وصوت؛ هكذا يَعْتَقِد أهل السُّنة والجماعة.

و(**تكليمًا**) هذه جاءت مصدراً مؤكد للفعل، وهذا لا يمكن أن يكون مجازًا عند أهل اللغة؛ يقولون: إذا أوكِّد الفعل بمصدر؛ لا يكون مجازًا، فهذه الآية نص على أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم كلامًا حقيقيًّا بحرف وصوت؛ لذلك ضلَّل أهل العِلمِ من خالف في هذه المسائل.

هذا ما أراد المؤلف رحمه الله أنْ يُثْبِتَهُ في هذه المسألة.

ثم قال بعد ذلك: **(وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ على المُرسَلين، ونَشْهَدُ أَنَّهُمْ على الحَقِّ المُبينِ)**

قوله: (ونُؤمِنُ بالملائكَةِ والنَّبيِّنَ) قد تقدّم الكلام في هذا، فالإيمان بالملائكة والإيمان بالنبيين من أركان الإيمان.

وقد ذكرنا أن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله من أركان الإيمان، وفسَّرناه في كتب العقيدة التي تقدَّمت معنا.

و(**الملائكة**) ذكرنا أنهم عالم غيبي، خلقهم الله تبارك وتعالى من نور، خَلَقَهُم لعبادته وطاعته في أوامره التي يأمرهم بها، وهم يفعلون ما يؤمرون {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:6]، ولهم أجنحة ولهم أعمال موَكَّلون بها، وقد فصّلنا القول في هذا في "شرح العقيدة الواسطية".

و(**النَّبِيون**) جمع نبيّ، وقد تقدم الكلام في الفرق بين الرسول والنبيّ، ونحن نؤمن بالأنبياء جميعًا؛ هكذا أُمِرنا، وهكذا نَعْتَقِد كما قال الله سبحانه وتعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا

أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة:136]، لا نُفرّق بين الرُّسل، ولا نُفرّق بين الكُتُب.

وقوله: **(وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهم كانوا على الحَقِّ المبين)**

الإيمان بالله وملائِكته وكُتُبه؛ الإيمان بالكُتُب التي أنزلها الله على رسله لهداية الخَلْق، كما تقدَّمَ معنا في الآية السابقة؛ نؤمن بهذه الكُتُب.

من هذه الكُتُب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسله ما سمّاه لنا، فنؤمن به كما سمّاه الله سبحانه وتعالى لنا؛ كالتوراة التي أنْزَلَها على موسى، والإنجيل التي أنزلها على عيسى، والزَبور الذي أنْزَلَه على داود، وصُحُفُ إبراهيم؛ نؤمن بكلّ هذا، ولا نؤمن ببعضِها ونَكْفُر ببعضها كما أراد أنْ يفعلَ الكُفّار الذين لم يؤمنوا بما أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ؛ إذ قال الله سبحانه وتعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [البقرة:85]، فهذا الكتاب الواحد أرادوا أنْ يؤمنوا ببعضه ويكفروا ببعضه، كذلك الكُتُب؛ آمنوا ببعض الكُتُب وكفروا بالبعض الآخر.

أما نحن؛ فلا نُفَرِّق بين هذه الكتب؛ بالإيمان بها، وإن كانت هذه الكُتُب منسوخة والاتباع يكون للقرآن؛ ولكن نؤمن بأنها مُنْزَلة من عند الله على رسله؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى ذكر لنا هذا في كتابه، وذكره لنا النبيّ ﷺ في سُنَّته.

هذه الكُتُب نؤمن بها إجمالًا، ونُؤمن بما سمّى الله سبحانه وتعالى تفصيلًا، وكما ذكرنا لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، سواء من الأنبياء أو من الكُتب {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء:150-152]، فالواجب الإيمان بالرُّسل وما جاء مع الرُّسُل من الكُتُب؛ الواجب الإيمان بكل ذلك.

قوله: **(ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين)** يعني الرُّسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى كانوا على الحقِّ البَيِّن الواضح، وهذه الشهادة مأخوذة من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد بيَّن لنا هذا وأمرنا بالإيمان به؛ فلذلك نحن نؤمن به، قال الله سبحانه وتعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} [البقرة:285].

وقد قال الشّارح رحمه الله هنا بعد أنْ ذَكَرَ أصول الإيمان وأركانه؛ قال: (فهذه الأصول التي اتَّفَقَت عليها الأنبياء والرُّسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرُّسل، وأمّا أعداءهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البِدَع؛ فهم مُتَفاوتون في جَحْدِها وإنكارِها، وأعظَمُ الناس لها إنكارًا الفلاسفة المُسَمَّون عند من يُعَظِمُهُم بالحُكَماء، فإنّ من عَلِمَ حقيقة قولِهِم؛ عَلِمَ أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر ..... إلى آخر ما قال رحمه الله).

قال المؤلف رحمه الله: (وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، ما دَامُوا بِما جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ ما قَالَهُ وَأَخْبَرَ بِهِ مُصَدِّقِينَ)

قوله: **(أهل قبلتنا)** يعني: الذين يَتَوَجَّهون إلى القِبلة- إلى الكعبة في مكة- في صَلاتِهِم؛ هؤلاء هم أهل قِبْلَتِنا؛ نُسَمِّيهم مُسلِمين، مَنْ نَطَقَ الشهادتين مُؤمِنًا بهما واستقام عليهما؛ فهو مُسْلِمٌ؛ نُسَمِّيه مُسْلِمًا.

(مُسْلِمِين مُؤمِنِين) هل مَقصود المؤلف هنا التفريق بين الإسلام والإيمان لمّا قال: (مُسْلِمِين مُؤمنين)؟ أم مُراده أَمْرٌ آخر؟

المُهم أنّنا نشهد لمن أظهر لنا الإسلام أنّه مُسْلِم، مَنْ نَطَقَ بالشهادتين وأَظْهَرَ لنا الإسلام وصَلّى إلى قِبْلَتنا؛ نشهد أنّه مُسْلِمٌ في ظَاهِرِ حاله، وحقيقة أَمْرِه عند الله سبحانه وتعالى، لَسْنا نحن من نَعْلَمها؛ إنما يَعْلَمها الله سبحانه وتعالى، فنحن نُعامل النّاس بما أَظْهَروا لنا، وحقيقة أمرِهم يحاسبهم الله سبحانه وتعالى عليها.

وقد قال عمر رضي الله عنه: (إنّ أُناسًا كانوا يُؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ)؛ فبعض النّاس في عهد النبي ﷺ كانوا مُنافِقين يُظهِرون الخير ويُبْطِنون الشّر، ولكن كان يَنْزِل الوحي؛ فيَفْضَحهُم ويُبَيِّن أَمْرَهَم.

قال: (إنّ أُناسًا كانوا يُؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ) أي: أنّ الله سبحانه وتعالى يُنْزِلُ الوحي؛ فيفضَح أمرَهم لنبيّه ﷺ، قال: (وإنّ الوَحْيَ قد انقطع)؛ هكذا يقول عُمَر رضي الله عنه؛ (وإنّ الوَحي قد انقطع، وإنّما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم)؛ هكذا نُعامل الناس بناءً على ما أَظْهَروا لنا، قال: (فَمَن أَظْهَرَ لنا خيرًا أَمِنّاه وقَرَّبناه، وليس إلينا من سَريرَتِه شيء) يعني: لا نُحاسِبُهُ على ما في قلبه وحقيقة أمره، الله سبحانه وتعالى هو يُحاسِبُهُ على ذلك أمّا نحن فنُعامِلُهُ بما أَظْهَرَ لنا؛ فمن أَظْهَرَ لنا الإسلام؛ أَكْرمناه واحترمناه وأَمِنّاه، ومَنْ أَظْهَرَ لنا سوءً؛ قال رحمه الله: (ومَن أَظْهَرَ لنا سوءً؛ لمْ نَأْمَنه ولمْ نُصَدِّقه، وإن قال: إنّ سريرته حسنة) حتى وإنْ قال أنا في الداخل مؤمن وطيِّب، لكنَّه أَظْهَرَ لنا شرًّا؛ فنُعامِلُهُ بما أَظْهَرَ لنا، لا علاقة لنا بسريرته، هذه السريرة الله سبحانه وتعالى هو الذي يُحاسب عليها خَلْقَه؛ لأنّه هو الذي يَعْلَمُها أما نحن فلا نَعْلَمُها، ونحن مَأمورون أنْ نُعامل الناس بما أَظْهَروا

لنا، وهكذا كان النبي ﷺ يُعامل الناس، حتى المُنافِقين؛ كان يُعامِلَهم على أنَّهم مُسلمون مع أنّهم في الحقيقة مُنافقون؛ كي يُعَلِّمنا أنْ نُعامل الناس بهذا.

وهذه كلمة عمر وهي قاعدة؛ فمن أظْهَرَ لنا الإسلام؛ عامَلْناه على أنّه مُسلم مؤمن مُصدِّق في ظاهر حاله، حتى لو صَدَرَ منه مُخالفة ومَعْصِيَة، لو صَدَرَ منه بعض المعاصي ولو كانت من الكبائر، إنّ هذا عند أهل السُّنة والجماعة لم يخرج من الإسلام بالمَعْصية، وهذا فارق بين أهل السُّنة والخوارج؛ فالخوارج يُكفِّرون أهل القِبلة بغير مُكفِّر؛ يُكفِرونهم بالكبائر أو ببعض الكبائر، أمّا أهل السُّنة والجماعة؛ فلا، المُسْلم عندنا الذي يُصلي إلى قِبْلَتِنا ويَشْهَد الشهادتين؛ نُعامله مُعاملة المُسلمين، ولا نَحْكُم عليه بالكُفْر إلا إذا ارْتَكَبَ مُكَفِّرًا عند أهل السُّنة والجماعة هو مُكَفِر؛ هذا فَرْق بين أهل السُّنة والجماعة والخوارج.

الخَوارِج يُكَفِّرون بالكبائر، ويُخْرِجون بها من المِلَّة، ويَعْتَقِدون أنّ صاحبها في النار وأنّه مُخَلَّدٌ فيها.
والمُعْتَزِلة يقولون في صاحِب الكبيرة إنّه في مَنْزِلة بين المَنْزِلَتين؛ فلا هو مُسلِم ولا هو كافر؛ فهو في مَنْزِلة بين المَنْزِلَتين، فأثبتوا مَنْزِلة جديدة مُحْدَثة، ولكنّهم يقولون: إذا مات على ذلك؛ فهو مُخَلَّد في نار جَهَنَّم، فمن حيث الاسم؛ خالَفوا فيه الخَوارِج؛ الخَوارِج يُسَمونه كافراً وهم لا يُسَمونه كافرا، ومن حيث الحُكم؛ حكموا عليه بالخلود في النار فوافقوا الخَوارِج في هذا.
أمّا المُرْجِئة؛ فهؤلاء يقولون: لا يَضرُّ مع الإيمان معصية، فإذا آمن العَبْدُ؛ يكون مؤمنًا كامل الإيمان وإنْ فعل ما فعل من المَعاصي؛ المهم: الاعتقاد القلبي فقط؛ هذا مذهب المُرْجِئة وهو مَذْهَبٌ فاسد.

وأهل السُّنة والجماعة وسط بين الطرفين؛ يقولون: المسلم الذي يَشْهَد الشهادتين والذي يَسْتَقْبِل قِبلة المُسْلِمين في صلاته؛ هذا مُسْلِم ولا يَخرُجُ من الإسلام بارتكاب مَعْصِية من المَعاصي ما لم تَكُن كُفرًا عندهم، ومُرتكب الكبيرة عِندهم مُؤمن لكنه ناقص الإيمان، فالإيمان عندهم يزيد وينقص؛ ليس فقط باعتبار ما في القلب؛ بل أيضًا باعتبار عمل الجَوارح.

يوجد بعض المُرْجئة يقولون الإيمان يزيد ويَنقص بناء على أعمال القلوب، لكن عند أهل السُّنة والجماعة الإيمان يزيد ويَنْقُص بعمل القلب، وأيضًا الإيمان يزيد ويَنْقُص بأعمال الجَوارِح؛ فأهل السُّنة عندهم تلازم بين الظاهر والباطن؛ لأنّ النبي ﷺ قال: "أَلا إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ؛ صَلَحَ سائر الجَسَدُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ؛ فَسَدَ سائر الجَسَدُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)؛ فيوجد تلازم بين الظاهر والباطن عند أهل السُّنة، لا يُمْكِن أنْ يَتَخَلَّف، إذا زاد هذا؛ زاد هذا، وإذا نقص هذا؛ نقص هذا، وإذا زال هذا؛ زال هذا؛ فهو مُلازم له زيادة ونُقْصانًا، وُجودًا وعَدَمًا.

فلا يُمكن أن تقول: الإنسان يبقى مؤمنًا في قلبه ولا يَعْمل أيَّ عمل من أعمال الجوارح؛ هذا مستحيل؛ يوجد تلازم بين الظاهر والباطن بناءً على هذا الحديث؛ هذه عقيدة أهل السُّنة والجَماعة.

قوله: **(مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ)**

لأنّ من جَحَدَ وكَذَّبَ بما جاء به النبي ﷺ؛ هذا لا يكون مؤمنًا، فلأجل أنْ يكون مؤمنًا؛ لا بُدَّ أنْ يكون مُعْتَرِفًا بما جاء به النبي ﷺ، ومُصَدِّقًا لخبر النبي ﷺ، فمن مُقْتَضى شهادة أنّ محمدًا رسول الله؛ ﷺ تَصْديقه فيما أخبر، والإيمان والتسليم والاتباع له عليه الصلاة والسّلام، والانقياد لأمر الله ولأمر رسوله ﷺ.

ولا يَقْتَصِرون فقط على الاعتراف والتصديق؛ بل لا بُدّ من عمل.

إذن فهو يُقِرُّ بلسانه ويُؤمن بقلبه ويَعْمل بجوارحه، ما دام على هذا الحال؛ فهو مُسْلم مُؤمن.

نكتفي بهذا القدر اليوم والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس السابع عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح "العقيدة الطحاوية"؛ وهو الدرس السابع عشر.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَلَا نَخُوضُ فِي اللَّهِ، وَلَا نُمَارِي فِي دِينِ اللهِ)**

(الخوض في الله) المقصود أنْ تتكلم في ذات الله وفي أسمائه وصفاته؛ تَخوض في الأمر، تتكلم فيه وتُناقِش وتُجادِل.

والخَوْض في هذه المَسائِل- الأمور الغيبية- خَطير، كان السَّلَف رضي الله عنهم يتكلّمون في هذه القضايا بما ورد في الكتاب أو في السُّنة؛ لأنه أمر غيبي، وهذا الأمر غيبي يَعْلَمُه الله سبحانه وتعالى، فالذي أعلَمنا به وأخبَرَنا به؛ نؤمن به ونتكلم فيه ونُقَرِّرُه، أمّا غير ذلك؛ فنَسْكُت عنه؛ هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة ومنهج السَّلف الصالح رضي الله عنهم؛ لأنهم أهل ورع، أهل تقوى، يَبْتعدون عن الكلام في هذه المسائل الخطيرة، ومسائل العقيدة؛ وهي أعظم العَقائد.

العقائد في الله سبحانه وتعالى وفيما يستحقه تبارك وتعالى؛ يَتَكَلَّمون فيها بالنُّصوص، ويتأدَّبون مع الله، ولا يَتَجاوزون ذلك.

أما أهل البِدَع؛ فيَتَكَلَّمون في الله بكل جرأة؛ لأنّ الوَرَع في قلوبهم ضعيف، التقوى ضعيفة، بعض أهل الكلام ما كان يُصَلي، والذي يَسير في هذا المَسْلك لا يكون عنده من تقوى الله سبحانه وتعالى ما يَزْجُرُه عن هذا؛ فيتَكَلَّمون بالهوى {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا

تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} [النجم:٢٣]، والهُدى؛ هو الموجود في الكتاب والسُّنة.

إذن الواجب هو الوقوف مع أدلة الكتاب والسُّنة في الله تبارك وتعالى؛ فنُؤْمن بأسمائه وصفاته التي وردت في الكتاب والسُّنة ولا نتلكم في شيء لم يَرِدِ في الكتاب ولا في السُّنة، ولا نُحَرِّف النصوص الشَّرعية عن ظاهرها ونأتي لها بمعانٍ من عِنْدِنا، ونَحْكُم عليها بعقولنا القاصِرة كما فعل أهل الكلام.

وهذا ما يُريده المؤلف؛ يُريد أن يُحَذِّر من طريقة أهل الكلام في الله تبارك وتعالى.

قوله: **(وَلَا نُمَارِي فِي دين الله)** المُماراة هي المُجادلة والمُخاصَمة؛ أَخْذٌ ورَدّ، فهذا يُوقع في الزَّلَل والخَطأ، ويُعَرِّض القلوب للشُبُهات؛ فَتَزيغ وتَنْحَرِف، دين الله ليس محلًا للخصومَة والجَدَل؛ لأنّ الدِّين يُؤخذ من قال الله وقال رسول الله ﷺ، فما وَرَدَ فيه نصوص شرعية مُحْكمة؛ انتهى الأمر فيه لا يَتَّسِع للمُجادَلة والمُخاصَمة، خصوصًا مسائل العقيدة هذه؛ كُلّها الواجب فيها الاتباع وليسَت هي لمن غَلَب في المُخاصَمة والمُجادَلة.

ربما يَغْلِب صاحب حق، وربما يَغْلِب صاحب باطل إذا كان صاحب لسان ويستطيع أنْ يُقَلِّب الكلام ويُلَبّس وصاحِب شُبُهات، ويكون صاحب الحق أمامَه ضعيفًا، ما عِنده قدرة عِلْمية كافية؛ فيَغْلِب صاحب الباطل؛ فهل نتَّبِعُه؟

كما قال الإمام مالك رحمه الله لمّا جاءه أحد أهل البِدَع وأراد أنْ يُخاصِمَه؛ فقال: إنْ غَلَبتني؟ قال: تتبِعُني، قال: وإنْ جاء ثالث وغَلَبَنا؟ قال: نَتّبِعُه، قال: ونبقى نتَنَقَّل من دين إلى دين! أنا على يقين من ديني، اذهب إلى شاكٍّ مِثْلِك وجادِله.

فما كان السَّلَف رضي الله عنهم يفتحون المَجال للمُجادَلة والمُخاصَمة في دين الله سبحانه وتعالى أبدًا، ولا يَتَكَلّمون في الأمور الغيبية إلَّا بالنصوص الشَّرعية؛ هذه قاعدة عندنا هنا.

قال: **(وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ وَنَشْهَدُ أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمين، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمين؛ فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلينَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ تعالى، لا يُساويهِ شَيءٌ مِنْ كَلامِ الْمَخْلوقينَ، ولا نَقولُ بِخَلْقِهِ، ولا نُخالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ)**

قوله: **(وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ)** لَسْنا بحاجة للجِدال في القُرآن، المُخاصَمة والمُجادَلة مع المُخالِف في القُرآن لا نَحْتاجه؛ لأنّ النُّصوص واضِحة ومُحْكَمة في أنّ القُرآن كلام الله ليس مَخْلوقاً؛ فَنَشْهَد أنّه كلام الله تبارك وتعالى، وأنَّه غير مَخْلوق، وقد عَلِمنا أنّ الله يَتَكَلَّم كلامًا حقيقيًّا بحرف وصوت؛ كلامًا يَليق بِجلاله وعَظَمَتِه تبارك وتعالى، وليس ككلامِ المَخْلوقين، ويَسْمَعُهُ منه من شاء؛ سَمِعَه منه موسى عليه السّلام، وسَمِعَهُ جبريل؛ سَمِعَ من الله سبحانه وتعالى كلاماً؛ هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة من عهد النبي ﷺ وعَهْد الصحابة إلى يومِنا هذا؛ كلهم متفقون على أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن زَعَمَ أنّه مَخْلوق؛ فهو كافر؛ وقد تَقَدَّمَ القَول في هذه المَسألة.

قوله: **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)**

(الروح الأمين) هو جبريل، وسُمِيَ (روحًا)؛ لأنّه حامِل الوَحي الذي به حياة القلوب إلى الرُّسل من البَشَر صلوات الله عليهم، وسُمِيَ (أميناً) لأنّه مُؤتَمَن، قال الله تبارك وتعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء:١٩٣].

قوله: **(فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ محمدا صلى الله عليه وآله وسلم)** يعني فعَلَّمه جبريلُ؛ علّم النبي ﷺ القرآن، وجاء في الحديث أنّ جبريل كان يأتي للنبي ﷺ فيُدارِسه القرآن في كل ليلة.

قوله: **(وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى)** تَكَلَّم الله سبحانه وتعالى به حقيقة، وسَمِعَه منه جبريل، وبَلَّغه جبريل إلى النبي ﷺ.

قوله: **(لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ)** لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يُماثِلُهُ شيء من خلقه لا هو ولا صِفاته أيضًا، والقُرآن كلام الله سبحانه وتعالى؛ فهو صِفة لله سبحانه وتعالى؛ فلا يُساويه شيء؛ فهو من كلام الله سبحانه وتعالى؛ فهو أعظم.

قال: **(وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نخالف جماعة المسلمين)** أي: لا نقول القرآن مَخْلوق كما تقول الجَهْمِية؛ هذا قَول كُفرٌ، وقد نصَّ غير واحد من عُلماء السَّلف رضي الله عنهم أنَّهم قالوا: من قال القرآن مَخْلوق فهو كافِر؛ لأنّ إجماع العُلَماء على هذا؛ فنحن لا نقول بأنّه مَخلوق لأنَّ علماء السلف أجمعوا على أنّه ليس مَخْلوقًا، فمن قال بأنَّه مَخلوق؛ فقد خالَف إجماعَهُم.

قال: **(وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ؛ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ)**

عقيدة أهل السُّنة والجَماعة في هذه المَسْألة: أنّ المُسْلِمَ الذي يُصَلي إلى القِبلة؛ لا يَخْرُج من الإسلام بالذنوب التي هي دون الشرك والكُفر؛ الكبائر التي لا تَصِل إلى حد الكُفر والشِّرك؛ هذه لا يَكْفُرُ بها المُسْلِم؛ هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

وهذا معنى قول المؤلف، والذي أراده المؤلف بقوله (وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ).

نقول: لا نُكَفِّر أحدًا من أهل القِبلة بكل ذنب؛ لأنّ من الذنوب ما هو كُفْر؛ ثبت في الكتاب والسُّنة أنّه كفر؛ كالذي يَسُبُّ الله، والذي يَسْجُد للصَنَم، والذي يَذْبَح لغير الله قُرْبةً؛ هذه ذنوب لكنَّها مُكَفِّرة، وليس هذا مُراد المؤلف؛ إنما مُراده: أننا لا نُكَفِّر بالكبائر كما تَفْعَلُه الخَوارج؛ كبائر الذنوب لا يَكْفُر بها المُسْلِم إذا لم تَكُن من المُكَفِرات والشِّركِيّات عند أهل السُّنة والجَماعة.

قال: **(ما لم يَستَحِلَّه)** ما لم يَعْتَقِد أنَّه حلال؛ هذا معنى الاستحلال.

معنى الاستحلال: أنْ يَقول هو حَلال؛ كالذي يَسْتَحِل الخَمْر أو الربا أو الزنا أو ما شابه، يقول هذه حلال ليست حرامًا؛ فهذا كافر، هذه وإن كانت من الكبائر وليست مُكَفِرات

لكن الاستحلال كُفْرٌ، وهذا مُكَذِّب لِما وَرَدَ في الكتاب والسُّنة من تحريم هذه الأشياء، فالاستحلال كُفْرٌ بالاتفاق.

لكن إذا لَمْ يَعْتَقِد أنَّها حلال وفَعَلَها؛ لا يَكْفُر عند أهل السُّنة والجماعة.

هذا فَرْق بين أهل السُّنة والجماعة وبين الخَوارِج؛ الخَوارِج والمُعْتَزِلة يُخالِفون أهل السُّنة في هذا؛ الخَوارِج يقولون: هو كافِر، والمُعْتَزِلة يقولون: هو في مَنْزِلة بين المَنْزِلَتين؛ يعني: لا هو مُسْلِم ولا هو كافِر، فجاؤوا ببدْعَة جديدة، لكن الجميع- الخَوارِج والمُعْتَزِلة- يقولون هو مُخلَّد في نار جَهَنَّم.

والمؤلف أراد أنْ يُؤَكِّد أنّ هذه عقيدة أهل السُّنة والجَماعة، وهي تُخالِف عقيدة الخَوارِج والمُعْتَزِلة.

قال: (وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ)

كما تقولُهُ المُرجِئة.

فالفِقْرة الأولى ردَّ فيها على المُعْتَزِلَة والخوارِج الذين يُكَفِّرون بالكبائر، وهذه ردَّ فيها على المُرْجِئة؛ لأنّ هذا الباب- باب الإيمان- فيه إفراطٍ وتَفْريط؛ فالخوارج والمُعْتَزِلة من جهة، والمُرْجِئة من جِهَةٍ أخرى.

هؤلاء المرجئة قالوا: (لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لمن عمله) يعني: من زنا وسَرَق؛ لا يَضُرُّه هذا بما أنَّه مؤمن بقَلْبِه.

هؤلاء المُرْجِئة يقولون: الإيمان اعتقاد، أو اعتقاد وقول، بعْضُهُم يَقول: هو المَعْرِفة فقط، وبَعْضُهم يقول: المَعْرِفة والتَّصديق، وبَعْضُهم يقول: التَّصديق مع القَول؛ لكنَّهُم يَجْتَمِعون جميعًا في اعتقاد أنّ أعمال الجَوارِح غير داخِلة في الإيمان؛ أي: ليست من الإيمان.

وجُمْهور المُرْجِئة يقولون: أنّ المُؤمن إيمانه كامل، وإنْ فَعَلَ ما فَعَل من الذنوب؛ عندَهُم إيمانُه كإيمان جبريل وإيمان النبي ﷺ؛ إيمان واحد في درجة واحدة لا يَتَفاوت، وأنَّ مَن آمن؛ فهو مُؤمن، وإن فعل ما فَعَلَ من الذنوب؛ لا تُؤثِّر على إيمانه؛ فهو في الجَنَّة، بما أنّه مُصَدِّق بقلبه؛ فهو مُؤمن كامل الإيمان.

هؤلاء خَطَرُهم عظيم وقولهم هذا شديد الخطورة؛ لأنّه يُؤدي إلى الزُّهد في الأعمال وتركها وعدم المُبالاة بها، أنا مُؤمن؛ انتهى الأمر، فيه بعض الشبه بعقيدة بعض النصارى اليوم، يَفْعَل ما يُريد من الفِسْق والمُجون والإجرام، ثمّ يَذْهَب إلى قِسيسِه ويَعْتَرِف عنده بالذنوب؛ فيَغْفِر له وانتهى الأمر، هذا القَول يؤدي إلى هذا؛ فيَجِب الحَذَر؛ فهو خَطِر يؤدي إلى إبطال الشريعة.

قال: **(وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ ولا نُقَنِّطُهُمْ)**

قوله: **(وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ)** يعني: نرجو هذا ونَعْتَقِدُه؛ أنّ الله سبحانه وتعالى يُدْخِل المُحسنين أهل الإيمان الجَنَّة.

لكنّ المُحْسِنَ من مات على الإيمان بظاهر أمرِه بالنسبة لنا، نرجو له ذلك ولا نَجْزِم بهذا؛ لأننا لا ندري علامَ خُتِمَ له؛ لكننا نرجو له ذلك.

قوله: **(وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ وَلَا نشهد لهم بالجنة)** يُريد أنْ يُقَرِّر المُؤلف عقيدة أهل السُّنة والجَماعة أننا لا نَشْهَدُ لمُعَيَنٍ بجنة ولا نار إلَّا إذا ورد عندنا دليل صحيح في ذلك.

مَن شَهِدَ له النبي ﷺ بالجنة؛ شَهِدْنا له بالجنة، ومَنْ شَهِدَ له بالنار؛ شَهِدْنا له بالنار، فأبو لهب في النار، وأبو بكر في الجَنَّة؛ وهكذا.

هذا الكلام عن الشخص المُعَيَّن؛ زيد من الناس، عمرو من الناس، أما على العُموم من دون أنْ نُعَيِّن؛ فنشهد أنّ أهل الإيمان في الجنّة، إنْ كان صاحِبَ ذَنْبٍ وهو مؤمن ومات على الإيمان ولكنّه صاحب ذنب؛ هذا نقول: أمره إلى الله، إن شاء عَذّبه على ذنبه وإنْ شاء غَفَرَ له؛ لكنّه في النهاية في الجنة.

أما إذا لمْ يَكُن صاحِبَ ذَنْبٍ؛ فهذا في الجنّة مباشرة، هذا حُكْم عام، ومَنْ مات كافِرًا؛ فهذا في النار، من مات يهوديًّا أو نصْرانيًّا أو مَجوسيًّا أو غير ذلك من مِلَل الكُفْر؛ هو في النار؛ بهذا نَشْهَد: المُسْلِم في الجنّة والكافِر في النار سواء كان يَهوديًّا أو نَصْرانيًّا أو غير ذلك.

ومن قال: لا أقول بأن اليهود والنصارى في النار بعد بِعْثة الرسول ﷺ؛ يعني: من مات يَهوديًّا أو نَصْرانيًّا بعد بِعْثة محمد ﷺ ولمْ يُؤمن به ولا بما جاء به؛ هذا في النّار، من قال إنّه ليس في النّار؛ هذا كافر؛ لأنّه مُكَذِّب بكتاب الله الذي فيه النصُّ على كُفْرِ أهل الكِتاب؛ قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة:٦]؛ هذا فيه نَص على أنّهم كفروا، وعلى أنّهم في نار جَهَنَّم خالدين فيها، وآيات أخرى دلّت على أنّ أهل الكِتاب في النّار ومُخَلّدون في النار؛ لأنّهُم لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ ولا بما جاء به، فمن كَذّبَ هذا؛ فهو كافر، من قال: اليهود والنصارى الذين وُجِدوا بعد بِعْثة محمد ﷺ ليسوا في النار، أو لا أدري هم في النّار أم لا؛ هذا كافِر، مَنْ لمْ يُكَفِّر الكافِر؛ فهو كافِر؛ هذه تنطبِق عليه.

ويجب الحَذَر من هذه العقيدة التي تنتشر اليوم بكثرة؛ لكثرة من يُرَوِّج لها من أهل الباطل، هذا حُكْمٌ عام؛ اليهودي والنَصْراني في النار، المَجوسي في النّار، لكن الحُكْمَ على الشّخص المُعَيَّن يَخْتَلِف.

هذا زيد من الناس، إذا كان يهوديًّا أو نَصْرانيًّا؛ فأنا لا أحكُم عليه بجنة أو نار كشخص مُعَيَّن؛ لأني لا أَعْرِفُ علام خُتِمَ له؛ على إسلام أم على كُفر؟ أمّا لو كُنْتُ أعلم أنّه مات على اليَهودية أو النَصْرانية؛ فأَشْهَد له بالنّار، لكنني لا أَعْلَمُ ذلك، لهذا من أعْلَمنا النبي ﷺ أنّه مات على الكُفر؛ نَشْهَد له بأنَّه في النار.

إذن الخلاصة: بشكل عام: كل من ليس مُسْلِمًا؛ فهو في النّار، وكل من هو مُسْلِمٍ مات على الإسلام؛ فهو في الجَنّة، أمّا الحُكْم على أشخاص معينين؛ فهذا على حَسَب ما وَرَدَ في الكِتاب والسُّنة؛ فلا نَشْهَد لمُعَيَّن بجنة ولا نار؛ لأننا لا نَعْلَم علام خُتِمَ له، أمّا من عَلِمنا بورود ذلك في الكِتاب أو في السُّنة؛ فنَشْهَد له بما عَلِمنا، فنَشْهَد لأبي بكر بأنّه في الجنّة، ونَشْهَد لعُمَر بأنّه في الجَنّة، ونَشْهَد لعثمان بأنّهُ في الجنة ...إلخ.

ونَشْهَد أنّ أبا لَهَبٍ في النّار، وأنّ أبا طالب في النار كما أخْبَرَ النبي ﷺ بهذا وكما جاء في كتاب الله.

قوله: **(ونستغفر لمسيئهم)** الكلام هنا عن أهل الإيمان؛ نستغفر لأهل الإيمان، نَسْتَغْفر له لأنّه مُؤمن، قال الله تبارك وتعالى: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد:١٩]، **(ونخاف عليهم)** نخاف عليهم من النار ومن العَذاب بذنوبهم، **(ولا نُقَنِّطُهُمْ)** لا نُقَنِطُهُم من رحمة الله؛ لا نَجْعَلَهُم ييأسون من رحمة الله، وإذا كان مُذنبًا؛ نذكر له أنّ الله غفور رحيم، وأنّه يَقْبَل التوبة، ولا نَفْعَل كالخوارِج والمُعْتَزِلة الذين يُقَنِّطون الناس من رحمة الله.

قال المؤلف: **(وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ القِبْلَةِ)**

من عقيدة أهل السُّنة والجماعة: الخَوْف والرّجاء؛ فيخافون الله سبحانه وتعالى- يَخافون عَذابه-، ويَرجون رَحْمَتَه، والمؤمن يَعْبُد الله سبحانه وتعالى بالحب والخوف والرجاء.

وقال أهل العِلم بأن هذه الثلاثة تكون كالطائر؛ رأس الطائر: الحُب؛ يُحِب الله سبحانه وتعالى، وجناحا الطائر: الخَوف والرجاء؛ فيَجْعَل المؤمن الخوف والرجاء في قلبه كجناحي الطائر، لا يَعْلو أحدهما عن الآخر؛ مُتوازِنان، قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} [الأنبياء:٩٠].

(رَغَبًا) رغبة فيما عند الله؛ يَرجون الله؛ أي: بالرجاء، و (رَهَبًا) خوفاً.

كذلك قال: {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [الإسراء:٥٧].

فأهل السُّنة يَعْبدون الله سبحانه وتعالى مَحَبة وخوفًا ورجاءً.

وبعض أهل الضلال كالصوفية؛ يقولون: نَعْبُدُ الله محبة فقط لا خَوفًا ولا رجاءً؛ وهذا باطل مُخالِف لِما أمَرَ الله سبحانه وتعالى به.

ذكر الله سبحانه وتعالى أنّ أهل الإيمان يَعبودنه خوفاً ورجاءً، وذَكَرَ لنا أدلة من الكِتاب يُخَوِفُنا بها، وأدلة أخرى يَدْعونا فيها إلى الرجاء؛ إلى الطَّمَع فيما عِنْده من خيرات؛ كي نَعْبُدَه خوفًا ورجاءً.

وعِبادة الله خوفًا فقط هي طريقة الخَوارِج، وعِبادة الله بالرجاء فقط هي طريقة المُرْجِئة، وأهل التوحيد أهل الإيمان يَجْمَعون بين الثلاثة كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه.

ويَدْعونا إلى أنْ يكون الخَوف مُعْتَدِلًا وأنْ يكون الرجاء مُعْتَدِلًا؛ لأنّ الخَوف إذا بالَغ به العَبْدُ وصَلَ إلى القُنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى؛ فصار كافرًا {إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف:٨٧]، وقال الخَليل عليه السّلام: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [الحجر:٥٦].

وكذلك الأمر في الرجاء، إذا بالغ العَبْد في الرجاء؛ وقع في الأمن من مَكْر الله {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف:٩٩]، فإذا أَمِنَ العَبْد من مَكر الله؛ وَقَعَ في المَحاذير.

ويقول أهل العلم: الأَمْنُ من مَكْر الله كُفْر؛ لذلك قال المؤلف هنا: (وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ).

قوله: **(وَسَبِيلُ الحق بينهما لأهل القبلة)** أي: يَعْبُدون الله حُبًا وخَوْفًا ورجاءً؛ هذه طريقة المُسلمين.

قال: **(وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ ما أَدْخَلَهُ فيهِ)**

كلام المؤلف هذا على طريقة المُرجِئة؛ قال: **(وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودِ ما أدخله فيه)** يعني: لا يَكْفُرُ إلا بالجُحود؛ وهذا قَوْل المُرْجِئة الذين يقولون الكُفْر هو الجُحود أو التَّكذيب؛ لأنّ الإيمان عندهم هو التّصديق، وهما نَقيضان لا يَجْتَمِعان، إذا كان مؤمنًا؛ فليس بكافر، وإن كان كافرًا؛ فليس بمؤمن.

والطريقة المُنْضَبِطَة في تعريف الكُفر أنْ تقول: هو نَقيض الإيمان، فإذا كان الإيمان عندك اعْتقاد وقَول وعمل- كما هو قَول أهل السُّنة والجماعة-؛ فالكُفر عندك: اعتقاد وقَول وعمل، وإذا كان الإيمان عندك هو التَّصديق- كقول المُرجِئة-؛ فالكُفر عندك هو التَّكْذيب؛ هذه عقائد مُتلازِمة.

لا يَصِح أنْ تقول: الإيمان هو اعتقاد وقَول وعمل، ثم تقول: الكُفر هو التَّكْذيب؛ هذا تناقُض وتَضارُب وتَخَبُّطٌ في العقيدة.

وقد وَقَعَ في هذا بعض من يَزْعُمُ أنّه سلفي، وأنّه على عقيدة أهل السُّنة والجماعة في الإيمان؛ فقال: الإيمان اعتقاد وقَول وعمل، وذَهَبَ يُقَرِّر بأنّ الكُفْر هو التّكذيب؛ الجُحود.

حتى المُرْجِئَة لا يقولون بهذا، وأهل السّنة لا يقولون بهذا؛ لأنّ هذه أقوال مُتناقِضة عند الجميع، فهو يقول بلسانه: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وقال في الكفر: هو التكذيب؛ لذلك عند تطبيقه؛ تَجِدُه يُطبِّق ما قاله في الكُفْر؛ قال الكُفْر: هو التَّكذيب؛ لذلك تجِده لا يُكفِّر إلا بالتكذيب؛ من يُقَرِّر هذا الكلام موجود.

والحَذَر من مثل هذه التناقضات؛ هذه خطيرة، فالمُرجِئ معروف أنّه مُرجِئ، والخارجي معروف أنّه خارجي، وكلامُهم يُدَرّس في كتب أهل العِلم فمن دَرَسَه؛ تَعَلّمه وعرَفَه، لكنّ التناقُضات هي التي تَمُرُّ على بعض طلبة العِلم؛ فلا يَنتبهون لمثل هذا التَناقُض.

الآن عند الكلام في الإيمان؛ يقول لك: اعتقاد وقول وعمل؛ فتَظُنه من أهل السُّنة، لكن عندما يأتي للكلام عن الكفر؛ يُقَرِّر بأنّ الكُفر هو الاستحلال أو أنّ الكُفْر هو التكذيب؛ يُقَيِّد الكُفر بالاستحلال، وعند التعريف يقول لك: الكُفر هو التكذيب أو الجُحود؛ هذا قَول المُرجئة في مسألة الكُفر والتكفير.

وهذا الذي ذكره المؤلف هنا ليس تناقُضًا من المؤلف؛ لأنّ المؤلف على عقيدة المُرجئة في مسألة الإيمان كما سيأتي إن شاء الله؛ فقَوله هنا مُتَناسِق ومُتوافِق مع قَوله في مَسألة الإيمان، إنما التناقُض حَصَلَ عند الجُهّال عند المتأَخِرين.

نواقِض الإسلام تكون بالاعتقاد والقَول والعمل؛ فيخرج العَبْد من الإيمان بالاعتقاد والقَول والعَمَل، وقد فَصَّلنا هذه المَسْألة في شرحنا على نواقِض الإسلام.

لذلك أردَفَ المؤلف رحمه الله قَولَه هذا بقولِه: **(والإيمانُ هُوَ الإقْرارُ باللسانِ والتَّصْدِيقُ بالجَنانِ)**

لاحِظ هنا **(والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجَنان)** هو هنا قَرَّر عقيدة المُرْجِئة؛ حَصَرَ الإيمان بالتصديق القلبي والقَول اللساني؛ وهي عقيدة مُرْجِئة الفقهاء.

يعني المؤلف ذكر أنّ عقيدته هذه ستكون على عقيدة أبي حَنيفة ومحمد بن الحسن وأبي يوسف فيما قال، وقد تقدَّمَ كلامُنا في بداية الكلام عن عقيدة هؤلاء الثلاثة وما هي.

المؤلف قرَّر عقيدة مُرْجِئة الفقهاء في قَولِه هذا والذي قَبْلَه، ونحن عَرَفْنا أنّ أهل السُّنة والجَماعة يقولون: الإيمان اعتقاد بالقَلب وقَوْل باللسان وعَمَل بالجوارح والأركان؛ على هذا أَجْمَعَ سَلَف الأمة رضي الله عنهم من أئمة الإسلام، وكلامهم كثير في هذا؛ يقولون الإيمان اعتقاد وقَوْل وعمل، الإيمان قَول وعَمَل؛ وهو نفس المعنى؛ فقولهم: قَول وعمل نفس معنى: الإيمان: الاعتقاد والقَول والعمل، وتفسيره وشرحه وتقريره موجود في كُتُب السَّلَف التي جَمَعَت عقائِد السَّلَف كـ "شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجَماعة" للالكائي، و"الشريعة" للآجري، و"الإبانة" لابن بطة، و"السُّنة" للخَلال، و"السُّنة" لعبد الله بن الإمام أحمد، وغيرها من الكتُب؛ ذكروا بأسانيدِهم عن أئمة الإسلام ما هو الإيمان؛ هذه عقيدة أهل السُّنة والجَماعة.

أما عقيدة المُرْجِئة؛ فاتفق المُرْجِئة جميعًا على إخراج أعمال الجَوارِح من مُسمى الإيمان، ثم اختلفوا بعد ذلك؛ منهم من قال: الإيمان هو المَعْرِفة، ومنهم من قال: هو التَّصديق، ومنهم من قال: هو التَّصديق مع القَول؛ مذاهِب عندهم، لكن أهل السُّنة والجَماعة على ما ذكرنا.

ويقول أهل السُّنة والجَماعة: أنّ الإيمان يَزيد ويَنْقُص.

ومن المُرْجِئة من قال: الإيمان قَوْل باللسان؛ وهؤلاء الكرّامية.

والجَهمية قالوا: مَعْرِفة بالقلب.

والأشاعرة وأكثر المُرْجِئَة؛ قالوا: اعتقاد بالقلب فقط.

ومُرْجِئة الأحناف كثير منهم- تَبَعًا لإمامِهم-؛ قالوا: اعتقاد بالقلب وقَول باللسان؛ وهذا الذي يُسَمونه بإرجاء الفُقَهاء.

فالمُرجِئة أربع طوائِف، أكثرها ضلالًا: الجَهْمِيّة الذين قالوا المَعْرِفة فقط.

قال أهل العِلم: على قَوْلِهم: إبليس يكون مؤمنًا؛ لأنّه عارف بقلبه.

وعلى قَول الأشاعرة- بأنّه تَصديق بالقَلب-: يكون أبو لهب وأبو طالب وأبو جهل وكثير من المشركين الذين جحدوا الإيمان بألسنتهم وصدّقوا بقلوبهم؛ يكونون مؤمنين كما قال الله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [البقرة:١٤٦]، وقال تعالى عن المُشركين: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام:٣٣].

هذه الأقوال باطلة، والأدلة في الكتاب والسُّنة كثيرة تدل على أنّ الإيمان اعتقاد وقول وعمل، ومنها قول النبي ﷺ:" الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"؛ فهذا الحديث فيه الاعتقاد والقَول والعمل، وسمّى الله سبحانه وتعالى الصلاة إيمانًا .

قال: **(وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ والبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ)**

كل ما صحّ عن رسول الله ﷺ، سواء كان حديثًا مُتواتِرًا أو حديث آحاد أو غير ذلك، المهم أنّه حديث صحيح عن النبي ﷺ من الشّرع- من الدين-، والبَيان؛ بَيانِه لشريعة الله ولدين الله؛ كلّه حق نؤمن به نُصدّقه ونتّبِعه {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧].

فالواجب العمل بكل ما جاء عن النبي ﷺ، ولا نُفَرِّق بينه كما فعل أهل الكلام الذين قالوا: نأخذ بالأحاديث المتواترة في العقيدة ولا نأخذ بأحاديث الآحاد فيها؛ فيأخذون بما وافق أهواءهم ويتركون ما خالَف أهواءهم؛ ما هكذا أُمرنا.

أُمرنا بالأخذ بكل ما جاء عن النبي ﷺ {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}؛ هذا الواجب في هذا. والله أعلم.

نكتفي بهذا الذي ذكرنا اليوم ونُكمل في الدرس القادم بإذن الله والله أعلم.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّة

الدرس الثامن عشر

الحمد لله رب العالمين وبعد:

فمعنا اليوم الدرس الثامن عشر من دروس شرح العقيدة الطحاوية.

وقفنا عند قول المؤلف: (وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَى، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَى)

هذه مسألة من مَسائل الإيمان، والمؤلف يُقَرِّر فيها عقيدة مُرْجِئة الفُقَهاء؛ الذين يقولون إنّ الإيمان اعتقاد وقَول، وأنّ النّاس لا يَتفاضَلون فيه؛ فهو في أَصْلِه واحد، الإيمان واحِدٌ لا يَزيد ولا يَنْقُص؛ هذه عَقيدَتُهم، فإذا صدَّقَ الإنسان بقلبه ونَطَقَ بلسانه؛ فهو مُؤمن، وهكذا النّاس جَميعًا؛ فهو شيء واحد عند الجميع؛ لا يَزيد ولا يَنْقُص؛ لأنّ الأعمال ليست من الإيمان التي هي سَبَب في زيادة الإيمان ونُقْصانِهِ.

أعمال القلوب وأعمال الجوارح

بعض المُرْجِئة يُدْخِلون أعمال القلوب في الإيمان، لكنّهم جميعًا مُتَّفِقون على أنّ أعمال الجَوارِح ليست من الإيمان؛ فلا مَعْنى لزيادة الإيمان ونُقْصانِه بسبب العمل؛ لذلك يَنْفون أنْ يَكون الإيمان يَزيد ويَنْقُص.

وأمّا أهل السُّنة؛ فعندَهم الإيمان يَزيد ويَنْقُص؛ لأنّ أعمال الجوارح من الإيمان، ولا شكّ أيضًا أنّ أعمال القلوب تَزيد وتَنْقُص؛ فيَزيد الإيمان ويَنْقُص بسببها، قال الله تبارك وتعالى: {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح:4]، {وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف:13]، {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ

اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم:76]، {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [التوبة:124].

والآيات بهذا المعنى كثيرة، وقد ساقَ الإمام البُخاري رحمه الله في "صحيحه" جُمْلةً منها، وذكر بعض الآثار التي تَدُلُّ على زيادة الإيمان ونُقْصانِه.

وجاء في الحديث في الريح الطيبة التي تأتي في آخر الزمان وتَقْبِض أرواح النّاس من أهل الإيمان؛ قال في الحديث: " فلا يبقَى أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذرة من إيمان إلا قَبَضَتْه"؛ إذن الإيمان يَتَفاوَت؛ فهذا عنده إيمان قَليل.

وكذلك قال عليه الصلاة والسّلام: "لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ".

إذن الإيمان يَتَفاوت وليسَ واحدًا، ويَزيد ويَنْقُص؛ هذه عقيدة أهل السُّنة والجَماعة، وقد تَكَلَّمَ السَّلَف رضي الله عنهم عن هذه المسألة وساقَ الآثار فيها: الآجري في "الشريعة"، واللالكائي في "شرح اعتقاد أهل السُّنة والجماعة"، والخَلال في " السُّنة"، وعبد الله بن الإمام أحمد في "السُّنة"، وغيرهم من علماء الإسلام؛ ساقوا الآثار السَّلَفية في هذا.

ومَسْأَلة زيادة الإيمان ونُقصانه مُتَفَرِّعة عن مَسألة أعمال الجوارح هل هي من الإيمان أم لا؟ هذا الأصل.

أهل السُّنة والجَماعة يقولون: الإيمان يَزيد ويَنْقُص، وكلما زادت الأعمال زاد الإيمان، وكلما نَقُصَت الأعمال نَقُصَ الإيمان.

أما المُرْجِئة فيقولون: الإيمان شيء واحد لا يَتفاضَل؛ لا يَزيد ولا يَنْقُص؛ لأنّه عندهم تَصديق.

قوله: **(وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ)** ليسوا سواءً؛ بل الإيمان يَتفاوَت ويَتَفاضَل النّاس فيه.

قوله: **(وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتُّقَى، وَمُخَالِفَةِ الْهَوَى، وَمُلَازِمَةِ الْأَوْلَى)** هذه عندَهُم ثِمار للإيمان وليست من الإيمان، والإيمان عِندَهُم لا تَفاضَل فيه بين النّاس؛ إنما التَفاضُل في هذه الأمور التي هي ثِمار.

لكن التَّفاضل في هذه لا يَكْفِي، بل التَّفاضُل في الأعمال؛ يَتَفاضَلون في الإيمان، في أعمال القلوب وفي أعمال الجوارِح؛ لأنّ أهل السُّنة والجَماعة عندهم تَلازُم ما بين الظاهر والباطن؛ أعمال القلوب وأعمال الجَوارِح مُتلازِمة؛ إذا وُجِدَ الإيمان القلبي؛ وُجِدَ الإيمان العَمَلي ولا بُدّ؛ وجدت أعمال الجَوارِح ولا بُدّ- إذا لم يَكُن هناك مؤثرات خارجية من إكْراه وما شابه-، وإذا زادَت هذه زادَت هذه، وإذا نَقُصَت هذه؛ نَقُصَت هذه، وإذا انتَفَت هذه؛ انتَفَت هذه؛ هكذا عقيدة أهل السُّنة والجَماعة؛ لقول النبي ﷺ: "أَلاَ إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ سائر الجَسَد ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ سائر الجَسَد، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ".

الآن تقرير عقيدة أهل السُّنة والجماعة في مسألة الإيمان صارت واضحة عندكم؛ الإيمان عند أهل السُّنة والجماعة: اعتقاد وقَوْل وعَمَل، الاعتقاد يَشْمَل: تَصديق القلب، ويشمل أعمال القلوب من المَحَبَّة والخَوف والرَّجاء والحياء وغير ذلك، والقَول؛ قول اللسان: النُّطق بالشهادتين، والعَمَل؛ عمل الجوارِح كالصَّلاة والصِّيام والحَج وإماطة الأذى عن الطَّريق والأمر بالمَعروف والنَّهي عن المُنْكَر..إلخ، وكذلك الذُّكر والتَّسبيح والتهليل، هذه وإن كانت باللسان؛ لكنَّها من عَمَل اللسان وهو داخل ضِمْن عَمَل الجَوارِح.

ويَخْتَصِر علماء السُّنة؛ فيقولون: الإيمان قَوْل وعَمَل، والمعنى واحد؛ يُريدون: القَول قَول القلب وقَول اللسان؛ قَوْل القلب: التَّصديق، وقَوْل اللسان: النُّطق بالشهادتين، والعَمَل:

عَمل القَلْب وعَمل الجَوارِح؛ فيَشْمَل كل ما ذُكِر من اعتقاد وقَول وعمل: شريعة الله سبحانه وتعالى- هذا الإيمان-، ويَزيد ويَنْقُص في عقيدة أهل السُّنة والجَماعة.

وبناءً على أنّ الأعمال- أعمال الجَوارِح- التي هي فارِقة ما بين أهل السُّنة والمُرْجِئة، بناءً على أنّ أعمال الجَوارِح من الإيمان؛ إذن يَجوز الاستثناء في الإيمان؛ فتقول: أنا مُؤمن إن شاء الله؛ لا بأس بهذا بناءً على أنني ما استكملتُ أعمال الجوارح فلذلك أَسْتَثْني، لا على الشَّك في الإيمان.

المُرْجِئة يقولون: بما أنّ الإيمان عندهم هو التَّصديق، فإذا استثنيت فمعنى هذا أنّك شَكَكْتَ في تَصْديقِك؛ فهنا تكون قد كَفَرت؛ فيقولون: لا يَجوز الاستثناء؛ لأنّ أعمال الجوارِح عندَهُم ليست من الإيمان حتى يَرْجِع الاستثناء عليها.

وبعض المُرْجِئَة جَوَّز الاستثناء؛ لكن على اعتبار العاقبة؛ يعني: يقول نعم يجوز أنْ تقول أنا مُؤمن إن شاء الله على أساس أنك لا تعرف ما الذي سَيُخْتَم لك به وما الذي سَتَلْقى الله سبحانه وتعالى عليه.

هذا المعنى صحيح؛ لكن ليس هو المُراد عند السَّلَف عندما نازعوا المُرْجِئة في هذه المسألة، وأنتم تَحذَرون ربما المُرجِئ يُسَلِّم لك بالاستثناء؛ لكن لا تُخْدَعْ معه، فهذا المعنى الذي يُريده.

هذا المعنى صحيح نحن لا نُنازِع فيه؛ لكنّ الإشكال أننا نُريد أنْ تُثبت الاستثناء بناءً على العَمَل؛ هذا الذي نُريده، والذي عليه أهل السُّنة والجَماعة، والذي كانوا يُنازِعون المُرْجِئة بناءً عليه.

هذه مَسألة الاستثناء؛ مَسألة زيادة الإيمان ونُقصانِه راجعة لمسألة أعمال الجَوارِح هل هي من الإيمان أم لا؛ هذا أصلها، وهاتان مَسْألتان مُتَفرِعتان عن هذا، وهذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة في هذه المَسْألة.

قوله: **(وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بالخَشْية)** الخشية من الله سبحانه وتعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر:28]، {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} [البقرة:150].

قوله: **(وَالتُّقَى)** أي التَّقوى، والتّقوى: أنْ تَجْعَل بينك وبين عذاب الله وِقاية.

قوله: **(وَمُخَالِفَةِ الْهَوَى)** تخالف هواك طاعةً لله ولرسوله {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النازعات:40]، {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} [القصص:50]، اتباع الهوى ضَلال وانحراف وقد حُذِّرنا منه.

واتباع الهوى معناه أنْ تَتَّبع ما تُحِبُ نفسك وما تهواه وما تَميل إليه حتى وإن خالَف شرع الله سبحانه وتعالى.

لكن أنت تُخالِف الهَوى وتمضي إلى اتباع ما جاء في كتاب الله أو في سنَّة رسول الله ﷺ.

قوله: **(ومُلازمة الأَولى)** المُحافظة على ما هو الأولى والأفضل والأحسَن والأكمل.

قال: النّاس يَتَفاضلون في هذا؛ نعم النّاس يَتَفاضلون في هذا ويَتَفاضلون في الأعمال كلها- أعمال الجوارح- لأنها من الإيمان؛ هذا مهم الآن.

إذن هذه الأشياء عندهم ليست من الإيمان، إنما الإيمان هو التَّصديق فقط؛ إذن لا تَفاضُل فيه، لكن التَّفاضُل في هذه الأشياء التي هي ثَمَرة فقط؛ هذه عقيدة المُرْجِئة؛ مُرْجِئة الفُقهاء الذين يقولون: الإيمان اعتقاد وقَول.

ومن الباطل القَول بأن الخِلاف بين أهل السُّنة والجماعة وبين مُرجِئة الفُقَهاء خِلاف لفظي؛ كيف يكون خِلافًا لفظيًّا وهم يُخالِفون كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ صراحة، ويقولون أنّ الأعمال ليست من الإيمان؟ كيف يكون لفظيًّا؟! ويترَتَّب على هذا ما ذكرنا من مَسائِل ويُخالِفوننا فيها، وهذا القَول باطِل وما يُبْنى عليه باطِل.

قال: **(والمُؤْمِنونَ كُلُّهُمْ أَوْلِياءُ الرَّحْمنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلقُرْآنِ)**

(الولِي)- ولِيّ الله- يعني حبيب الله {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس:62-63]؛ هذا هو تعريف الوَلِي، أولياء الله أحباب الله، الذين يُحِبهُم الله ويَنْصُرهم الله سبحانه وتعالى ويُؤَيِدُهم.

المؤمنون كلهم أولياء الله؛ لأنّ المؤمن بما أنّه مؤمن؛ فعِنْدَه قَدْر من الوَلاية {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس:63]، إذا كان يَتَّقي وعندَه قَدْر من التقوى وعنده أصْل الإيمان وعنْده أصل التَّقوى؛ فهذا وَلِي لله سبحانه وتعالى على قَدْرِ ما عِنْدَه من إيمان وتقوى.

والنّاس يتفاضَلون في هذا؛ فالإيمان يَزيد ويَنْقُص، فكلّما زادَ إيمانه، زادت تقواه؛ وكان أكثر قُرْبة لله سبحانه وتعالى، ووَلايَتَه لله سبحانه وتعالى أعظم.

فالنّاس يَتَفاوَتون في هذا بحسب الأعمال؛ فمِنهم المُقَرَّبون؛ وهؤلاء الذين يفعلون الفَرائض والمُسْتَحَبّات ويَجْتنِبون المُحَرّمات والمكروهات والذين يُسارِعون بالخَيرات.

والمُقْتَصِدون الذين يقْتَصِرون على أداء الفَرائِض ويَجْتَنِبون المُحَرَّمات ويَفْعَلون من النّوافل؛ كرواتب الصَلوات وما شابه كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} [فاطر:32]، وهم في الجُمْلة ما ذَكَرنا؛ فكل مؤمن هو وَلِي لله، عنْدَه شيء من تقوى الله سبحانه وتعالى؛ فهو وَلِي لله على حَسَبِ أعماله.

قوله: **(وأكرمهم عند الله أطوعهم)** هذا التَّفاوُت؛ أَكْرَمُ أولياء الله عند الله أطْوَعُهُم؛ أي: أَكْثَرُهم طاعة وأعْظَمُهُم امتثالًا للأوامر واجتنابًا للنواهي وأتْبَعُهُم للقرآن، وأكرمهم عند الله أطْوَعُهُم: أكْثَرُهم طاعة وقُربى لله سبحانه وتعالى.

قوله: **(وأتْبَعُهُم للقرآن)** لا شك أنّ الأكثر طاعة لله سبحانه وتعالى يكون أكثر اتباعًا للقرآن.

ما معنى الطاعة؟

تُطيع الله سبحانه وتعالى فيما جاء في كتابه وفيما جاء به نبيُه ﷺ؛ يعني فيما أنْزَلَه في كِتابه وفيما جاء به نبيُه ﷺ؛ هكذا تكون الطاعة؛ تَمْتَثِل أوامر الله وتَجْتَنب ما نهى الله عنه وتَتَقيد بشرع الله، وكلّما كان تَقَيُّدُك في ذلك أعظم؛ كلما كنت أفضل {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات:13].

قال: **(وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ من الله تعالى، وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ؛ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جاؤوا به)**

هذا الذي ذكره المؤلف هنا الإيمان بالأركان السِّتة- أركان الإيمان-؛ الإيمان بالله وبالملائكة وبالكتب وبالرّسل وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

يقول هنا **(وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ)** فسَّر الإيمان بهذا.

الإيمان والإسلام كلمتان إذا اجتمعتا افترقتا وإذا افترقتا اجتمعتا؛ معنى هذا: أنك إذا قُلْتَ: (زيد مؤمن وعمرو مسلم) هنا اجتمعتا في الذِّكر؛ فاختلَفَتَا في المعنى، فالإيمان هنا هو الإيمان القلبي- الإيمان الباطن-، والإسلام الظَّاهر.

طبعًا الإسلام الظَّاهر هذا لا يَنْفَع عند الله سبحانه وتعالى؛ إلا أنْ يكون معه الإيمان الباطن؛ وهو أصْلُه حتى يَنْفَع عند الله سبحانه وتعالى.

أما في الدُّنيا؛ فيُعامَل مُعاملة أهل الإسلام في ظاهر الحال؛ يُعامل مُعاملة المُسلم حتى وإنْ كان في حقيقة الأمر- في الباطن- لا إيمان عِنْدَه؛ كان منافِقًا، فيُطْلَق عليه أنَّه مُسلم ويأخذ أحكام الإسلام في الدنيا، أما عند الله سبحانه وتعالى؛ فلا يَنْفَعُه هذا، عند الله لا يكون الإسلام نافعًا إلا أنْ يكون عنده أصل الإيمان.

فإذا اجتمعت الكلمتان؛ افترقتا؛ يعني: يكون معنى الإيمان غير معنى الإسلام؛ الإيمان الباطن والإسلام الظاهر، كما جاء في حديث جبريل.

وإذا افترقتا اجتمعتا؛ يعني إذا قلت: (إن زيدًا مؤمن) فقط وسَكَت؛ هنا اجتمع معنى الإيمان ومعنى الإسلام في هذه الكلمة؛ الظاهر والباطن، والإيمان بالمعنى المُتَقَدِّم؛ فالإيمان يُطْلَق على معنيين؛ يُطْلَق الإيمان على الاعتقاد والقَول والعَمل؛ وهو الذي فسَّرناه سابقًا، ويُطْلَق على المعنى الخاص؛ وهو هذا الذي معنا الآن؛ الذي جاء في حديث جبريل؛ فَفَرَّق بين الإيمان والإسلام؛ فجعل الباطن إيمانًا والظّاهر إسلامًا، قال: " مَا الْإِيمَانُ؟، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وملائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قال: ومَا الْإِسْلَامُ؟، قَالَ: "أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"؛ تلك باطنة وهذه ظاهرة؛ فيُطْلَق الإيمان على المَعْنَيين.

المؤلف هنا يُريد المعنى الثاني، المعنى الأول تقدّم على أصولهم وفسَّرناه على أصول أهل السُّنة والجَماعة، وهذا المعنى الآن هو المعنى الثاني؛ وهو الخاص.

(الْإِيمَانُ بِاللَّهِ) يَشْمل الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبية الله، والإيمان بألوهيته، والإيمان بالأسماء والصِّفات؛ وقد تقدَّم شَرْح هذا كُلِّه.

(والإيمان بالمَلائكة) قد ذكرنا سابقًا معنى المَلائكة؛ وهم عالَم غيبي لا نَراه، خَلَقَهُم الله عزّ وجل من نور، جاء في "صحيح مسلم" أن النبي ﷺ قال: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ" وجَعَلَهُم طائعين مُتَذَلِلين له {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:6]، {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء:20]، وقال: {لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} [الأعراف:206].

ولكلٍ منهم وظائِف خَصَّه الله بها، نَعْلَم منها: وظيفة جبريل: مُوَكَّل بالوحي ويَنْزِلُ بالوحي من الله سبحانه وتعالى إلى الرُّسل، وإسرافيل: مُوَكَّل بنَفْخ الصور وواحد من حَمَلَة العَرْش أيضًا، وميكائيل: مُوَكَّل بالقَطْر والنَّبات، ومنهم المُوَكَّل بقبض الأرواح؛ وهو مَلَكُ المَوت وأعوانه، ومنهم المُوَكَّل بأعمال العِباد؛ وهم الكِرام الكاتِبون، ومنهم المُوَكَّل بحِفظ العَبد، ومنهم المُوَكَّل بالنار وعذابها؛ وهم مالك ومَن معه، ومنهم المُوَكَّل بفِتنة القَبر؛ وهم مُنْكَر ونكير، وهذا بعضهم، أمّا هم؛ فكثير.

ملك الموت موكّل بقبض الأرواح؛ فلا يُسمى عُزرائيل، فلا أصل لهذه التسمية في السُّنة؛ فهو مَلَك المَوت.

فنُؤمن بالملائكة؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أخبرنا بهم في الكِتاب وفي السُّنة، نحن لم نَرَهُم، لكنّ الله أخبرنا بهم؛ فهذا معنى الإيمان الغيبي: التَّسليم بما جاء عن الله تبارك وتعالى.

(وَكُتُبِه) أي: الكُتُب التي أنْزَلَها مع الرُّسل {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ} [الحديد:25]، قال أهل العلم: هذا يَدُل على أنّ كل رسول معه كتاب لكن لا

نَعْرِفُ كلّ الكُتُب؛ فنعرِف منها: صُحف إبراهيم وموسى التوراة، والإنجيل، والزّبور، والقرآن، فما أخبرنا الله سبحانه وتعالى به؛ آمنا به وصدّقنا وسلّمنا به.

(وَرُسُلِهِ) كذلك نؤمن برسل الله، وهم الذين أَوحى الله إليهم بالشّرائِع، وأَمَرَهُم بتبليغها، وأولُهم نوح وآخرهم محمد ﷺ {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء:163]، فنوح أول الرُّسل وآخِرُهم محمد ﷺ كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب:40]، وقال النبي ﷺ "لا نبيَّ بعدي".

(وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يوم القيامة، والآيات في القرآن كثيرة في ذِكْرِه {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء:136]؛ هكذا قال الله سبحانه وتعالى في كِتابه، {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة:177]؛ هذه آيات تَدُل على هذه الأصول، والسور المكية مليئة بذكر اليوم الآخر؛ لأنّ كُفار قُريش كانوا يُكَذِّبون به {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} [التغابن:7]، أمّا في السُّنة؛ فهذا أمر مُتَواتِر؛ أخباره كثيرة.

ومن أصول الإيمان أيضًا: الإيمان بالقدر؛ قال: **(وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)** قد تقدَّم القَول فيه.

قوله: **(وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ من الله تعالى)** وكل ذلك من الله سبحانه وتعالى وقد تقدّم الكلام في هذا.

(وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ) كل مسائل الاعتقاد التي ذَكَرَها نؤمن بها.

(لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) كما قال الله سبحانه وتعالى في كِتابه الكريم: {كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة:285].

(وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جاؤوا به) هذا من ضمن الإيمان بهم، ومن مُقْتَضاه: أنْ نُصَدِّقَهُم على ما جاؤوا به، فنُؤمن كذلك بكل ما جاؤوا به، إذن فيجب الإيمان بالرّسُل جميعًا وبكُتُبِهم أيضًا، ومن كَذَّبَ رسولًا واحدًا؛ فهو مُكَذِّب بالجميع، ومَن كَذَّب أيضًا بما جاء به رسول واحد؛ فهو مُكَذِّب كافر لا يَنْفَعُه إيمانه، فيجب الإيمان بجميع الرّسُل وبجميع ما جاؤوا به، لا يَقْبَل الله سبحانه وتعالى أنْ نُؤمن ببعض ونَكْفُر ببعْض، لا بالرّسُل ولا بما جاؤوا به؛ {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} [النساء:150-151].

فاليهود كفار يُكَذّبون بمحمد ﷺ، والنّصارى كُفار يُكَذِّبون بمحمد ﷺ، والذي يَزْعُم أنّ اليهود والنّصارى اليوم ليسوا كُفّارًا؛ فهو نفسه كافِر ومُكَذِّب بكتاب الله سبحانه وتعالى.

والآية التي يَسْتَدِلون بها ويُحاوِلون التلبيس بها على النّاس {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة:62] هذا قبل بِعْثة النبي ﷺ، أما بعد بِعْثة النبي ﷺ؛ فيقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} [البينة:6]؛ هذا حالُهم بعد بِعْثة النبي ﷺ، وقد قال عليه الصلاة والسّلام: "لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ولا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِمَا جِئْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ"، وقال الله سبحانه وتعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:85]؛ هذا بعد بِعْثة محمد ﷺ.

فالإسلام نَسَخَ كلّ ما قَبْلَهُ، وأَمَرَ الله سبحانه وتعالى الإنْس والجنّ واليَهود والنّصارى والمَجوس وغيرهم بأنْ يُؤمنوا بما جاء به النبي محمد ﷺ؛ أنْ يؤمنوا به وبما جاء به، ومَنْ لَمْ

يَفعل؛ فهو كافِر، وإِذا مات على ذلك؛ فهو مُخَلّد في نار جَهَنّم؛ يَجِب أنْ نَعْتَقِدَ هذا. والله أعلم، والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس التاسع عشر

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتَّقين؛ أما بعد:

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح العقيدة الطحاوية وهو الدرس التاسع عشر.

وصلنا عند قول المؤلف –رحمه الله-: (وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ في النار لا يُخَلَّدُونَ؛ إذا ماتوا وهُمْ مُوَحِّدونَ، وإِنْ لَمْ يكونوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقَوا اللهَ عارِفِينَ مُؤْمِنينَ، وَهُمْ في مَشيئَّتِهِ وَحُكْمِهِ، إنْ شاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ؛ كما ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ في كِتَابِهِ: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يِشَاءُ} [النساء: 48]، وَإِنْ شاءَ عَذَّبَهُمْ في النَّارِ بِعَدْلِهِ ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْها بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إلى جَنَّتِهِ، وذلكَ بِأَنَّ اللهَ تعالى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ في الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ؛ الذينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنالوا مِنْ وِلَايَتِهِ. اللهُمَّ يا وَلِيَّ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنا على الإِسْلامِ حَتَّى نَلْقاكَ بِهِ)

أولًا: يجب أنْ نَعْلَمَ أنّ أهل السُّنة والجماعة جميعًا على أنّ الذُّنوب تَنْقَسِم إلى كَبائر وصَغائر، وأنّها ليست في مرتبة واحدة، وهناك فَرْقٌ بين الكَبيرة والصغيرة؛ على هذا أهل السُّنة والجَماعة.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه "الداء والدواء": (فَصْلٌ: وقد دلّ القرآن والسُّنة وإجماع الصَّحابة والتابعين بَعْدَهم والأئمة على أنّ من الذّنوب كبائر وصَغائر، قال تعالى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [النساء:31]، وقال: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ

وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم:32]، وفي الصحيح عنه ﷺ أنّه قال: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر").

إذن بعد أنْ تَقَرّرَ هذا؛ نحن بِحاجة إلى معرفة الفَرْق بين الكبيرة والصغيرة، وقد أَحْسَنَ ابن تيمية رحمه الله القَوْل في هذه المَسألة، وكلامه موجود في "مجموع الفتاوى" (650/11) من أراده يَرْجِع إليه.

وخُلاصة ما ذكره: أنّ الكبيرة والصغيرة؛ الفرق بينهما: أنّ الكبيرة: ما فيه حَدٌّ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة.

أو قال: (كل ذَنْبٍ خُتِمَ بِلَعْنَةٍ أو غَضَبٍ أو نارٍ؛ فهو من الكبائر)؛ نفس المعنى هذا.

وقال أيضًا: (ومعنى قَول القائِل) يعني: هو نفس معنى قول القائل: (وليس فيه حدٌّ في الدنيا ولا وَعيدٌ في الآخرة؛ أي: وعيد خاص كالوعيد بالنّار والغَضَبِ واللعنة...) ثم تَكَلّم بكلام طيِّب في هذه المسألة.

وقال الذهبي في كتابه "الكبائر": (والذي يَتَّجهُ ويقوم عليه الدليل أنّ من ارتكب حُوبًا- أي: إثمًا- من هذه العَظائِم مما فيه حدّ في الدنيا كالقَتْل والزِنا والسَّرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عَذاب وغَضَبٍ وتَهْديد أو لَعْنٍ على لسان نبيِّنا محمد ﷺ؛ فإنه كبيرة). هذا هو المشهور في الكبيرة.

وما ليس بكبيرة فهو صغيرة؛ هذا هو الفَرْق بين الكبائر والصغائر.

والتّفريق ثابتٌ بالأدلة التي ذكرنا من الكتاب ومن السُّنة ومن إجماع السّلف الصالح رضي الله عنهم.

بعد ذلك من ارْتَكَبَ كَبيرة من الكَبائِر؛ ما حُكْمُه؟
طبعًا إذا تاب؛ تابَ الله سبحانه وتعالى عليه؛ لأنّ الله يَقْبَل التَّوبة ويَتوب على عِباده {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر:53] كما قال سبحانه وتعالى، فالإنسان إذا تاب تَوبة صادقة؛ قُبِلَ منه.

لكن الكلام الآن على من مات على الكبيرة؛ يعني: ارتكب كبيرة ومات عليها ولَمْ يَتُب منها.

قوله: **(وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ في النار لا يُخَلَّدُونَ)**
يعني: من دَخَلَ منهم النّار؛ لأنّ عقيدة أهل السُّنة والجماعة أنّ من مات على الذّنب وكان مُوَحِدًا أنّه تحت المَشيئة؛ إن شاء الله سبحانه وتعالى عَذَّبَه، وإن شاء عفا عنه، كما قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:48].

إذن الكلام يأتي بعد هذا: إذا مات صاحبُ الكَبيرَة على الكَبيرة، ولمْ يَغْفِر الله له، ودَخَلَ النار- وهذا موجود وسَيَحْصُل وقد أَخْبَرَ به النبي ﷺ: أنّ بعض النّاس من المُوَحِدين سيَدْخلون النار؛ أحاديث الشفاعة كثيرة في هذا- إذا مات هذا ودَخَل النّار؛ هل هو مُخَلّد في نار جَهنم أم سيَخْرُج منها؟ هذا هو الذي تحدّث عنه المؤلف هنا.

ولا شَكْ أنّه سَيَخْرُج منها بما أنّ معه التوحيد؛ هذا ما دلّت عليه الأدلة الشرعية؛ ومنها أحاديث الشفاعة التي وَرَدَت عن النبي ﷺ.

فقد قال عليه الصلاة والسلام: "لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي؛ شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا".

وقال عليه الصلاة والسلام: " شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي".

وذكر في أحاديث الشفاعة الكثير مما يَدُل على أنّ أهل الكبائر يَخْرُجون من النّار؛ إمّا بشفاعة الصالحين أو الشُّهداء أو الأنبياء، أو بِرَحمة الله سبحانه وتعالى كما جاء في أحاديث الشَّفاعة بأنه يُخرِج من النار؛ يَحثو ثلاث حَثَوات تبارك وتعالى يُخْرِجهم من النار؛ إذن هذا ثابت في أحاديث الشّفاعة، وأهل العِلْم عليه.

وهذه عقيدة أهل السُّنة والجَماعة؛ فعِنْدَهُم مُرْتَكِبُ الكَبيرة التي هي دون الشِّرك لا يَخْرُجُ صاحبها من الإيمان، وإنّما يكون مؤمنًا ناقص الإيمان، والمؤلف يقول: **(وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ في النار لا يُخَلَّدُونَ).**

(إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ) لا بُدَّ من هذا القَيد؛ من مات على التوحيد، هذا إنْ دَخَل النّار؛ فلا يُخَلّد فيها؛ فأهل السّنة والجماعة لا يُكَفِّرون من ارتكب كَبيرةً، ويَرَون أنّه لا يُخَلّد في نار جَهَنَّم.

خالف في هذا أهلُ البِدَع من الخَوارج والمُعْتَزِلة؛ الخوارِج والمُعْتَزِلة أخرَجوا صاحب الكبيرة من الإسلام.

الخوارِج قالوا: هو كافر؛ هذا من حيث الاسم سَمَوه كافراً، والمُعْتَزِلة قالوا: هو في مَنْزِلة بين المَنْزِلَتين؛ لا هو كافر ولا هو مسلم، أمّا يوم القيامة؛ فاتفقوا على أنّه مُخَلّد في نار جَهَنَّم، وهذا

الذي جعَل المؤلف رحمه الله يَذْكُر أنّ هذه عقيدة أهل السّنة والجماعة؛ يُخالِفون فيها الخَوارِج والمُعْتَزِلة.

أما المُرْجِئة فقالوا في صاحب الكَبِيرة: بأنّه مؤمن كامل الإيمان، بما أنّه مؤمن في قلبه- يعني: مُصّدِّق في قلبه-؛ إذن هذا مؤمن كامل الإيمان عند أكثر المُرْجِئة.

وعند مُرْجِئة الفُقَهاء لا بُدَّ أيضًا من النُّطق باللسان مع التصديق القلبي؛ هذا يكون مؤمنًا كامل الإيمان، وهذه المعاصي سواء كانت من الكَبائر أو غيرها؛ لا تُؤثر في إيمانه.

وأهل السّنة والجَماعة وَسَط بين الطَّرفين؛ صاحب الكَبيرة عِنْدَهم الذي لم يَقَع في الشّرك أو الكُفر: ليس بكافر؛ يعني: يكون ناقص الإيمان، لا يكون كامل الإيمان بل يكون ناقص الإيمان، وإذا مات على الذنوب؛ فهو تحت مَشيئة الله سبحانه وتعالى، فإن عَذّبه الله سبحانه وتعالى وأدْخَلَه النّار؛ فهو غير مُخَلّد في نار جَهَنَّم، ويَعْتَمِدون على أحاديث الشّفاعة المُتواتِرة في هذه الأخبار.

هذا في أهل الكبائر من أمّة محمد ﷺ؛ هذا ما نصّ عليه المؤلف.

لكن بالنسبة لغير أمّة محمد ﷺ من الموحدين، الذين لم يدركوا نبينا ﷺ؟

المؤلف لمْ يَتَكَلّم بشيء، هو تَحدّث عن أمّة محمد ﷺ خاصّة، أمّا في غَيرهم؛ فبعض أهل العِلم ذَهَبَ إلى أنَّهم كذلك مثل أمّة محمد ﷺ، وقرّرَ هذا منهم الشارِح، واسْتَدَل بقول النبي ﷺ: "يَخْرُجُ مِنَ النّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ"؛ فأَخَذَ بهذا الإطلاق؛ ليس فيه تَقييدٌ بذكر أمّة محمد ﷺ.

على كلٍّ المُراد هو ما ذَكَرنا من التّفريق بين عقيدة أهل السُّنة والجَماعة وعَقيدة الخَوارِج والمُرْجِئة في ذلك.

قوله: **(وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ مؤمنين، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ)**

كما ذكرنا؛ عقيدة أهل السُّنة والجَماعة أنّه إذا مات على الذنب ما لم يكن كافرًا ولا مُشْرِكًا؛ بأنّه تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى؛ لقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:48] المَقصود بهذا: التوحيد.

فقوله: **(وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ)** يعني لَقوا الله على الذنب بدون تَوبة.

(بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ مؤمنين) يعني مُوَحِّدين غير مُشْرِكين؛ فَهُم تحت المَشيئة.

وخالَف في هذا الخَوارِج والمُرْجِئة كذلك؛ المُرْجِئة يقولون: أصحاب الكبائر لا يَدْخُلون النّار أصْلًا؛ لأنّ صاحب الكبيرة مؤمن عِنْدَهم كامل الإيمان لا يَدْخُل النّار. نسأل الله العافية.

خُطورة قَول المُرْجِئة عظيم أيضًا كخطورة قَوْل الخوارِج؛ الخَوارِج يَقَعون في الأمّة تكفيرًا وقَتْلًا وسَفكًا للدماء بسبب قَولِهم هذا، والمُرْجِئة يُعَطِّلون أحكام الله سبحانه وتعالى؛ الشّخص إذا قال: أنا مؤمن كامل الإيمان بمُجَرّد التصديق؛ إذن أذهب أزني وأسرق وأفعل كل شيء؛ لا يَضرني في إيماني ولا أدخل النار، إذن ما فائدة هذه الأحكام؟ كلها أحكام باطلة لم يعد لها فائدة؛ هذا خُطورة قَول المُرْجِئة.

والأدلة في الكتاب والسُّنة كثيرة تَرُد على هؤلاء.

قال: **(ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ)** بعد أنْ يَدخلوا النار.

قد جاء في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ قال: "يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ".

فَخُروجهم من النّار؛ إما بفضل الله سبحانه وتعالى دون شفاعة أحد، وإما بشفاعة الشافعين، وقد ذكرنا أحاديث الشّفاعة، وهي كثيرة موجودة في "الصحيحين" وغيرهما؛ وهي مُتواترة، وأهل السُّنة والجَماعة يأخذون بها.

قوله: **(ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ)** يعني يُخْرِجُهم من النّار إلى الجَنَّة؛ جاء في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ تَدُل على هذا؛ منها في "الصحيحين": جاء في حديث أبي سَعيد رضي الله عنه: " أَنَّهُم يَخْرُجون مِنَ النّار وقَدْ صاروا حُمَمًا، فَيُلْقَونَ فِي نَهَرٍ بأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتون كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ..." فَيَدْخُلون الجَنَّة بفضل الله سبحانه وتعالى عليهم؛ فإنَّهم يُسَمَّون في الجنة بالْجَهَنَّمِيِّينَ؛ كل هذه الأحاديث موجودة في "الصحيحين" وغيرهما.

قوله: **(وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى أهل معرفته وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ)** يعني أنّ الله سبحانه وتعالى تَوَلّى أهل الإيمان؛ **(أهل مَعْرِفَتِه)** الذين آمنوا به ولَمْ يُشْرِكوا، تَوَلّاهم بأنْ يُنَجيهم من الخُلود في نار جَهَنَّم من كان منهم صاحب كبيرة، ويَعفو ويَغْفِر للكثير منهم ويَتَجاوز عنهم ولا يُدْخِلهُم النّار أصلًا.
وفرّق الله سبحانه وتعالى بين أهل الإيمان وأهل الكُفر؛ فلم يَجْعَل هؤلاء كهؤلاء {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} [الجاثية:21]، وقال

تبارك وتعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [ص:28]، وقال: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم:35-36]؛ هذه آيات تَدُل على التَّفريق بين هؤلاء وهؤلاء عند الله سبحانه وتعالى؛ فالله سبحانه وتعالى مَيَّز بين هؤلاء وهؤلاء؛ بين أهل الطاعة وأهل المَعْصِية، وبين أهل الكُفر وأهل الإيمان في الدنيا وفي الآخرة.

قوله: **(اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ثَبِّتْنَا عَلَى الإسلام حتى نلقاك به)**

هذا دعاء وَرَدَ في حديث عن النبي ﷺ ذكره الشيخ الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (1823): "يَا وَلِيَّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنا على الإِسْلامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِه "؛ هذا دعاء بالثبات قد عَلَّمنا النبي ﷺ أن نَدْعوَ الله سبحانه وتعالى بالثبات دائمًا، عَلّمنا أن نقول: "يَا مُقلب الْقُلُوبِ، ثبِّتْ قلبي عَلَى دِينِكَ"، ونَسْتَحْضِر هذا الدعاء في الفاتحة أيضًا: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة:6]، ونُكْثِر من الدعاء بالثَبات؛ لأنّ هذا الأمر عظيم؛ هذه فِتَن مُدلَهِمات وظُلُمات وطُرُق وضَلالات كثيرة موجودة في السّاحة، وخاصّة في زمانِنا هذا، وكُلَّما تَأخّر الزمان وطالَ بُعْدًا عن زَمَن النبي ﷺ؛ كُلّما كَثُرت الفِتَن وعَظُمَت، فنحن بحاجة إلى الإلحاح على الله سبحانه وتعالى بالدعاء والسّلامة من البِدَع والضَّلالات والشِّركيات والكُفْريات المَوجودة والمُنْتشرة اليَوم، والتي لها دُعاة يَنْشَطون عليها، ولها شَياطين يَدْعونَ إليها؛ فَنَسْأل الله سبحانه وتعالى الثَّبات على الحق، وأنْ يُثَبِّت أَقدامنا على الصِّراط المُسْتَقيم، قال النبي ﷺ: " بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا".

هذا الحديث نَراهُ اليَوْمَ بأَعْيُنِنَا واضِحًا؛ نَرى أُناسًا يُؤمنون ويَكْفُرون في نَفس اليَوم، عقائِد مُخْتَلِفة تَنْتَشر- كُفْرية- بين النّاس، يَتَبنّاها الشّخص في الصّباح ويُمْسي يُنْكِرُها، ويُصْبِحُ يُثْبِتُها ويُمْسي يُنْكِرُها وهكذا، وبِمُجَرّد أنْ يُدْفَعَ مالٌ لشخصٍ؛ يصير من الدُّعاة إليها ومن حامِليها، أفكار وعَقائِد كُفرية يُدعى إليها اليَوم من علمانية ولبرالية ودعوة لوحدة الأديان وغير ذلك من العَقائِد، رجُل تَجِدُه اليوم سُنِيًّا وغدًا إذا جاءه رافِضي ودَفَعَ له مالًا يصيرُ رافِضِيًّا، هذا موجود وبكثرة؛ يكون سُنِيًّا وإذا جاءه بَعْثي أو علْماني أو شُيوعي، ودَفَعُوا له مالًا؛ صار منهم ومن أسهل ما يَكون، هذا الذي ذكره النبي ﷺ "يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا" نحن اليوم نَعيش هذا الزمن، وإذا لم يُثَبِّتنا الله سبحانه وتعالى؛ لنكونن من الخاسرين، فنسأل الله الثبات لنا ولكم.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ وعلى مَنْ مَاتَ مِنهُمْ)**

قوله: **(وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أهل القبلة)** عقيدة أهل السُّنة والجَماعة أنَّهم يَرَون الصّلاة خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ.

(البَرّ): هو الطائع المُطيع الصالِح، و(الفاجِر): هو الفاسِق الضّال المُنْحَرِف؛ نَصَلي خَلْفَ هذا وهذا.

(مِنْ أهل القِبلَة) من المُسْلِمين هذا شَرْط؛ أنْ يَكون مُسْلِمًا وأنْ لا يَكون كافِرًا، سواء كان بَرّا- يعني صالحاً-، أو كان فاجِرًا فاسِقًا؛ إذا كان مُسْلِمًا.

أمّا الصلاة خَلْفَ أهل البِدَع؛ فهي مَحَل خِلاف بين السّلف رضي الله عنهم، والراجِحُ في ذلك أنّ البِدْعَة إذا لَمْ تُخْرِجه من الإسلام وبَقِي مُسْلِمًا؛ أن الصلاة خَلْفَهُ جائِزة صحيحة، كما

قال عُثمان بن عفان رضي الله عنه لمّا سُئِلَ عن الصّلاة خَلْفَ من أَرادوا قَتْلَه وحاصَروه رضي الله عنه، فسَأَلوه عن الصّلاة خَلْفَهم؛ فقال للسائِل: (الصلاة خير ما يَفْعَل النّاس، فإنْ أَحْسَنوا؛ فأحْسِنْ مَعَهُم، وإنْ أساؤوا؛ فاجْتَنِب إساءَتَهُم).

وجاء في الحديث في مَسْألة الصلاة خَلْفَ الفاجِر، في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال في الأئمة: " يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ ولَهُم، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ".

وأيضًا قال عليه الصلاة والسلام في الأمراء الذين يكونون في زمن يُؤخرون الصلاة عن وقتها؛ قال: "كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟"- قالها النبي ﷺ لأبي ذَرّ- قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: "صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ؛ فَصَلِّ؛ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ".

إذن الصلاة خَلْفَهُم صحيحة؛ "إنَّها له نافِلَة"؛ إذن ليست باطِلَة، هذا يَدل على الصلاة خَلْفَ الفاجِر.

وذَكَرَهُ المؤلف رحمه الله هذا للرّد على الخَوارِج الذين لا يُجيزون الصّلاة خلف الفاسِق؛ فهؤلاء لا يُقيمون الصّلاة خَلْفَ الإمام الفاسِق؛ فلا يُصَلون خَلْفَهُ جُمَعًا ولا أَعْيادًا، وأهل السُّنة والجَماعة يُخالِفونَهم في هذا بالأدلة التي ذَكَرنا.

قال المؤلف: **(وعلى من مات منهم)** أي: يُصَلّون الجَنازة على من مات من المُسلِمين؛ وهذه الصّلاة فَرْضُ كِفاية، إذا قام به البَعْض؛ سَقَطَ عن الباقي.

العِبْرة في الصّلاة على المَيّت: إذا كان مُسْلِمًا؛ يُصَلّى عليه، وإذا كان كافِرًا؛ لا تجوز الصّلاة عليه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى نهى عن هذا.

بقي أمر من المَسْألة السابقة مما ذكرناه؛ وهو الصّلاة خَلْفَ المَسْتور؛ مَسْتور الحال الذي لا يُعْرَف حالُه لكن يُعْرَف أنّه مُسْلِم فقط.

قال ابن تيمية رحمه الله: (وتجوز الصّلاة خَلْفَ كُلّ مُسْلِم مَسْتور بِاتّفاق الأئِمة الأربعة وسائِر أَئِمَة المُسْلِمين، فمن قال: لا أُصَلّي جُمْعة ولا جَماعَة إلا خَلْفَ من أَعْرِفُ عَقيدَته في الباطِن؛ فهذا مُبْتَدِع مُخالِف للصحابة والتابعين لهم بإحسان وأَئِمة المُسْلِمين الأربعة وغيرهم)؛ هذا كلام ابن تيمية رحمه الله وكلامه مَوجود في "مَجموع الفتاوى" (542/4).

ثم قال المؤلف رحمه الله بعد ذلك: **(وَلَا نُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، ولا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ ولا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ؛ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)**
يعني: لا نقول عن أحد مُعَيَّن من أهل القِبلة أنّه من أهل الجَنّة أو من أهل النّار؛ إلا ما جاء فيه نَصّ؛ لأننا لا نَعْلَم عَلام خُتِمَ له؛ وهذا هو السبب.

وذكر أهل العِلم خِلافًا فيمَن لم يَرِد فيه نَصٌّ لا في الكِتاب ولا في السُّنة أنّه من أهل الجَنّة أو من أهل النّار، إلا أنّ المُسلمين شَهِدوا له بالخير، المُسلمون ومنهم أهل الحقِّ شَهِدوا له بالخير والثناء الحَسَن؛ هل يُشْهَد له بذلك أم لا؟
قال ابن تيمية رحمه الله: (وأمّا مَنْ شاع له لِسان صِدْقٍ في الأُمّة بحيث اتَّفَقت الأُمّة على الثناء عليه؛ فَهَل يُشْهَد له بذلك) -أي بالجَنّة-؟

قال: (هذا فيه نِزاعٌ بين أهل السُّنة، والأَشْبَه: أنْ يُشْهَد له بذلك).

قوله: **(ولا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ ولا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ؛ مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)**

يُريد المؤلف من هذا أنّنا لا نَشْهَدُ عل شَخْصٍ بباطِنِه؛ هل هو مُسْلِمٍ؟ هل هو كافر؟ هل هو طائِع؟ هل هو عاصٍ؟ الباطِن هذا عِلْمُهُ عند الله سبحانه وتعالى؛ نحن لا نَعْلَمُه؛ لذلك نحن نَحْكُمُ على النّاس بما أظهروا لنا، بالظاهِر فقط، ونُهينا عن الظّن واتّباع ما ليس لنا به عِلْم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمه: "إِنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"، يُؤخَذون بالوحي؛ يُحاكَمون بناءً على ما يَنْزِل فيهم من وحي من الله سبحانه وتعالى، قال: "وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ" فقط نَحْكُمُ عليكم بالظاهر، قال: "فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا شَرًّا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ" أخرجه البخاري في "صحيحه" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والنبي ﷺ عامَلَ المُنافقين بما ظَهَرَ من أحوالِهِم؛ نعم بَعْض المُنافِقين كان يَنْزِلُ فيهم وَحْي يُبَيّن نِفاقَهُم، المُنافِق كافر لكن النبي ﷺ عامَلَهُم مُعامَلة المُسْلِمين؛ كي يُعَلِمنا أنْ نَحْكُمَ على النّاس بما أظْهَروا لنا، وقد قال عليه الصلاة والسّلام لأسامة بن زيد: " هَلّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ"؛ فالحُكْمُ على النّاس بما أَظْهروا لنا فقط؛ هذه عَقيدَتُنا.

قال: **(وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ محمد ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عليه السَّيْفُ)**

الأصل حُرْمَة دم المُسْلِم؛ فالنبي ﷺ قال: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ".

وقال عليه الصلاة والسّلام: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا".

فالأَصْلُ حُرْمَةُ دَم المُسْلِمِ، ولا يَجوز قَتْلُه إلَّا من وَجَبَ عليه السيف بالدليل الشرعي كالقاتِل مثلًا، والزاني المُحْصَن؛ فالقاتِل يُقْتَل، والزاني المُحْصَن يُرْجَم حتى الموت، كما قال عليه الصلاة والسّلام: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ" التارِك لدينه؛ يعني: مُرْتَد.

نكتفي إلى هنا اليوم ونُؤَجِل الباقي إلى الدرس القادم إن شاء الله والحمد لله.

شَرْحُ العَقيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس العشرون

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المَبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد:

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح "العقيدة الطحاوية"؛ وهو الدرس العشرون.

وقفنا عند قَول المؤلف رحمه الله: **(وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وإنْ جَاروا، ولا نَدْعو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ والمُعَافاةِ)**

مُلَخَّص هذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله هي عقيدة أهل السُّنة والجماعة في التَّعامل مع وُلاة أمر المُسْلمين.

الأمر الأول الذي يَجِب أنْ نَفْهَمَهُ هنا: ما معنى ولي الأمر؟

وُلاة الأمر المَقصود بهم هنا: هم أئمة أمر المُسْلمين؛ يعني الحُكّام، السَّلاطين؛ الأُمراء بالمعنى القديم وليس بالمعنى الحادِث الآن؛ كل هذه مُصْطَلَحات لمعنى واحد، والمَقصود منها: هو الحاكِم الذي يَحْكُمُ المُسْلِمين ويكون منهم، هذا قَيد مهم جدًا؛ لأنّ الخَوض حاصل اليَوم في هذا الوقت.

يَظُن البَعْض أنّ كل من حَكَمَ بلادًا مُسلِمة فهو وَلِي أمر للمُسْلمين، وهذا نَسْمَعُه من بَعْضِهِم؛ حتى تَجاوَزَ البَعْض وصَرَّح أنّ النّصْراني يكون وَلِي أمر للمُسْلِمين! سبحان الله! هذا عَجيب مِن داعية يَزْعُم أنَّه سَلَفي أيضًا؛ يَقول: النَصْراني إذا حَكَمَ المُسْلِمين فهو وَلِي أمرنا، له علينا السَّمع والطّاعة، سبحان الله! عَجيب!.

لا تَسْتَغْرِب؛ حقيقة نحن في زمن هو من الأزْمان التي صِرنا نَسْمَعُ فيها العَجائِب، حتى تَجِد الشَّخص الواحد يَعْتَقِد العَقائِد المُتناقِضة؛ فتَجِدُه خارِجيًّا من وَجْه، مُرجِئًا من وَجْه، قَدَريًّا من وَجْه، جَبْرِيًّا من وَجْه؛ هذا مَوجود، وقد تَحدَّثنا مع البَعْض أو قَرَأنا لِلبَعْض فسَمِعناهم يُقَرِّرون مثل هذا، فنحن في زمن الذي قال فيه النبي ﷺ: "اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وأَضَلُّوا".

المهم موضوعنا الآن؛ ولي الأمر المَقصود هنا في هذا الباب: هو المُسْلِم وليس الكافر، يوجد اليوم في بلاد المُسْلِمين- عُمومًا- بَعْض الذين يَحْكُمون بلاد المُسْلِمين من النَّصارى، يوجد أيضًا بَعْثِيّون، ويُوجَد كذلك رافِضَة ونُصَيريّة وعَلْمانيون؛ هذه مِلَلٌ كُلُّها مَوجودة، فالخَلْطُ بين الأمور أدّى إلى مَفاسِد عَريضة عند الكثير من الشَّباب- للأسف- في عقائدهم. والله المُسْتَعان.

يَجب أن تُمَيِّز! الكلام هنا في وَلِي الأمر المُسْلم وليس العَلْماني ولا الليبرالي ولا اليهودي ولا النَّصراني ولا النُّصَيري ولا الرافضي ولا شيء من هذه المِلَل والنِّحَل، إنّما الكلام في المُسْلم؛ وَلي الأمر المُسْلِم، هنا الكلام في هذه المَسْألة.

ذاك الذي يَحْكُم بلاد المُسلمين ولا يَكون منهم ولا يَكون مُسْلِمًا من المِلَل التي ذَكَرنا أو غيرها من المِلَل؛ هذا نَتَعامَل مَعَه اليوم بقاعِدَة المَصالِح والمَفاسِد؛ نُقَدِّر المَصْلَحة والمَفْسَدة ونَعْمَل بناءً عليها كما تَصرَّف السَّلف رضي الله عنهم مع بَعْض الحُكّام الذين كانوا يَرَوْنَهُم كُفّارًا.

فالآن مَوضوعنا في وَلي الأمر المُسْلِم.
قوله: **(وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا)** لاحِظ هنا (أَئِمَّتنا) يعني: (مِنّا)، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم {وَأُلِي الأَمْرِ مِنْكُم} يعني من المُسلمين.

قوله: **(وَوُلَاةِ أُمُورِنَا)** وَلي الأمر هو إمامُنا ووَلِي أمْرِنا؛ هذا لا نَرى الخُروج عليه بالسَّيف، ولا نُهَيِّج الناس عليه على المَنابِر؛ لأنّ التَّهييج على المَنابِر يؤدي إلى الخروج بالسيف؛ لذلك ليس هذا من عَقيدة أهل السُّنة والجَماعة.

وهذه الفِقْرَة التي تَحَدَّث عنها المؤلف في مَسْأَلة الخُروج على وَلِي الأمر؛ هي فارِقَة بين أهل السُّنة والخَوارِج؛ الخَوارِج الآن يُكَفِّرون وُلاة أمر المُسْلمين بالكَبائِر ويَسْتَبيحون دِماءهم، ثم بعد ذلك يَبْنون على هذا: تكفير من تَحْتَهُم من المُسلمين بآية: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:51]؛ فيقولون: هؤلاء قد تولّوا الكافِر؛ فهم كُفّار أيضًا؛ فيَسْتَبيحون دِماء المُسلمين، وهذه العَلامة التي ذكرها لهم النبي ﷺ لمّا قال: "يَقْتُلون أَهْل الإِسْلام، ويَدَعون أَهْل الأَوْثان"؛ هذه أعظم عَلامَة للخوارِج.

عَقيدَتُنا- كما قال المؤلف- في هذه الفِقْرَة كاملة؛ قال الله سبحانه وتعالى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء:59]؛ هل قَيَّد هنا بِوُلاة الأمر الطائِعين وأَخْرَجَ العُصاة مِنهم؟ لا لم يَفْعَل ذلك؛ كُلُّهم داخِلون في هذا، وقد قال عليه الصلاة والسّلام: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي"، والمَقْصود هنا بالأمير: أمير المُسْلِمين وليس أمير الحِزْب، هذا الحديث يُنَزِّلُه الحِزبيون الآن على إمارَتِهم؛ وهذا باطِل؛ لأنّه جاء في رواية "من أطاع أميري" الذي أَمَّرَه النبي ﷺ.

وعن أبي ذَر رضي الله عنه قال: "إِنَّ خَلِيلِي أَوْصانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ" هذا الحديث صحيح وهو في "الصّحيح"، العَبْد الحَبَشي لا يَسْتَحِق الإمارة، وليس من أهل الوِلاية، ولكن مع ذلك قال النبي ﷺ: اسْمَعْ وأَطِعْ وإنْ أُمِّرَ عليكَ عبد حَبَشِيٌّ؛ مع أنَّه ليس من أهل الإمارة؛ وهذا ردٌّ على الخَوارِج.

فحتى لو كان ليس أَهْلًا للإمارة وتَوَلى على المُسْلِمين؛ وَجَبَ السَّمْع والطّاعة له إذا أَمَرَ بطاعَة الله، أما إذا أَمَرَ بمعصية؛ فلا طاعة لأحد في معصية الله كما قال النبي ﷺ: "إِنَّما الطّاعَة في المَعْروف" و: "لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ"؛ هذا مُقَيَّد، فيُطاع وَلي الأمر المُسْلِم في طاعة الله إذا لم يَأْمُر بمعصية، أمّا إذا أمَرَ بِمَعْصِية؛ فلا طاعة له.

وَوَلِي الأمر المُسْلِم سواء كان طائِعًا أو كان فاجِرًا إذا أَمَر بِطاعة الله؛ يُطاع.

وإذا تَأَمَّرَ على المسلمين بطريقة شرعية أو غير شرعية، إذا اسْتَتَبَ له الأمر واسْتَقَرّ، وصارَ حاكِمًا؛ وَجَبَ له السَّمْع والطّاعة، هذا العَبد الحَبَشي ليس أهلًا للإمارة؛ ومَع ذلك أَمَرَ النبي ﷺ بطاعته.

وقال عليه الصلاة والسلام: "عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ" أي: في المَعصية.

هنا الخَوارِج يقولون: لا سَمْعَ ولا طاعَة إذا أَمَرَ بمعصية مُطْلَقًا- انتهى- لا سَمْعَ له ولا طاعة مُطْلَقًا، وهذا باطِل الكلام تَرُدُّه الأحاديث الأخرى التي بَيَّنَت أنّ له سَمْعاً وطاعة؛ حتى ولو كان عاصيًا.

جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: "مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ؛ فَمِيتَتُه جاهِلِيَّةٌ".

وجاء في الحديث: "خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ- أي: تَدْعون لهم ويَدْعون لكم- وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَبْغَضُونَهُمْ وَيَبْغَضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ"، فقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بالسَّيفِ عِنْدَ ذَلِكَ؟".

لاحِظ هذا الحديث! فيه ردّ على الخَوارِج، هذا الوَصْف الذي وَصَفَهُم به النبي ﷺ؛ قالوا: أَلا نُنابِذُهُم بالسيف عند ذلك؟ أي: نَخْرُج عليهم؟ قَالَ: "لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاة، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِ" لاحِظ هنا مع ما وَصَفَهُم به من شُرور إلا أنّه قال: "لا يَنْزِعَنّ يدًا من طاعته".

وقال عليه الصلاة والسّلام أيضًا: "إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونهَا"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: "تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ".

لاحظ هنا أشياء مُسَلَّمة ستحدُث: "إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ" يعني: سيكون هناك ظُلْم، أُناس وأُمراء يَسْتَأْثِرون بالأموال والخَيرات ويَمْنَعون المُسلمين من حُقوقهم، وسَيُوجَد أيضًا أُمراء تَرون منهم مُنْكَرات، مع ذلك؛ ماذا قال عليه الصلاة والسلام؟ قالوا: كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قال: "تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ".

قال أهل العلم هنا: (فيه الحَث على السَّمع والطّاعة وإِنْ كان المُتَوَلي ظالمًا عَسوفًا فيُعطى حقه من الطّاعة، فلا يُخْرَجُ عليه ولا يُخْلَع بل يُتَضَرَّع إلى الله تعالى في كَشْفِ أذاه ودَفْعِ شرِّهِ وإِصلاحه)؛ هذا كلام أهل العِلم في معنى هذا الحديث، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة؛ فما أَذِنَ النبي ﷺ بالخروج عليهم إلا عند رؤية كُفْرٍ بَواح.

قال عُبادة بن الصامت: "بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ"- لا نُنازِع وُلاة الأمور- قَالَ: "إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فيه مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ".

ما هو الكُفْر البَواح؟

كُفر ظاهر واضِح صَريح، لا يُقال فيه رُبَما ولعلَّ؛ هذا من عُلماء السُّنة؛ يقول: هذا كُفر، وذاك من عُلماء السُّنة يقول: لا ليس بِكُفر- ليس هو من هذا القبيل-؛ بل هو كُفْرٌ صَريح واضِح.

إذن السَّمْع والطّاعة للأمير الطائِع والعاصي ما دام مُسْلمًا لكن في طاعة الله، أما إنْ أَمَر بمعصية؛ فلا، وإذا كان كافِرًا؛ فليس داخلًا في مسألتنا، والأدلة التي ذكرنا وغيرها كثير، وقد أكَّد النبي ﷺ على هذه المَسْألة في أحاديث كثيرة؛ لأنّ هذا الأمر سيكون سببًا في سَفْكِ دماء المسلمين، وقَتْل بَعْضِهم بَعْضًا؛ لذلك ركّز عليه النبي ﷺ، وحَذَّر أشد التحذير من قَتْل المُسْلِم للمُسْلِم.

والأحزاب المَوجودة اليوم في السّاحة تَستَغِل عَواطِف المُسلمين لِضَرْب بَعْضِهِم ببَعْض، وقَتْلِ بَعْضِهم بَعْضاً، واسْتَغَلوا ما يَرَونه من ظُلْم الحُكّام وتَجَبُّرِهِم وتَسَلُّطِهِم على النّاس اسْتَغلوا هذا لإثارَة عواطِف المُسلمين عليهم، فأشْعَلوا الفِتْنَة، وقَتَلَ المُسْلِمُ أخاه المُسْلِمِ بِحُجَةِ رَفْعِ الظُّلْم، لو كان هذا الذي تفعلونه سبيلًا لرفع الظُلم؛ لَأَرْشَدَنا إليه النبي ﷺ، وهو الذي ما تَرَكَ خَيراً لنا إلَّا ودَّلنا عليه ﷺ، وقد ذَكَرَ لك هذا الدّاء أنّه سيَحْصُل، وذَكَرَ لك كيفية الحَل، فتَتْرُكُه وتَذْهَب خَلْفَ هواك لتَبْحَث عن رَفْع الظُّلْم.

انظروا إلى إخوانكم في سورية! خَرَجوا، أرادوا أنْ يَرْفَعوا الظُّلْم عنهم، ومع أنَّهُم خرجوا على حاكِمٍ كافر- لا يوجَد مُشْكِلَة- لكن أين المُشكلة؟ أنَّهُم خرجوا وهم لا قُدرة لهم، فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة: التَّشريد، القَتْل، التَّعْذيب، الجوع، الفَقْر، ضَياع الأطفال، ضَياع النِّساء، ضَياع الشَّباب؛ حَدِّث ولا حَرَج، فِتْنَة ما أبقَتْ دينًا ولا دنيا لهم إلا مَن رَحِمَ الله، قالوا: نحن كنّا في فِتْنة، نعم كنتم في فِتْنَة وكنتم في شر؛ لكن قارنوا الحاصِل مَعَكُم اليوم بما كنتم عليه في السّابِق؛ الفَرْقُ عظيم؛ لماذا؟ لِأَنَّكم لم تَسمعوا لكلام علماء السُّنة الذين يُفتونكم بـ: قال الله وقال رسول الله ﷺ، سَمِعْتُم كلام أئِمة الخَوارِج وخَرَجْتُم؛ فَبَقوا هم في قُصورِهِم وتَشَرَّدتُم أنتم؛ وهذا ما يَنْتَظِرُ مَنْ يُخالِف شَرْعَ الله، أرادوا رَفْعَ الظُّلْم؛ فَوَقَعَ عليهم ظُلْم أَعْظَم.

خِلافُنا مَعَهُم ليس في المُشْكِلة، المُشْكِلَة مَوجودة، الظُّلم مَوجود، التَّجَبُر مَوجود، الأَثَرَة مَوجودة، كما أَخْبَرَ النبي ﷺ أنَّها سَتَقَع- الأَمْر منته-، لكنّ الخِلاف مَعَكُم في طَريقة الحل، الخروج لا يَزيد الأمر إلا سوءً وشرًّا وفَسادًا، حتى اليوم لو كان الحاكِمُ كافِرًا؛ الخُروجُ عليه لا يَزيدُ الأمر إلا سوءً؛ وهذا الواقِع الذي حَصَلَ في سورية وفي غَيرها من بلاد الإسلام؛ ما تَحَسَّنَت الأوضاع بل زادَت سوءً.

هذا الذي يُرْشِدُنا إليه النبي ﷺ من حُلول لا يُمْكِن أنْ تَجِدْ حلًا أفضل منه، انظروا إلى بني إسرائيل، لمّا كانوا تحت إمْرَة فِرْعَون؛ كانوا مَظْلومين جدًا؛ أبناؤهم يُقَتَّلون ونساؤهم يَسْتَحْيِيهِم

فِرْعَون وقَومه من أجل الخِدْمَة؛ اسْتِرْقاق، ذُل ما بَعْدَهُ ذُل في هذه الدنيا من البَشَر للبَشَر، ومع هذا لمّا جاءهم موسى؛ هل أَمَرَهُم بالخروج عليه وقِتالِه؟

لا؛ لأنهم لا قُدْرة لهم على قِتالِه؛ فأُمِروا بالخُروج بالهِجْرَة.

النبي ﷺ لما كان في مكة هو وأصحابه كان واقِعًا عليهم ظلم أم لا؟! قتل وتَعذيب وتَشْريد من كفار قُريش؛ هل أُمِروا بالخُروج؟ لا.

هل أُمِروا بالقتال؟ لا.

لماذا؟ لعَدَم وُجود القُدْرَة، أُمِروا بالهجرة، بالخُروج من البِلاد وليس الخُروج على كُفّار قُريش بالقِتال؛ هذه السُّنة، وهذه الطّريقة.

عندما يَأمُرُكم علماء السُّنة بالصبر وعدم الخُروج؛ لا يَكون ذلك جُبْنًا، ولا عَمالَةً، ولا رِضىً بما يَفْعَلُه الحُكّام من ظُلْمٍ عليكم، ولا نُصْرَةً لهم عَلَيكُم- لا-؛ وإنّما هذا طاعة لله سبحانه وتعالى؛ لأنّه أمَرَ بهذه الطّريقة التي ذَكَرْنا، ومُحافَظَةً عليكم وعلى دينِكم وأموالِكُم ونسائِكم، على أطفالِكُم، على دِمائِكم؛ هذا المقصود من كلام علماء السُّنة؛ لأنهم يَنْصَحون لعِباد الله، لأنهم يَعْرِفون معنى قول النبي ﷺ: "الدّينُ النَّصيحَة"، ويَعْمَلون بهذا الحديث، وليست لهم حاجَة ولا لهم غَرَض ولا لَهُم طَمَع في دنيا؛ وإنّما نَصيحة لكم.

قوله: **(وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا وإن جاروا)** وإنْ ظَلَموا.

قوله: **(ولا ندعو عَلَيْهِمْ)** السَّلَف كانوا يَدعون لهم بالهداية؛ لأنّ الدُّعاء عليهم لا يَزيدهم إلا شرًّا وسوءً، أو رُبَّما يذْهب الواحد منهم ويأتي مَن هو شَرٌّ مِنْه، فالأَفْضَل والأَحْسَن والذي كان عليه السَّلَف الصالح رضي الله عنهم: هو الدُّعاء لهم بالصَّلاح؛ لأنَّهم إذا صَلُحَ حالُهُم؛ نالَنا من وراء ذلك من الخَير ما الله به عليم، فالدُّعاء لهم بالصلاح يَعود بالنَّفْعِ عليهم وعلى أمَّة محمد ﷺ.

قوله: **(وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ)** بالأدلة التي ذَكَرْنا.

قوله: (وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) لأنَّ الله سبحانه وتعالى أَمَرَ بها.

قوله: **(فَرِيضَةً)** يعني: واجبة.

قوله: **(مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ)** لا طاعة لِمَخلوق في مَعْصِية الخالِق.

قوله: **(وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ والمعافاة)** المُعافاة من الشَّر، ومِنَ الذُّنوب، ومن المعاصي، ومن الظُّلم.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَماعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذوذَ والخِلافَ والفُرْقَةَ)**
(نَتَّبِعُ السُّنة) التي هي طريقة الرسول ﷺ، **(والجَماعة)** الجَماعة هم الصحابة رضي الله عنهم ومَن كان على طَريقَتِهِم، **(ونَجْتَنِبُ الشُّذوذ)** الذي هو التَّفَرُّد، **(والخِلاف)** خِلاف أمر المُسلمين **(والفُرْقَة)** ولا نَفْتَرِق عنهم.

متى يكون الرَّجُل مُخالِفًا؟ ومتى يكون مُفارِقًا لِجَماعَة المُسْلِمين؟
يكون مُخالِفًا ومُفارِقًا إذا خالَفَ ما كان عليه النبي ﷺ والصَّحابة الكِرام والسَّلَف الأُوَل رضي الله عنهم من أصحاب القرون الثلاثة الأولى؛ فهؤلاء الثلاثة كانوا مُجْمِعين مُتَّفِقين على أصول؛ ثوابت لا تتغير ولا تتبدّل، ومَنْهَجٍ واحد، فَمَن خالَفَهُم في أُصولهم أو خالَفَهُم في مَنْهَجِهِم الذي كانوا عليه؛ فقد خالَف وفارَق وشَذَّ وافترق عن جَماعة المُسْلِمين، قال النبي ﷺ: "سَتَفْتَرِقُ هذه الأمَّة إلى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَة ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً"، قالوا: مَنْ هي يا رسول الله؟، "قال: الْجَمَاعَةُ" وفي رواية: "ما أنا عليه وأصحابي".

قال العِرباض رضي الله عنه: وَعَظَنَا رَسول الله ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؟ فَأَوْصِنَا؛ فَقَالَ:

"أُوصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَة، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا"؛ وهذا الواقع الذي نعيشه، وتأملوا هذا الحديث؛ فَسَتَعْرِفون الواقع الذي نَعيشه نحن.

قال: " فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا"، انظر إلى الحل! الاختلاف حاصِل حاصِل والافتراق حاصِل حاصِل كما قال النبي ﷺ: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فِرقة"، فالفُرْقَة حاصلة والافتراق حاصل والخِلاف حاصل "سَيَرَى اخْتِلافًا كَثيرًا".

طيب ما هو الحل؟

قال: " فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسَنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكوا بها وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ".

لاحِظ هنا! الحَل هو التَّمسُك بما كان عليه النبي ﷺ وبما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، فما اتَّفق عليه الأئمة الأربعة الخُلفاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي؛ فهو دين، وما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم؛ فهو دين، وما كان عليه السَّلف الصالح من أصحاب القرون الثلاثة الأولى؛ فهو دين وأصل نَتمسَّك به، "تَمسَّكوا بها وعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"، قال: "وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ"؛ لأنّ مُحْدَثات الأمور هي التي تُخْرِجكم عن هذه السُّنة، البِدَع والضَّلالات، إحداث دين جديد وأصول جديدة كالذي كان عليه الخَوارِج والمُرْجِئة والقَدَرية والمُعْتزلة والشيعة وغيرهم، افترَقوا واختلَفوا وتنازَعوا.

فواجبنا هو الاتباع، ركِّزوا على كلمة الاتباع {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران:31]، {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء:115]؛ سُنة النبي ﷺ وسبيل المؤمنين.

مَنْ المؤمنون الذين كانوا عند نزول هذه الآية؟ هم الصحابة رضي الله عنهم.

{يتّبِعْ} اتّباع، لا يوجد اجْتِهاد ولا يوجد إعمال رأي ولا يوجد إعمال عقل ولا يوجد قياس هنا، هذه مسائل واضحة وصريحة في الكتاب والسُّنة ومَنْهَج السَّلف الصالح رضي الله عنهم لا يَجوز فيها إلا الاتباع، مَنْ خالَفَ الاتباع وذهب يجتهد وأحدث في دين الله ما ليس منه

وابتَدَعَ بِدْعة خالَف بها مَنْهَج السَّلَف الصالح، أو أصلًا من أُصول أهل السُّنة والجماعة؛ فهو مُبْتَدِع، حتى وإنْ اجْتَهَدْ، حتى وإنْ كانت نيتُهُ صالحة؛ فقد طَرَقَ الباب الذي لا يجوز له أن يَطْرُقَه، وقد سار في الطَّريق التي حَرُمَ عليه أنْ يسير فيها؛ فواجِبُهُ هو الاتباع وليس الاجتهاد، وهذا رَكِّزوا عليه جيدًا (الاتباع)؛ "اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ"؛ لَخَّصَها ابن مَسْعود، لا عُذْرَ لِأَحَدٍ في ضَلالة رَكِبِها حَسِبَها هُدى، بعد أنْ بيَنَ الله سبحانه وتعالى له الهدى فيها، وبيَّن له الرسول ﷺ الهدى، واجتمع أصحاب النبي ﷺ عليها؛ ليس له حق أنْ يُخالِف ولا أنْ يُعْمِلَ رأيه فيها، الاتباع هو الواجب، طريق الحقِّ واحد؛ قال الله تبارك وتعالى فيه: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام:153] الاتِّباع، {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} [الأنعام:153] طُرق الضَّلال، {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام:153]؛ تُخْرِجُكُم عن الطَّريق الذي أمَرَكُم الله به، {ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام:153].

انظروا إلى الاتباع؛ هذا هو طريق الحق الذي أمرنا الله به، طريق الحق واحد؛ وهذا الطريق هو الذي سَلَكَهُ أصحاب النبي ﷺ ووصلوا إلى أنْ قال الله فيهم: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} [التوبة:100] ماذا فعل؟ {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}، إذن قد وصلوا إلى النّجاة أم لا؟ نعم، وطريق الحقِّ واحد أم لا؟ نعم، {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا} واحد، {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ}، وقد خطّ النبي ﷺ خطًّا مُسْتقيمًا ثُمّ خطّ على جانبيه خُطوطًا وقال: "هذا صِراط الله" خط واحد، "وهذه طُرُق على كل طريق منها شيطان يدعو إليه"؛ إذن طريق الحقِّ واحد وهو بيِّنٌ واضِح؛ هو طريق الصَّحابة رضي الله عنهم، ولا عُذْرَ لأحد بعد ذلك أن يقول: أنا اجتهدْت وأخطأت؛ لا يوجد مَجال للاجتهاد في هذه المسائل؛ الاجتهاد في مَسائِل فقهية أدّلتها غير واضحة؛ عندئذ نقول لك: نعم مَنْ اجْتَهَدَ فَأصاب فله أجران، ومَن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

أما هذه المَسائل؛ فنقول لك: إنْ اجْتَهَدّت وأخطأت؛ فأنت كالذين قال فيهم النبي ﷺ: "يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ إِلى صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ إِلى صِيَامِهِ، وقِراءتَه إلى قِراءَتِه، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"، وقال فيهم: "كِلابُ أهل النّار"، وقال: "لَئِنْ أَدْرَكْتُهُم لأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ عاد"، مع أنّ الواحِد فيهم يقول: أنا لا أُريد إلا وَجْهَ الله؛ ومع ذلك عَدَّهُم النبي ﷺ وذَكَرَهُم بالصّفات التي ذكرنا لك.

هل عَذَرَهُم الله سبحانه وتعالى وقال لنا: قولوا اجتَهَدوا فأخطأوا؟ لا، لا يوجد مجال لقول: (اجْتَهَدَ وأَخْطَأَ) هنا؛ لأنّ هذه المَسائِل لا عُذْرَ فيها لمُجْتَهِد.

يعني: هل يمكن أن تكون نيّة الشخص صحيحة ولا يكون مَعْذورًا ويكون من أهل النّار؟

نعم يمكن، قال الله سبحانه وتعالى: {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأعراف:30] يَحْسَبون أَنَّهُم مُهْتَدون، وقال في الآية الأخرى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف:103-104]، وقد قال بعض السَّلَف رضي الله عنهم: هذه في أهل البِدَع، يَظُن نَفْسَهُ أَنَّهُ يُحسِن صُنْعًا ويَظُنْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُهْتَدٍ ولكنه من أهل النّار؛ لأَنَّهُ سَلَكَ طَريقًا حَرَّمَهُ الله عليه وأَوْجَبَ عليه طريقًا فترَكه وسَلَكَ الطَّريق الآخر.

إذن خلاصة افهَموها جيدًا؛ وهي: أنّ مَسائِل الشَّريعة قِسْمان:

قِسْمٌ يجوز فيه الاجتهاد؛ كالمَسائِل الفِقهية التي خَفِيَت أَدِلّتها؛ وهذه هي التي يَنْطَبِقُ عليها قَول النبي ﷺ: "إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ واحد".

وقسم آخر لا يَجوز الاجتهاد فيه أبدًا، ومَن اجتهَدَ؛ فلا عُذْرَ له؛ وهذه التي قال النبي ﷺ في أصْحابِها: "كِلابُ أهل النّار"، "يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُم

لَأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ عاد". هذا الحديث يتنزَّلُ على هذا القِسْم، والحديث الأول يتنزَّلُ على القِسْم الأول.

فلا تَخْلِطْ بين الأمور، ولا تّذْهَب مَذْهَب المُمَيِّعة من حيث تَشْعُر أو لا تَشْعُر؛ هذا ما أراد المؤلف رحمه الله أنْ يُبينَه هنا.

قال: **(ونُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمَانَةِ، ونُبْغِضُ أَهْلَ الجَوْرِ والخِيَانَةِ)**

مَسألة الحُب والبُغْض في الله.

قوله: **(نُحِب أهل العَدْل والأمانة)** نُحِب أهل الإيمان، ونَبْغَض أهل الكُفر، يوجد أُناس هم كُفّار؛ هؤلاء نَبْغَضُهم بُغْضًا تامًّا، وأهل الإيمان نُحِبهُم.

وأمّا مَنْ جَمَع بين إيمانٍ وفِسْق؛ فهذا يُحَبُ من وَجْه ويُبْغَض من وَجْه؛ هذه عقيدة أهل السُّنة والجَماعة، فأهل السُّنة والجَماعة يُحِبون في الله ويَبْغَضون في الله كما جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: "أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ"، وقال عليه الصلاة والسّلام: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ" وذَكَر منها: "أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ".

فإذن مَحَبَتُنا للناس ضابِطُها هو قُرْبُهُم وبُعْدُهُم من الله سبحانه وتعالى؛ هذا معنى أنْ تكون تُحِبُّه في الله وتَبْغَضُه في الله، فإذا كان العَبْدُ أكثر قُرْبًا من الله سبحانه وتعالى؛ أحْبَبْتَهُ أكثر، وإذا كان أكثر بُعْدًا عن الله؛ أبْغَضْتَهُ أكثر، الكافِر نبْغَضُهُ بُغْضًا تامًّا، والمُسْلِم نُحِبُّه، فإذا كان صالحًا نُحِبُّه مَحَبَّةً تامّة، وإذا كان فاسِقًا نُحِبُّهُ من وَجْه ونَبْغَضُه من وَجْه؛ هذا معنى الحُب في الله والبُغْض في الله،{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المُجادلة:22].

فالنّاس عند أهل العِلم ثلاثة أقسام:

منهم مَنْ يُحَب مَحَبَّة خالِصة ليس معها بُغْضٌ مُطْلَقًا؛ وهم الملائكة والرسل والصحابة رضي الله عنهم والسَّلَف الصالح وأهل السُّنة والجَماعة، ومَن عُرِفَ بالتقوى والصلاح والقُرْب من الله سبحانه وتعالى.

ومَن يُبْغَض بُغْضًا خالِصًا تامًّا وهم الكُفَّار.

ومَنْ يَجْتَمِع فيه مَحَبة وبُغض؛ وهو المؤمن العاصي؛ يُحَب من وجه ويُبْغَض من وَجْه.

هذا تفصيل أهل السُّنة والجَماعة في هذه المَسْألة.

قال: **(وَنَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ)**

يعني نحن وقّافون عند كتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ، ولا نتكلّم فيما لا عِلْمَ لنا به، قال الله تبارك وتعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء:36]؛ فأهل السُّنة والجَماعة لا يَتكلّمون بلا علم، وما اشْتَبَهَ عليهم؛ قالوا: الله أعلم به، وقد سُئِل الإمام مالك عن مَسائل كثيرة؛ قال فيها: الله أعلم، لا أدري، وكذلك الإمام أحمد وغيره؛ الكثير من أهل العِلْم يُسْألون عن أشياء ويقولون: الله أعلم لا ندري؛ لأنَّهم أهل تقوى يَتكلّمون بعلم، يَتكلّمون لَمرضاة الله، لا ليُقال: عالم، ولا يُقَدّمون الرأي على الدين، والذي أهلك الكثير من الناس اليوم هو تقديم الرأي على الدين، وقد حَذَّرنا السَّلَف رضي الله عنهم؛ فقال سهل بن حُنيف رضي الله عنه: «اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ، رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَرَدَدْتُهُ؛ فحَذَّر الصحابي هذا رضي الله عنه من إعمال الرأي مع وجود النصوص الشرعية.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ)**

مسألة المَسْح على الخفين ليست من مسائل العقيدة، فلماذا أَدْخَلَها المؤلف هنا؟

لأنّ المُخالفة فيها شِعار للشيعة، لأهل البِدَع، والمَسْألة إذا صارت شِعارًا لأهل البِدَع يُعَظِّم أهل السُّنة التحذير منها ومِمَن يقول بها، حتى لو كانت مَسْألة فقهية كهذه التي مَعَنا.

المَسْح على الخُفَين سُنَة ثابتة بالتواتر، وكان عليها السَّلف الصالح رضي الله عنهم، فلذلك ذَكَرَها المؤلف رحمه الله هنا لأنَّها شِعارٌ فاصِلٌ بين السُّني والبِدْعي، الرافِضي- الشيعي- لا يَمْسَح على خُفَيه، أمّا السُّني فيمسح على الخُفَين، وقد فَصَّلنا القَول في هذه المَسْألة في مَوْضِعها من كتب الفقه.

واليَوم بدعة الاحتفال بالمولد النبوي؛ هذه صارت اليوم شِعاراً لأهل البِدَع، فلا تَجِدُ سُنيًّا يَحْتَفِلُ بهذا؛ لأنّه خِلاف ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، وأمْرٌ مُحْدَث أحْدَثَهُ الشيعة الفاطِمِيون العُبَيديُّون، وسار عليه أهل البِدَع، أمّا أهل السُّنة؛ فلا؛ فكانوا يُحَذِّرون منه من قديم إلى يومنا هذا، فصار شِعارًا فاصِلًا بين السُّني والبِدعي. والله أعلم والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الحادي والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد:

معنا اليوم الدرس الحادي والعشرون من دروس شرح "العقيدة الطحاوية".

وقفنا عند قَول المؤلف رحمه الله-: **(وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يبطلها شيء ولا ينقضها)**

(الحَجّ) وهو حَجُّ بيت الله الحَرام؛ هذه شَعيرة من شَعائِرِ الإسلام تحتاج إلى سَفَر- انتقال-، ويَكون هذا السَّفر في جَماعة يَخْرُجون، وكان يَتَولى أمر الحَجّ والجِهاد النبي ﷺ والصَّحابة رضي الله عنهم من بَعْدَه والأُمراء؛ يُرَتِّبون ويُنَظِّمون هذا العمل الجَماعي والذي يَحْتاج إلى سَفَر؛ فلا بُدَّ من سائِس يَسوس النّاس فيهما، ويُرَتِّب الأمور، ويُوَزِّع الأدوار، ويُقاوِم العَدو، فهذا العمل الجَماعي يَحْتاج تَرتيباً وتَنْظيماً ويَحْتاج إلى قائِد؛ فهو من عمل وُلاة الأمور.

وأهل السُّنة والجَماعة يَرون أنّ وَلي الأمر- إذا كان مُسْلِمًا-؛ فالجِهاد والحَجّ مَعَه واجب سواء كان بَرًّا أو فاجِرًا، صالحًا أو طالِحًا؛ فُجوره على نفسه، وما يَفْعَله للإسلام والمُسلمين يَنْتَفِعُ به الجميع، والجِهاد فيه دِفاع عن الإسلام والمُسْلمين، ورَفع لراية لا إله إلا الله، وإعلاء كلمة الحق، ودَفْع أهل الكُفر والباطل عن أهل الإسلام والدِّفاع عنهم، وفيه كَسْر شَوكة الشِّرك في الأرض؛ ففي إقامة الجِهاد مَصالِح عظيمة تَعود على المُسلمين وعلى النّاس، والأمر به مع وُلاة الأمور وطاعة وُلاة الأمور جاء مُطْلَقًا؛ يَشْمَل البَرّ والفاجِر؛ لذلك كانت هذه عقيدة أهل السُّنة والجَماعة.

والجِهاد نَوعان: جِهاد دَفْعٍ وجِهاد طَلَب.

جِهادُ الطَّلَب: غزو العَدو في بِلادِهِم، وهذا يَقوم به وَلي الأمر؛ هو الذي يُرَتِّبه ويُنَظِّمه، وهو الذي يَعْقِد الصُّلح ويُجَهِّز الكَتائِب ويَأْمر بِغَزو البَلَد التي يرى أنّ غَزوها واجِب؛ وليس هذا من عَمَل الأفراد، الأَفراد لا يَقْدِرون على هذا؛ فلم يُكَلِّفُهُم الله به.

الأمر الواجب على كل مُسْلِمٍ أنْ يَفْهَمَه: أنّ الله سبحانه وتعالى كَلَّف العِباد؛ كُلًّا بِدَور-بعَمَل-، لا يَجوز للآخر أنْ يَتَدَخَّل فيه؛ إذا لم يَكُن من المُكَلَّفين به، وإذا تَدَخَّلَ فيه وأَفْسَدَ؛ فهو آثم.

مِنْ هذا: ما يَفْعَلُهُ الخَوارِج اليوم؛ دُعاة الفَساد وسَفْك الدِّماء؛ يقولون: نُريد أنْ نَخْرُج ونُريدُ أَنْ نُقيم إمامًا للمسلمين؛ هذا عَمَلٌ لا قُدْرَة لهم عليه، ثمّ هم لا يَعْتَرِفون بجميع أئمة المُسْلمين الموجودين في هذا الزمن، ولا يَقْدِرون على ما يُريدون؛ لذلك أفسدوا في الأرض فسادًا عَريضًا، وأرادوا أنْ يَقوموا مَقام الأئمة في هذه الفَريضة؛ فَريضة الجِهاد.

هذا الجِهاد –جِهاد الطَّلَب- واجِبٌ على وَلِي الأمر، كإقامة الحدود؛ فهي واجبة على ولي الأمر، فإن لم يَفْعل ذلك؛ فهو آثم وهو الذي سَيُؤاخذ على هذا الأمر، لكن أنت لا تقوم بها-أي: إقامة الحدود-؛ لأنّ الفَساد سَيكون عريضًا مِنْ فِعْلِكَ لو فَعَلْتَه؛ كذلك جِهاد الطَّلَب-نفس الوَضع- لو فَعَلْتَه أنت؛ فَسَتُفْسِد في الأرض ولنْ تُصْلِح إلا أنْ يَشاء الله أَمْرًا؛ لذلك هو من عَمَل وُلاة الأمور وليس من عَمَلِكَ أنت، حاوِل أنْ تُصْلِح نَفْسَك وتُصْلِح من حَوْلَك وأنْ تَدعوَ إلى الله بقَدْر استطاعتك؛ هذا ما أنت مُكَلَّف بفعله، أمّا أنْ تَقوم مَقام ولي الأمر؛ فهذا ليس من عَمَلِك.

إذن هناك أعمال هي خاصّة بولاة الأمور، لا يَجوز لِفَرد مِنْ أفراد المُسْلِمين أن يَضَع نَفْسَهُ في مَحلِّه؛ كإقامة الحدود، وهناك أعمالٌ مُكَلَّفٌ بها الفَرد والإمام؛ هذه يَجِب أنْ تَتَقَيَّد بها وأنْ تَعْمَل بها.

هذه الفِقْرَة ذكرها المؤلف للرد على الرافِضة والخَوارِج؛ فالرافِضة لا يَرَون الجهاد إلا مع إمام مَعْصوم، والعِصْمَة عِنْدَهُم في اثني عشر إمامًا فقط، يعني ينتظرون الآن الإمام المُنْتَظَر عِنْدَه؛

والذي دَخَل السِّرداب وعُمْره خمس سنوات وإلى الآن ما خَرَج، وربَّما يكون الدَّجال الأخير هو الذي يَخْرجون معه؛ فلا يوجد شيء اسمه الإمام المُنْتَظَر، ما يَذْكُرونه خيال غير واقعي، لكن هذا الذي يقولونه؛ لا جِهاد إلا مع إمام مَعْصوم، وقد غَيَّروا الآن وبَدَّلوا في عَقائِدِهم، غيَّر لَهُم الخُمَيني عقيدَتَهُم؛ هؤلاء الرافِضَة.

والخَوارِج لا يَرَون الجهاد مع الأئمَة العُصاة؛ فهذه الفِقْرَة للردّ على الرافضة والخوارج.

ومِنَ المُهم أنْ نَعْلَم أنّ الجِهاد في الإسلام قد مرَّ بمراحِل- وهذا أمر مهم أنْ تَعْرِفَه؛ لتَعْرِفَ ضَلال الخوارِج وما هُم عليه اليَوم-:

مَرْحَلَة ضعف المُسلمين- العَهْد المكيّ-؛ ما أَذِنَ الله سبحانه وتعالى بالقِتال، كانوا مَأمورين بكف الأيدي وعدم القِتال؛ لضَعْف المُسلمين وعدم قُدْرَتِهِم؛ لأَنَّهم إذا خرجوا وقاتَلوا سَيُبادون؛ وهذا فِقه مهم؛ أنْ تَعْرِف قُدْرَتَك واسْتِطاعَتَك وأنْ لا تتجاوَزَها، لكن الهَوى هو الذي يُحَرِّك الخَوارِج.

مَرْحَلَة ثانية: أُذِنَ لهم بأنْ يُدافِعوا عن أَنْفُسِهِم، حين صار عِنْدَهُم شيء من القُوّة، فلما هاجَر النبي ﷺ إلى المدينة وقامت دَوْلَة الإسلام؛ أُذِنَ بالقِتال {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج:39].

مَرْحَلَة ثالثة: أُمِروا بِقِتال مَنْ قاتَل، والكَف عمّن لم يُقاتِل: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [البقرة:190]؛ وهذا قِتال الدَّفع.

المَرْحَلَة الرابعة: لمّا صار عند المُسْلِمين قُوّة وشَوكَة ولَهُم دَولة؛ أُمِروا بالقِتال مُطْلَقًا {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال:39].

قال المؤلف رحمه الله-: **(وَنُؤْمِنُ بِالْكِرامِ الْكَاتِبِينَ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ علينا حافِظِينَ)**

هذه الفِقْرَة تابعة لِفقْرَة الإيمان بالمَلائكة، هناك الكلام عن الإيمان بالمَلائكة بشكل عام، وهنا خاص بالكِرام الكاتبين؛ وهؤلاء من ضِمْن المَلائِكة؛ قال الله تبارك وتعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار:10-12]؛ يَعْلَمون أَفْعالَكُم الظاهرة، وأَطْلَعَهُم الله سبحانه وتعالى على البَواطِن أيضًا؛ على ما هَمَّ أحدنا به؛ حتى وإن لَمْ يَعْمَل؛ عَلِموه وكَتبوه، وقال تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:17-18].

قال: **(وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ)**

هذا أيضاً مِنْ ضِمْن الإيمان بالمَلائِكة؛ لكنه خاصٌّ بمَلَك المَوت ومَنْ مَعَهُ -مَنْ يُعينه-، قال الله تبارك وتعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة:11].
مَلَك المَوت يَقْبِض الرّوح ويَسْتَخْرِجها بأمر الله سُبحانه وتعالى، ثمّ يَأخُذها مِنْه ملائِكَة الرَّحمة أو ملائِكَة العّذاب؛ كل هذا بأمْر الله سبحانه وتعالى.

جاء في حديث البَراء الطويل الذي فيه أنّ المَيّت عندما يُوضَع في قَبْرِه يَأتيه مَلَكان، وقبل ذلك ذَكَر الرُّوح وكيف تَخْرُج منه، وكيف يَأْخُذها مَلَك المَوت، ثمّ يَأْخُذها منه المَلائِكة، وتتنازَع مَلائِكَة الرَّحمة وملائِكَة العَذاب، وكذلك في الرَّجُل الذي قَتَل مِائة نفس؛ هذا كُلُّه يَدُل على ما ذُكِر هنا.

قوله: **(أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ)** هنا يَتَحَدَّث الشّارح ابن أبي العِز الحَنَفي عن الرّوح، والرّوح مَخْلوقَة عند أهل السُّنة والجَماعة وعند أهل الإيمان، وهي تَنْفَصِل عن الجَسَد، وتَكَلّم الشّارِح عن هذا الأمر بِكلام طويل؛ مَنْ أَرادَهُ يُراجِعهُ هناك.

قال: **(وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ؛ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم)**

قوله: **(وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ)** يعني نؤمِن بذلك؛ نُؤْمِن بعذاب القَبر وبِفِتْنَة القَبر، **(لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا)** يعني مَنْ كان أهْلًا أنْ يُعَذَّب في القَبر؛ سَيُعَذّب، وأدِلّة عذاب القَبر كثيرة مُتواتِرة من حيث المَعنى كما جاء في الحَديث: "يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ"، كذلك قَوْل النبي ﷺ في الحديث

الذي علّمنا النبي ﷺ أنْ نَذْكُرَهُ في آخر الصّلاة، قال: "إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ؛ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ..."، وكذلك حديث البَراء وما وَرَدَ فيه من ذِكْر عذاب القَبْر، وقول الله سبحانه وتعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [إبراهيم:27]، وأَدِلَة كثيرة مُتَواتِرة؛ قال أهل العِلْم: مُتَواتِرة من حيث المَعنى؛ يعني إذا جَمَعْتَها جميعها؛ كل حديث يَدُل على عذاب القَبْر بِمُفْرَدِه.

قوله: **(وبِعَذاب القَبر)** نُؤمن بذلك، ويَكْفُرُ به بعَض أهل الضَّلال- أهل البِدَع-؛ يُكَذِّبون بعَذاب القبر،: ويَقولون لا يوجَد عذاب قَبْر، ويَقيسون الأمور بِعُقولِهم.

هذا أمْر غيبي نحن لم نَطَّلِع عليه، فإذا جاءَنا الخَبَر به؛ نُسَلِّم ونؤمن بذلك فقط.

قوله: **(وَسُؤَالِ منكر ونكير فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم)**
فقط هذا هو؛ جاء الخَبَر عن الله، جاء الخَبَر عن أصْحاب النبي ﷺ يُؤَكِدون؛ إذن انتهى الأمر؛ نؤمن به.
في حديث البَراء الطويل قال: " إذا وُضِع في قَبْرِهِ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ؛ فَيُجْلِسَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ ما دينُك؟ وماذا تَقول في هذا الرَّجل الذي بُعِثَ فيكم..." إلى آخر الحديث، فهكذا جاء الحديث وهكذا نُؤمن به؛ وهذا الفَرْق بين أهل السُّنة وأهل البِدَع؛ إذا جاءَهُم الخَبَر عن الله وعَن رسول الله ﷺ؛ لا يُعارِضونه بعُقولهم وأهْوائِهِم؛ إنّما يُسَلِّمون؛ يُؤمنون ويُسَلِّمون ويَنْقادون، هذا اختبار من الله سبحانه وتعالى لِعباده، وبِهذا يَظْهَر المُؤمن من الكافِر، والمُصدِّق من المُكذِّب.

قال: **(وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرانِ)**
جاء في الأحاديث: أنّه يُوضَع في قَبْرِه وأنَّه يُعَذَّب إذا كان يَسْتَحِقُ العَذاب، ويَكون قَبْرُه حُفرة من حُفَر النار؛ تُفْتَح له طاقة إلى النّار ويُعَذَّب، والصالِح تُفْتَح له طاقَة إلى الجنَّة ويُنَعَّم، وقال

الله سبحانه وتعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر:46] النّار يُعْرَضون عليها؛ أين؟ في قُبورِهم.

وقال الله تبارك وتعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة:21]؛ قالوا: العَذاب الأدنى هو عَذاب القَبر.

وقال النبي ﷺ: "إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ"، وقال النبي ﷺ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"، هذا كُلُّه فيه إثبات بأنّهم يُعَذّبون، ومن هذا العَذاب: العَذاب في النّار.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، والعَرْضِ والحِسابِ، وقِراءَةِ الكِتابِ، والثَّوابِ والعِقابِ، والصِّراطِ والمِيزانِ)**

قوله: **(ونُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ)** أي أنّ النّاس سَيُبْعَثون.

والبَعْث: القِيام من القبور؛ {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين:6]، بعد القَبْر يقوم النّاس من القُبور {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء:104].

قوله: **(وَجَزاءِ الأَعْمالِ يَوْمَ القِيامَةِ)** أي: أنّ النّاس سَتُجازى على أعمالها؛ المُحْسِن بإِحْسانِه والمُسيء بإساءتِه.

قال: **(وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ)**

(الْعَرْضِ) عَرْض الخَلائِق على الله {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة:18]، {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الكهف:48]؛ يُعْرَضون على الله حُفاةً عُراةً غُرْلًا؛ أي: غير مَخْتونين.

(والحِساب) على الأعمال؛ المؤمن يُحاسَب على حَسناتِه وسيئاتِه وتُوزَن الحَسَنات والسَّيئات، والكافر يُقَرَّر بِذنوبه وكُفْرِه ولا حَسَنات له؛ لأنّها تَذْهَب.

(والكُتُب) صَحائِف الأعمال التي عَمِلوها في الدنيا.

قوله: **(وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ)**؛ كل هذا يُثْبِتُهُ أهل السُّنة ويؤمنون به.

(قِراءة الكِتاب) كما قال الله تبارك وتعالى: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء:14].

(والثّوَاب والْعِقاب) يعني: الثَّواب على الحَسَنات، والعِقاب على السَّيئات.

(والصِّراط) هو الجِسر المَنْصوب على مَتْن جَهَنَّم، وهو أَحَدُّ من السَّيف وأدَق من الشَّعر وعليه حَسَكٌ وكَلاليب تَخْطِف النّاس- تَخْدشهم- كما ذَكَرناه في شرح "العقيدة الواسطية"، وفَصَّلْنا في هذه كُلِّها هناك.

وكذلك **(الميزان)** يؤمن أهل السُّنة والجَماعة بالميزان، وقد فَصَّلنا القَوْل هناك أيضًا.

قال المؤلف رحمه الله-: **(وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبيدانِ، وأن اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ له، وصائِرٌ إلى ما خُلِقَ لَهُ)**

(والجَنّة والنّار مَخْلوقَتان) مَوجودَتان.

ومِنْ أهل البِدَع من قال: غير موجودَتين الآن، فردّ عليهم المؤلف بهذا، وذَكَر أنَّهما مَخْلوقَتان مَوجودَتان الآن.

المُعْتَزِلة يَقولون: إنّ الجَنّة والنّار غير مَخْلوقتين الآن، لكن يَخْلُقهم الله يوم القِيامة.

طبعًا عِنْدَهُم شُبُهات عقلية؛ يقولون: ما فائدة خَلقِهم الآن؟ لا داعي لهما.

قال الله سبحانه وتعالى: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [آل عمران:131] هذا في النّار، وقال في الجَنّة: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران:133]؛ وهذا بحمد الله أمْر مُتَّفَق عليه بين أهل السُّنة والجَماعة.

وقدْ ذَكَر الشّارِح رحمه الله جُمْلَة من الأحاديث والآيات التي تَدُل على أنّ الجَنَّة والنّار مَخْلوقَتان.

قوله: **(لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تبيدان)** هذا أيضًا ما عليه أهل السُّنة والجَماعة.

ولا تَغْتَرّوا بما قالَه الشّارِح ابن أبي العِز الحَنَفي رحمه الله بأنّ بَعْض السَّلَف قال بفناء النّار؛ هذه عقيدة فاسِدَة ما قالَها أحد من السَّلَف، قال الشارح: (قال ببقاء الجنّة وبِفناء النّار جَماعة من السَّلف والخَلَف)؛ هذا خطأ، أمّا فناء الجنّة؛ فلم يَنْقُله عن أحد من العُلَماء؛ إلا الجَهْم بن صَفوان وهذا إمام المُعَطِّلَة، وقال: ليس له سَلَف قَطْ لا من الصّحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ونقول بِفَناء النّار كذلك؛ هو قَوْل باطِل ولا يجوز القَول به.

وكلام الجَهْم بن صَفوان في هذه المَسألة قد تَقَدَّم معنا في أول شرح الطّحاوية.

وأمّا هذه المَسْألة وهي فناء النّار؛ فقد قال الشيخ الألباني رحمه الله: (لَمْ يَثْبُت القَول بفناء النّار عن أحد من السَّلف؛ وإنّما هي آثار واهية لا تَقوم بها حُجَّة، وبَعْضُ أحاديثه مَوضوعَة، لو صحَّت؛ لَمْ تَدُل على الفناء المَزْعوم، وإنّما على بقاء النّار وخُروج المُوَحِّدين منها، وقد كُنْتُ خَرَّجْتُ بعض ذلك في الضَّعيفة برقم (606) و (706)، ثمّ وقفت على رسالة مَخْطوطَة في مكتبة المكتب الإسلامي للعلامة الأمير الصنعاني في هذه المَسْألة الخطيرة، ردّ فيها على ابن القيم رحمه الله، فعلَّقت عليها وخرَّجْتُ أحاديثها وقدّمتُ لها بمُقَدِّمة ضافية، وقد طُبِعَتْ بعِناية المكتب الإسلامي) انتهى. أنْصَح بقراءة هذه الرسالة في هذا الموضوع ففيها ردّ جيد، وهذا القَول قَول باطِل لا يَجوز القَول به ولا يُصار إليه، وقد ذَكَر هناك الأدلة على أنّ النار لا تَفنى.

ومن الأدلة على أبديَّة الجنّة قول الله تبارك وتعالى: {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود:108]، وقَول النبي ﷺ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ؛ يُؤتى بِالْمَوْتِ على صُورَة كَبْشٌ فَيُذْبَح، ويُقال: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ" هذا في أَبَدِيَّة الجَنّة وأَبَدِيّة النّار.

وقَدْ ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى الخُلود في الجَنَّة وفي النّار كما في قوله تبارك وتعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [المائدة:37]، {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [النساء:57]، {وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر:48]، وآيات وأحاديث كثيرة ذكرها أهل العلم في شُروحهم هنا؛ فلا نُطيل بذكرها.

المهم هنا أنْ نَعْلَم بأنّ القول بفناء الجَنّة أو فناء النّار قَوْل باطِل، ولا يَجوز أنْ يَتَبناه أحد يَنْتسبُ إلى السُّنة؛ لأنّ الأدلة واضحة وصريحة في الكِتاب والسُّنة، والأدلة التي يَتَعَلَّق بها مَنْ يَقول بفناء النّار أدلة واهية ضعيفة.

وللشيخ محمد أمين الشنقيطي ردّ طويل على الذين يقولون بفناء الجنّة والنّار في سورة الأنعام في كتابه "دَفْع إيهام الاضطراب عن بعض آي الكتاب".

قال: **(وأن اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا)** خلق لهما أهلًا كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأعراف:179].

قال: **(فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ)**

يعني: أنّ الله سبحانه وتعالى يُدْخل من شاء الجنّة ويُدْخِل من شاء النّار، والأعمال أسباب؛ فَمَنْ شاء أنْ يُدْخِلَه الجنّة أدخلَه بفضْلِه، لكن الأعمال أسباب {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل:32] بسبب؛ إذن لا بُدَّ من هذا السبب لدخول الجنّة أيضًا، وسبب دخول النّار الأعمال السيئة؛ الكفر والمَعاصي، ودخول الجنّة يكون بفضل الله سبحانه وتعالى تَفضُلًا منه، فمهما عَمِل ابن آدم من الأعمال الصالحة؛ فإنها لا تُقابِل الجنّة؛ وإنّما يَتَفَضَّل الله عليه بذلك.

قال: **(وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ)**

إنْ كان من أهل السَّعادة؛ فَسَيَعْمَل بِعَمَل أهل السَّعادة، وإنْ كان من أهل الشَّقاوة؛ فَسَيَعْمَل بعمَل أهل الشّقاوة، وقال عليه الصَّلاة والسّلام: "اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ"، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى

(6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل:4-10].

قال أهل العلم: فالأعمال هي التي تَحْكُمُك؛ إن كانت صالحة؛ فأنت مُيَسَّر لليُسرى، وإن كانت سيئة؛ فأنت مُيَسَّرٌ للعُسْرى.

والله أعلم. والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الثاني والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد:

فمعنا اليوم الدرس الثاني والعشرون من دروس شرح "العقيدة الطحاوية".

قال المؤلف رحمه الله: **(والخَيْرُ والشَّرُّ مُقَدَّرانِ على العِبادِ)**

رجَعْنا إلى مَسْأَلَة القَدَر؛ وقدْ تَكَلَّمنا على هذه المَسألَة فيما تَقَدَّم بما يَكفي.

الخير والشّر مُقدَّران على العِباد كما جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: "وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"؛ فكل شيء مُقدَّر، كلّ شيء بقَدَر كما قال عليه الصلاة والسّلام: "كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ".

قال: **(وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ، مِنْ نَحْوِ التوفيق الذي لا يَجوزُ أَنْ يُوصَفَ المَخْلوقُ بِهِ؛ فَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ والوُسعِ والتَّمكُّنِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ؛ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ؛ وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَا يُكَلِّفُ الله نفسا إلا وسعها} [البقرة: 286]، وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ هي خَلْقُ اللَّهِ، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ)**

ما ذَكَرَهُ المؤلف رحمه الله في هذه المَسْأَلَة هو أيضًا تَفْرِيعة على مَسْأَلَة القَدَر، وهذه المَسألة مَبْنِيَة على عقيدَتِك في القَدَر- مَسْأَلَة الاسْتِطاعة- وتَقْسِيم الاسْتِطاعة إلى قِسْمَين، ما ذَكَرَهُ المؤلف رحمه الله؛ هي عَقيدَة أهل السُّنة، وهي فَصْل القَول في المَسْأَلَة.

ما هي المَسْأَلَة؟ ما صورَتُها؟ ما الأَقْوال فيها؟ ما قَول أهل السُّنة والجَماعة فيها؟ ما هي أَدِلَّتُها؟ هذا هو الذي نريد أنْ نُرَكِّز عليه حتى نَفْهم موضوعنا.

الآن نحن نُريد أنْ نَتَصَوَّر ونَعْرِف عَقيدَة أهل السُّنة ونَعْرِف الدَّليل ونَعْرِف مَنْ خالَف. والحمد لله.

مَسْأَلَة الاسْتِطاعة:

ما المَقصود بالاسْتِطاعَة هنا؟ الاسْتِطاعَة هي القُدْرَة، الطاقَة، الوُسْع؛ كل هذا يُطْلَق عليه الاسْتِطاعَة؛ القُدْرَة على الفعل.

قال المؤلف: **(وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التوفيق)**
يقول المؤلف: الاسْتِطاعَة نوعان:
الاسْتِطاعة بمعنى التَّوفيق؛ وهي القُدْرَة المُوجِبة للفعل.
ماذا يعني بـ(موجِبَة للفعل)؟ يعني أنّ الفعل يَحْصُلُ ويَقَعُ مَعَها، وهذه مُقارِنَة للفعل- مَعَهُ-.
والنوع الثاني: اسْتِطاعَة بمعنى الصِّحَّة وسَلامَة الآلات وحُصول الأسباب التي لا بُدَّ منها في الفعل؛ فهذه الاسْتِطاعَة هي تَوَفُّر الأسباب والآلات، وهذه الاسْتِطاعَة تكون قبل الفعل.

ركِّزوا معي! اسْتِطاعَتان: اسْتِطاعَة هي القُدْرَة على الفعل؛ عندنا زيد وعمرو، زَيد عندَهُ كل ما اشْتُرِط، وكل الآلات والأسباب التي تُمَكِّنُهُ من الحَجّ؛ فهو قادِر على الحَجّ؛ مُسْتَطيع على الحَجّ؛ هذه نوع من أنواع الاسْتِطاعَة؛ النوع الأول الذي نتحدَّث عنه، زيد هذا في بيته وكل الأسباب والآلات التي تُمَكِّنُهُ من الحَجّ مُتَوَفِّرة مَوجودة، وعمرو مثله تمامًا كذلك، تحَقَّقَت فيهما الاسْتِطاعَة الأولى؛ إذ إنّ كل واحد منهما قادر على الحَجّ؛ الأسباب مُتوفِرة، الآلات موجودة، وكل شيء مُتَيَسِّر، ما بقي أيُّ مانِع يَمْنَع من الحَجّ ومن قَبول الحَجّ، إذا هم فَعَلاه.

هذا النوع الأول من الاسْتِطاعة؛ وهو الذي يَتَعَلَّق به التكليف، العَبْد لا يكون مُكَلَّفًا إلا أنْ تَكون عنده هذه الاسْتِطاعَة؛ {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:286]، {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن:16].

هذا معنى الاسْتِطاعَة هنا، فإذا كان العَبْد غير قادِر على الحَجّ؛ فهو هنا غير مُكَلَّف بالحج؛ لَمْ يُؤمَر بالحَجّ أصلًا؛ لأنَّهُ غير مُسْتَطيع، هذه الاسْتِطاعَة التي يتحَدَّث عنها المُسْلمون عندما تقول له: لماذا لا تَذْهَب إلى الحجّ؟ يقول لك: والله أنا غير مُسْتَطيع؛ إمّا لِعَدَم المُكْنَة المالِية أو لِعَدَم الحصول على التأشيرة- هذه الأسباب- غير مُتَوَفِّرة.

وإذا سألت آخر وقلت له" لماذا لا تَحجّ؟ يقول لك: والله كل شيء جاهِز، عندما يأتي مَوْعِد الحَجّ؛ سَأَذْهَب، إذن هذا مُسْتَطيع؛ هذا النَّوع الأول من الاسْتِطاعَة.

وهذا الذي يقول فيه أهل السُّنة والجَماعة: بأنّ هذه الاسْتِطاعَة تكون قبل الفِعْل مَوجودَة، وهذه الذي يَتَعَلَّق بها التَّكليف؛ أي: أنّ الله سبحانه وتعالى لا يُكَلِّف عبدًا غير مُسْتَطيع؛ إنّما يُكَلِّف مَنْ كان مُسْتَطيعًا.

وهذا معنى قَول النبي ﷺ " صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ"؛ هذا النّوع الأول من الاسْتِطاعَة.

إذن دَعونا نُلَخِّص هذا الموضوع نقول: هذا نوع من الاسْتِطاعَة؛ بمعنى: تَوَفُّر الأسباب والآلات فقط، وهذا النوع من الاسْتِطاعَة مَوجود عند زَيد وعند عَمرو.

جاء مَوعِد الحَجّ، ذهب زَيد إلى الحَجّ، وعمرو لَمْ يَذْهَب.

لماذا ذَهَبَ زَيد ولَمْ يَذْهَب عمرو؟ مع أنّ كلًا منهما قادِر على الحَجّ، مُسْتَطيع، ومُتَوَفِّرة الأسباب والآلات وكل شيء؛ لا يُوجَد أيُّ مانِع يَمْنَعَهُما؟ لكن زَيداً أَطاعَ الله سبحانه وتعالى وذَهَب، وعمرو عصى الله سبحانه وتعالى ولم يَذْهَب؛ لا يُوجَد عِنْدَه أي عُذْر، ولكن لا يُريد أنْ يَحُجّ فقط؛ عصى، وذاك أطاع.

الآن زَيد عَمِل وفعل؛ وُجِدَتْ اسْتِطاعَة لِزَيد إضافيَّة غير الاسْتِطاعَة الأولى فَعَلَ بها، وأما عمرو فهذه الاسْتِطاعَة؛ ما وُجِدَت عِنْدَه؛ لم يَفْعَل؛ هذه الاسْتِطاعَة هي اسْتِطاعَة التَّوفيق من الله سبحانه وتعالى؛ هذه تكون من الله؛ هذه التي قال الله سُبحانه وتعالى في الكُفّار:

{مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} [هود:20]، وقال أيضًا: {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا} [الكهف:101]؛ هذا النوع الثاني من الاسْتِطاعَة، هنا ليس المعنى أنَّهُم لا يَسْمَعون الأَصْوات، لا؛ بل هُم يَسْمَعون الأصْوات {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ}، كانوا يَرَوْن الصور أمامَهُم ويَسْمَعون الأصْوات يُدْرِكونَها؛ لكنّها من غَير نَفْعٍ؛ لا تَنْفَعُهُم، غير نافِعَة لهم؛ لم يُؤمنوا، لمْ يَسْتَجيبوا لِما سَمِعوا.

هذه الاسْتِطاعَة المَنْفِيَّة هنا هي الاسْتِطاعَة التي تكون مع الفعل، هذه ليست مَناطًا للتكليف، هو مُكَلَّف وإنْ كان غَير مُسْتَطيع بهذا المَعنى؛ فهذا توفيق من الله سبحانه وتعالى، يهدي مَنْ يَشاء ويُضِل من يشاء؛ فهذه الاسْتِطاعَة يَمُنُّ الله تبارك وتعالى بها على مَنْ يَشاء من عِباده.

إذن هذه الاسْتِطاعَة نُسَميها التَّوفيق، وهذا معنى أنْ يَقول العُلماء هي القُدْرَة المُوجِبَة للفِعل؛ يعني لا بُدَّ أنْ يَحْصُل الفعل معها؛ هذه مُقارِنَة للفعل، تكون مَعَه؛ هي بمعنى التَّوفيق من الله سبحانه وتعالى.

إذن هما اسْتِطاعَتان، والأدلّة التي ذكَرناها، إذا فَرّقْتَ بالاسْتِطاعَة التي ذَكَرنا بين الاسْتِطاعَة الأولى والاسْتِطاعَة الثانية؛ انْكَشَفَ عِندَكَ الإشكال وزال، واسْتَطَعْتَ أنْ تَجْمَع بين الأدلّة بشكل صحيح؛ فَتُنَزِّل كل دليل على نَوعٍ من الاسْتِطاعَة؛ هذا قَوْل أهل السُّنَة والجَماعَة، وفيه الجَمْع بين الأدلّة الشَّرعية كلّها، فالمَفْروض الآن أنْ تَكون واضِحَة.
إذن صار عندنا اسْتِطاعَة بمعنى التَّوفيق، واسْتِطاعَة بمعنى تَوفُّر الأسباب والآلات.
انْقَسَمَ أهل البِدَع في هاتين الاسْتِطاعَتين إلى قِسْمين؛ مع أنَّهُم كلّهم اتَّفقوا على أنّها اسْتِطاعَة واحدة، هم يُثْبِتون اسْتِطاعَة واحدة؛ جميعًا كل أهل البِدَع- وأهل السُّنة فقط يُثْبِتون اسْتِطاعَتين- لكن يُثبِت هؤلاء ما يَنْفي أولئك، ويُنْفي هؤلاء ما يُثْبِت أولئك؛ بمعنى انقَسَمَ أهل البِدَع إلى قِسْمين:
قِسْمٌ: يثْبت الاسْتِطاعَة بمعنى التَّوفيق، ويَنْفي الاسْتِطاعَة بمعنى توفُّر الأسباب والآلات.

والقِسْم الثاني: يُثْبِت الاسْتِطاعَة؛ بمعنى: تَوَفُّر الأسباب والآلات، ويَنْفي الاسْتِطاعَة التي بمعنى التّوفيق.

الآن من خِلال ما دَرَسْتُم؛ لأنّ هذه المَسْأَلة مُتفَرِّعَة على مَسْأَلة القَدَر وعَقيدَتُكَ في القَدَر؛ فماذا تقول في القدر؟ تُفَرّع عليه هذه.

وأهل البِدَع كانت أُصولُهُم مَبنيّة بَعْضُها على بَعْض؛ فهم يَعْلَمون هذا ولا إشْكال عِندَهم فيه، فإذا جئت للقدري؛ فلا يُمْكِن أنْ تَجِد قَدَرياً يُثْبِت الاسْتِطاعَة؛ بمعنى التَّوفيق؛ لأنَّه يَصيرُ مُتناقِضًا؛ هذه المَسْأَلة لا تَرَكَب على تِلك، هذه مَسْأَلَة مُتَفَرِّعَة على أصْلِهِ، أَصْل القَدَري أنَّه لا يُثْبِت التَّوفيق أصْلًا، الله سبحانه وتعالى لا يهدي مَنْ يشاء، ولا يُضِل من يشاء عند القَدَري، القَدَري عِنْدَه: العَبْد هو الذي يُضِل نفسه ويَهدي نَفْسَه اسْتِقْلالًا- هذا القَدَري-؛ إذن هو لا يُثْبِتُ أصْلًا الاسْتِطاعَة التي بمعنى التَّوفيق، فلا يُمْكِن أنْ يُثْبِت لك هذه الاسْتِطاعَة بناءً عل أَصْلِه.

كذلك الجَبْري الذي يَقول بأنّ الهِداية والتَّوفيق من الله والعَبد لا عَلاقَة له بهذا، وحَرَكَتُهُ وأَفْعاله بمَنْزِلَة حَرَكَة ورقة الشَّجَر في مَهَبِّ الريح؛ ما الذي يثبته هذا وما الذي يَنفيه؟

هو يُثْبِت التَّوفيق؛ ليس عِنْدَه مُشكلة مع هذا، لكن عِنْده مُشْكِلَة في الأسباب والآلات؛ فلذلك يَنْفي الاسْتِطاعَة بهذا المعنى- بمعنى الآلات والأسباب-، ويُثْبِت الاسْتِطاعَة بمعنى التَّوفيق؛ هكذا تَنْبَني على أُصولِهِم.

إذن هذه المَسْأَلة مُتَفَرّعَة عن عقيدة القَدَر؛ الجَبْر، والقَدَر، وعقيدة أهل السُّنة والجَماعة؛ ثلاث أقوال:

أهل السُّنة والجَماعَة يُثْبِتون أنّ الله سبحانه وتعالى يَهدي مَنْ يَشاء ويُضِل مَن يشاء، وأنّ العَبْد لا يُمكن أنْ يَهتدي إلا بتَوفيق من الله تَبارك وتعالى، ويُثْبِتون أنّ العَبْدَ يَفْعَلُ حقيقةً، ويُثْبِتون الأسباب والآلات؛ إذن يُثْبِتون الاسْتِطاعَة الأولى والثانية.

الجَبْرية يُثْبِتون الاسْتِطاعة التي بمعنى التَّوفيق، ويَنْفون الاسْتِطاعَة التي بمعنى توفر الأسباب والآلات.

القَدَرِيَّة يُثْبِتون الاسْتِطاعَة التي بمعنى تَوَفُّر الآلات والأسباب، ويَنْفون الاسْتِطاعَة التي بمعنى التَّوفيق.

وبهذا تَنْبَني هذه التَّفريعات على الأصول؛ كُلّ على أصْلِه.

واسْتَدَلّ كل منهم بجزء من الأدلّة وتَرَك الجزء الآخر، ونحن كالعادة نَرُدّ على القَدَرِيَّة بأدلة الجَبْرِيَّة، ونَرُد على الجَبْرِيَّة بأدلة القَدَرِيَّة، ونُوَفِّق بين الأدلة كلها بما ذكرنا؛ فأهل السُّنة دائمًا هم أسْعَد النّاس بالعَمَل بجميع الأدلة.

الأدلة التي ذكرنا؛ مثل: قَول الله تبارك وتعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن:16]، {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران:97]، "وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ"؛ هذه الاسْتِطاعَة بمعنى توفُّر الأسباب والآلات.

أما قول الله تبارك وتعالى: {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} [هود:20]، {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا} [الكهف:100-101]؛ فهذه الاسْتِطاعَة هي اسْتِطاعَة التَّوفيق.

هؤلاء اسْتَدَلوا بهذه الأدلّة، وأولئك اسْتَدَلوا بالأدلة الأخرى؛ فلذلك اضْطَربوا وتَخَبَطوا في فَهْم الآيات؛ هذه هي مَسْألتنا، وهذه صُوَرتها، وقَول أهل السُّنة فيها، وأقْوال أهل البِدَع، وأدلة كل طَرَف من الأطراف، وكيف تَوَفَّق بين الأدلة.

طبعًا الجَبْرِيَّة- ومَعَهُم الجَهْمِيَّة والأشاعِرة- هؤلاء الذين أثْبَتوا النَّوع الأول؛ وهو الاسْتِطاعَة التي بمعنى التَّوفيق.

المُعْتَزِلَة والقَدَرِيَّة ما أَثْبَتوا إلا النَّوع الثاني الذي يَكون قبل الفعل؛ وهو توَفَّر الأسباب والآلات.

ولكن هنا أمر مهم أُريد أنْ أُنَبِّه عليه؛ هذه المَسْأَلَة كما ذكرنا هي مَسْأَلَة الاسْتِطاعَة والتَّخَبُط الذي حَصَلَ فيها، قَوْل كل فِرْقَة مبنيّ على أصْلِها، كل فَرَّع هذا التفريع بناءً على أصْلِه، وهذا البِناء صحيح، تَجِدُهم مُنْضَبِطين-وإن كان اعتقادهم باطِلاً-، لا تَجِد عِنْدَهُم تَخَبُطًا وتَناقُضًا؛ وهذه المَسْأَلَة مهمة جدًا، يَنْبَغي على طالب العلم أنْ يَتَنَبَّه لها، كبِناء مَسْأَلَة تَرك أعمال الجوارِح على مَسْأَلِة الإيمان، كبناء مَسْأَلة حَصْر الكُفر بالتَّكْذيب على مَسْأَلِة الإيمان؛ فيأتي شخص ويَقول لك: الإيمان اعتقاد وقَول وعمل، تسأله ما هو الكُفر؟ يقول لك: الكُفْر هو التَّكْذيب؛ هذا تَخَبَّط، تَناقَض، اضْطَرَب؛ هذا لا يَقول به أحد نهائياً؛ لأنّ أهل البِدَع عندهم انْضِباط في بناء الجُزْئِيات على الأصول؛ فالمُبْتَدِع عندما يُعَرِّف الكُفر؛ يقول: الكُفْر هو التكذيب؛ لأنّ عنده الأصْل الذي هو: الإيمان هو التَّصديق؛ إذن الأمور مُنْضَبِطَة عِنْدَهُم؛ هذا التَّفريع مبني على هذا التأصيل، فبناء على هذا التأصيل؛ هذا البِناء صحيح، لكنّ القَول فاسد من أصله؛ لأن الأصل فاسد.

أهل السُّنّة لمّا قالوا: الإيمان اعتِقاد وقَول وعَمَل، ماذا قالوا في الكُفر؟

قالوا: يكون بالاعْتِقاد والقَول والعَمل؛ لأنّ هذا راكب على هذا؛ مَبْني عليه.

وهذه المَسألة كذلك –مَسْألة الاسْتِطاعَة-؛ كذلك مَبنيّة على أُصول كل فِرْقَة.

نرجع الآن إلى كلام المؤلف؛ سَيَصير عندنا واضِحًا:

قال: **(وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْفِعْلُ)** ماذا يعني يَجِبُ بها الفعل؟ يعني: يَحْصُل الفِعل ويَقَع لا بُدّ، **(مِنْ نَحْوِ التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المَخلوق به)** لأنّ هذه الاسْتِطاعَة هي من عند الله سبحانَه وتعالى؛ ليست من فعل العَبد، هي توفيق من الله تبارك وتعالى؛ فهذه الاسْتِطاعَة معناها التَّوفيق.

قوله: **(فهي مَعَ الْفِعْلِ)** هذه تكون مع الفِعْل، يَمُنُّ الله سبحانه وتعالى بها على مَنْ يَشاء من عِبادِه.

قوله: **(وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ والوَسْع والتمكن وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ)** الاسْتِطاعَة بهذا المعنى **(فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ)** هذه التي يَحْصُل بها التَّكْليف أصْلًا؛ لذلك قال: **(وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ)** يعني الله سبحانه وتعالى يَأْمُر وينهى بناءً على وُجود هذه الاسْتِطاعَة عند العَبْد، فإنْ لم يكُن مُسْتَطيعًا؛ فهو غير مُكَلَّف، وإنْ كان مُسْتَطيعًا؛ فهو مُكَلَّف، **قال: (وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَا يُكَلِّفُ الله نفسا إلا وسعها} [البقرة: 286]).**

قوله: **(وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللَّهِ وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ)** لا بُدَّ من التَّوفيق بين الأمرين.

لماذا ذَكَر هذا في الأخير؟ لأنّ المَسْأَلَة مبْنيَّة على هذا أيضًا، أفعال العِباد: هي خَلْقُ الله وكَسْبُ العِباد.

الجَبْرِيَّة والجَهْمِيّة: يقولون العَبد مَجبور، ليس له دَخل في أفعالِه؛ فهي خَلْق الله تبارك وتعالى، العَبْد لا عَلاقَة له بها أصْلًا، فالعَبْد مَجْبور على الصَّلاة عندما يُصلي، ولا يُصلي من عِنْده؛ بل الله سبحانه وتعالى جَبَرَه على هذا- تعالى الله عمّا يَقول الظالِمون-، عندَهُم غُلو في إثبات هذه المَسْأَلَة؛ ما مَعْنى هذا؟

معناه أنّ الله يَظْلِم العِباد؛ فيُعَذِّبهم على شيء هم لم يَفعلوه ولم يَخْتاروه أصْلًا، ولا اسْتِطاعَة لهم عليه؛ فهو يُعَذِّبهم على فعل ليس لهم، ولا لَهم فيه اختيار ولا شيء؛ هذا مَذْهب الجَبْرِيَّة.

والقَول الثاني: أنّ العِباد هم الذين يَخْلقون أَفْعالَهم، والله سبحانه وتعالى لا يَخْلُق أَفْعال العِباد؛ فالله سبحانه وتعالى لا يَتَدَخَّل فيها مُطْلَقًا؛ لا خَلْقًا وإيجادًا، ولا تَقْديرًا لها، ولا شيء؛ هي مِن خَلْق العَبد؛ هو نَفْسه خَلَقَ أَفْعالَه، وعنده مَشيئَة مُسْتَقِلَّة عن مَشيئة الله سبحانه وتعالى.

وهذ مَعْناه أنّ الله إذا أراد شيئًا والعَبْدُ أراد شيئًا؛ أنّ إرادَة العَبد غالِبة لإرادة الله، وأنّ العَبد خالِقٌ مع الله- نعوذ بالله-؛ هذه عقيدتهم في خَلْق أفعال العِباد.

أمّا أهل السُّنة والجَماعَة؛ فيقولون: أفعال العِباد هي فِعْلهم؛ فَعَلوها بمشيئتهم وقدرتهم؛ لهم مَشيئة، ولهم اختيار، هم يَخْتارون؛ فهم يَفعلون، وهم يُريدون الفعل؛ مُخْتارون له غير مجبورين عليه؛ فلهم اختيار ولهم قُدْرة على الفعل، ولكنّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق للعِباد والخالِق لأفعالهم {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات:96]، {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر:62]، {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ} [فاطر:3]؛ فالله سبحانه وتعالى مُنْفَرِد بالخَلق، والعَبْدُ له مَشيئة، والله سبحانه وتعالى له مَشيئة في أفعال العباد وفي كل شيء؛ لكنّ مَشيئة العبد تابِعَة لمشيئة الله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير:29]، {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان:30]؛ أثبت مشيئة للعَبد، {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير:28]؛ يعني: اختيار هذا الشيء؛ وهذا ردّ على الجَبْرِيَّة، {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}؛ وهذا ردّ على القَدّرِيَّة.

إذن الاسْتِطاعَة بمعنى تَوَفُّر الأسباب والآلات ثابِتَة قبل الفعل، والاسْتِطاعَة بمعنى التَّوفيق هذه مُقارِنَة للفِعل، والعَبْدُ له اختيار، له مَشيئَة، يَفْعَلُ بمَشيئته، وهو غير مُجْبَر، له قُدرة على الفعل، والله سبحانه وتعالى خالق أفعال العِباد، وما يَشاء العَبْدُ إلا أن يشاء الله، فمشيئة العَبْد تابِعَة لمشيئَة الله؛ هذه خُلاصَة المَسْألة.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، ولا يُطيقونَ إلَّا ما كَلَّفَهُمْ؛ وهوَ تفسيرُ: "لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله"، نقولُ: لا حيلَةَ لِأَحَدٍ ولا حَرَكَةَ لأَحَدٍ ولا تَحَوُّلَ لأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إلَّا بِمَعونَةِ اللهِ، ولا قُوَّةَ لأَحَدٍ على إقامَةِ طاعَةِ اللهِ والثَّباتِ عليْها إلا بتَوْفيقِ اللهِ)**

قوله: **(وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ)** يعني: أنّ الله سبحانه وتعالى لم يأمُرهم إلا بأمْر هم يسْتَطيعون عليه، ولم يَنْهَهم عن تَرْك شيء إلا هم قادرون على تَرْكِه.

(إلا ما يُطيقون) أي: إلا ما يَقْدِرون عليه.

قوله: **(وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ)** قال أهل العِلم: هذه الجُمْلَة غير مُسَلَّمة؛ هذه خطأ (وَلا يُطيقُونَ إلا مَا كَلَّفَهُم) لا؛ هم يَقْدِرون على أكثر مما كَلَّفَهُم؛ لكنّ الله سبحانه وتعالى رَحِمَهُم ومنَّ

عليهم وتَفَضّل أن لم يُكَلِّفهم بأشياء كثيرة هم يسْتَطيعون عليها؛ لكنّ الله سبحانه وتعالى أراد بهم اليُسْر وأرادَ التخفيف عليهم، ولمْ يُرد بهم العُسْر، فلمْ يَشُق عليهم.

والدّليل على هذا: كثير من الأحكام كانوا قد كُلِّفوا بها ثمّ نَسَخَها الله سبحانه وتعالى؛ تيسيرًا وتَخْفيفًا على العِباد، قال الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة:185]، ولمّا أراد بعض المسلمين من الصّحابة أنْ يَزيد في العِبادات لمّا سَمِعَ عبادة النبي ﷺ؛ قال الراوي: "كأنّهم تَقّالوها" أي: رأوها قليلة؛ فذهبوا يُريدون الزيادة في العِبادات؛ قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أُفْطِر، وقال الآخر: أما أنا أصلي ولا أنام، وقال الثالث: أمّا أنا فلا أتَزَوّج النِّساء؛ من أجل الزيادة في العِبادات؛ كانوا قادرين على هذا؛ فأَرادوا أنْ يَفْعَلوه، لكنّ النبي ﷺ نهاهم عن هذا؛ فقال: "أمّا أنا فأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".

والأدلّة في هذا المعنى كثيرة، وكانت هناك أحْكام مَفْروضَة على اليهود، كان فيها مَشَقَّة؛ خَفَفَها الله عنّا ورَحِمَنا وما كَلَّفنا بها؛ إذن هذه الجملة فيها نَظَر.

قوله: **(وَهُوَ تَفْسِيرُ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ " نَقُولُ لا حيلة لأحد ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ الله)**

(لا حَوْلَ) أي: لا تَحَوُّل من حال إلى حال إلا بالله، الله سبحانه وتعالى يُعين العَبْد؛ فيَحْصُل منه هذا، وإلّا هو في نَفْسِه؛ لا تَحَوُّل له من حال إلى حال إلا بالله سبحانه وتعالى، وكذلك ليس له قُوّة إلا من الله عزّ وجل.

قال أهل العِلْم: في هذا تَسْليم وبَراء من الحَوْل والقُوّة، فالإنسان لا يُعْجَبُ بِحَوْله ولا بقُوَّته؛ وإنّما يَرْجِع إلى الله سبحانه وتعالى؛ فيَسْتَعين بالله، فيُعينُه الله على الطّاعة، ومن التّحَوُّل من المعصية إلى الطاعة، ومن الكُفر إلى الإسلام، وكل شيء بحول الله وقُوَّتِه؛ فالإنسان لا قُدرة له إلا أنْ يَسْتَعين بالله سبحانه وتعالى على قضاء أموره؛ فالله هو المُوَفِّق.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وقضائه وقَدَرِه، غَلَبَتْ مشيئته الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وغَلَبَ قَضاؤهُ الحِيَلَ كُلَّها، يَفْعَلُ ما يَشاءُ وهو غَيْرُ ظالِمٍ أَبَدَاً، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سوءٍ وحَيْنٍ، وتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 23])**

{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير:29]؛ كل شيء بقدر الله وقضاءه كما قال النبي ﷺ: "كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ".

قوله: **(غلبت مشيئته الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا)** {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

قوله: **(وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا)** يعني: كل الأسباب وكل الطُّرق التي يَفْعَلُها الإنسان؛ كلّه في النهاية راجع إلى قضاء الله سبحانه وتعالى، لا يَسْتَطيع أنْ يَخْرُج عما قَدَّرَ الله سبحانه وتعالى، فإذا لم يُقَدِّر الله سبحانه وتعالى الأمر؛ لا يَقَع.

قوله: **(يَفْعَلُ ما يشاءُ وهوَ غَيْرُ ظالِمٍ أبداً، تقدس عنْ كُلِّ سوءٍ وحَيْن، وتَنَزَّه عن كل عَيْبٍ وشَيْن)** الله سبحانه وتعالى يَفْعَل ما يشاء من الخير والشَّر والنِّعْمَة والنِّقْمَة، وهو غير ظالم لِعباده؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يفعل كل شيء بحكمة، وقدْ نَفى عن نَفسه تبارك وتعالى الظُّلْمَ؛ فلذلك لا يَظْلِمُ الله سبحانه وتعالى أحدًا، وكلُّ ما يَفْعَله يَفْعَلُه بحكمة بالغة.

({لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} لا نَسْأَل عن قَدَر الله سبحانه وتعالى؛ لماذا قَدّر كذا؟ لماذا فعل كذا؟ نحن الذين نُسْأَل، نحن لا نَسْأَل الله لماذا فعلتَ كذا، نحن نُؤمن بأنّ الله سبحانه وتعالى، كلّ شيء يَفْعَله يَفْعَلُه بحكمة بالغة، وأنّه رحيم بعباده تبارك وتعالى، فكل ما يَحْصُل في هذا الكون دائمًا نَعْرِف أنّ من ورائه حِكْمَة نحن لا نُدْرِكُها، والله سبحانه وتعالى لا يُسْأل عن هذا الأمر وإنّما نحن نُسْأَل، ربما الله سبحانه وتعالى يُبَيّن لنا من الحِكَم ما يشاء في أفْعالِه، ويُخفي عنّا ما شاء لما أراده الله تبارك وتعالى، وقد تقدّم القول بهذه المَسْأَلَة وقلنا بأنّه لا يُسْأل بلِمَ؟ ولا كيف؟

قال: **(وفي دُعاءِ الأَحْياءِ وَصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَةٌ للأَمْواتِ)**

قال النبي ﷺ: "إِذَا مَاتَ ابن آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ".

قوله: **(وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات)** فهنا ذَكَرَ الصَّدَقة في الحديث، وذَكَرَ العِلْم وذَكَر الدُّعاء؛ هذه كلّها أفعال تنفع العَبد بعد مَوتِه.

العِلم يكون بالدروس التي يَنْشُرُها،، والكُتُب التي يُبقيها من خَلْفِه والصّوتيات، والطَّلبة؛ وكل من يَنْتَفِعُ بِعِلْمِه ويبقى مُنْتَشِرًا بين النّاس إلى يوم القيامَة.

"وَلد صالِح يَدعو له" كذلك يَنْتَفِع بدعاء ابنه الصّالح؛ لأنّ هذا من كَسْبِه؛ من عَمَلِه، يكون قد اجْتَهَد على تَربية ابنه وخَرَجَ صالحًا؛ فدُعاءه له يكون نافعًا إنْ شاء الله.

كذلك الصّدَقة الجارية؛ وهي الوَقْف، والوَقْف: هو أنْ تُوقِف عَين الشيء- أَصْلُهُ- يَكون مَوقوفًا، وتَتَصَدَّق بالمَنْفَعَة- مَنْفَعَتِه-؛ كبيت مثلًا تُوقِفُه، وسُكْنى البيت والمَنْفَعَة من سُكْناه؛ هذه تكون لك أجر مسبلة، وأحكام الوَقْف مَذكورة في كُتُب الفِقْه.

هذه الثلاثة يَنْتَفِع بها العَبد بَعْدَ مَوتِه، ثمّ بعد ذلك ما الذي يَنْتَفِعُ به؟

الأصل في هذا قَول الله تبارك وتعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم:39] ما هو من كسبه ومن عَمَلِه، ثمّ بعد ذلك اخْتلَف العُلَماء في أشياء وَحصَرَها الإمام الشافعي رحمه الله في: الحَجّ والعُمْرة والدُّعاء والصَّدَقة- هذه الأربع-، الحَجّ والعُمْرة قد ثَبَتت بها أَدِلّة، كما قال النبي ﷺ في الحج: "حُجّي عن أَبيكِ"، وفي رواية خارج الصحيح في حديث آخر: "حج عن أبيك واعتمر"- ينظر في صحتها-؛ فهذه ثبتت بها الأدلة، فما ثَبَتَ به الدَّليل؛ قال به الإمام الشّافعي، وما لم يَثْبُت به الدّليل؛ لم يَقُل.

الدّعاء محل إجماع، وهذا الحديث: "ولد صالِح يدعو له"؛ لكن بالإجماع أنَّ الدُّعاء نافِع سواء كان من الولد الصالح أو من غيرِه.

كذلك يُدْعَى للميِّت بصلاة الجنازة وغيرها، فالدّعاء نافع، والصَّدَقة الجارية من عَمله، وكذلك العِلم النافع من عمله؛ هذا كلّه يَنْفَعُه، والحجّ والعُمْرَة ثبت بها الدّليل.

نكتفي بهذا القَدْر اليوم. والحمد لله.

شَرحُ العَقيدَةِ الطَّحاوِيَّة

الدرس الثالث والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد:

فمعنا اليوم الدرس الثالث والعشرون من دروس شرح "العقيدة الطحاوية".

قال المؤلف رحمه الله: **(والله تعالى يَسْتَجيبُ الدَّعواتِ ويقضي الحاجاتِ)**
الله سبحانه وتعالى يَسْتَجيب الدَعوات- يستجيب الدعاء-، إذا دعا العَبْد رَبَّه بحاجَتِه؛ اسْتَجاب الله سُبحانَه وتعالى له إذا شاء، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة:186].

ولكن بيّن النبي ﷺ أنّ هذا الدعاء ربَّما لا يُسْتَجاب، إذا وُجِدَت مَوانِع من الاسْتِجابَة كما جاء في حديث أبي هريرة؛ الذي قال فيه النبي ﷺ: "الرَّجُلُ يُطيل السَّفَر، أَشْعَثَ أَغْبَر يَمُدُّ يديه إلى السَّماء؛ يا رب، يا رب، ومَطْعَمُهُ حَرام، ومَشْرَبُهُ حَرام، ومَلْبَسُهُ حرام، وغُذِيَ بالحَرام، فأنّا يسْتَجابُ لذلك"؛ وقد ذكرت الحديث باختصار.

فبيَّن في هذا الحديث أنّه توجَد مَوانِع تَمْنَع من اسْتِجابة الدُّعاء، ويُوجَد أيضًا أسبابٌ تُؤَدي إلى قبول الدُّعاء؛ كأنْ يَكون الدُّعاء في وقت الإجابَة، واسْتِجابَة الدُّعاء تكون بناءً على مَشيئة الله سبحانه وتعالى بما تَقْتَضيه حِكْمَتُه.

وجاء في بعض الأحاديث أنّ الدُّعاء يُسْتَجاب؛ إمّا بأنْ يُعطي الله سبحانه وتعالى الدّاعي ما دعا به، أو أنْ يَدْفَع عنه من المَضَّرة مثل ما دعا، أو أنْ يَدَّخر له ذلك عِنْدَه.

ومن مَوانِع اسْتِجابَة الدُّعاء أيضًا: الانقِطاع عنْ الدُّعاء بالاسْتِعْجال؛ فقد قال عليه الصلاة والسّلام: "يُسْتَجَابُ لِأَحدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي".

إذن هناك أسباب ويُوجَد مَوانِع والاسْتِجابَة تكون على الأَوْجُه التي ذَكَرنا.

فبالجملة نقول: الله سبحانه وتعالى يَسْتَجيبُ لمن سَأَل؛ كما في قوله تبارك وتعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، وقال الله سبحانه وتعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر:60]، وقال تبارك وتعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} [النمل:62]، والآيات في الدّعاء كثيرة؛ هذه التي ذكرنا بعضها.

والدّعاء عبادة كما قال الله عز وجل في الآية المُتَقَدِّمَة: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، ثم قال: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}؛ فالدُّعاء عبادة وصَرْفُهُ لغير الله شِرك.

وقد قال عليه الصلاة والسّلام في الحديث: " الدّعاء هو العِبادَة"، وحثّ في كثير من الآيات على دعائه وعلى تَرْك دعاء غَيره؛ فلا يَجوز دعاء غير الله، ومَنْ دعا غير الله؛ فهو مُشْرِك؛ سواء كان هذا الغَير مَلَكًا أو نَبِيًّا أو صالِحًا أو غير ذلك؛ {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} [الأحقاف:5].

والدّعاء قِسْمان:
دُعاء عِبادَة؛ وهذا يَشْمَل العِبادات كُلها؛ تُسمى دُعاء؛ فالصلاة دُعاء، والثَّناء على الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله والتّسبيح والتّهليل والتّكبير؛ كل هذا دعاء.
ودُعاء مَسْأَلة؛ وهو طَلَب الحَوائِج.

لماذا ذكر المؤلف رحمه الله هذه المَسْألة هنا؟

ذَكَر هذا لأنّ بعض أهل الضَّلال والانْحِراف قالوا: لا داعي للدّعاء، لا داعي للمَسْأَلَة بسؤال الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ كل شيء مُقَدَّر، فإذا قَدّر الله سبحانه وتعالى الشيء أنْ يكون؛ فسيكون؛ دَعَوْتَ أم لمْ تَدعُ، وإذا قَدَّر أنْ لا يكون؛ فلن يكون؛ دَعَوْتَ أو لمْ تدعُ، هذا القَول يجري على أصول الجَبْرِيَّة، والذين يُبْطِلون الأسباب وأثر الأسباب؛ وهو قَول فاسد.

هذا كما لو أنَّ شَخْصًا قال لك: لا تَتزوَّج ولا تُجامِع وسَيأْتيك وَلَد، من أين؟! كيف؟ قَدَّر الله سبحانه وتعالى لك وَلَد؛ فسيأْتيك وَلَد وإن لَمْ تَتزَوّج ولَمْ تُجامِع؛ لا يَقول هذا عاقل، فلماذا يقول الأخرى؟! هذه كتلك؛ هذه أشياء قدْ عَلَّقها الله سبحانه وتعالى بأسبابها، فإذا وُجِدَت الأسباب؛ وُجِدَت، وإذا لم تُوجَد الأسباب؛ لا تُوجَد، عَلَّق الله سبحانه وتعالى وُجود الولد بالزّواج والجماع؛ فلا يَحْصُل وُجود الولد إلا بذلك، وإنْ قَدَّرَه الله سبحانه وتعالى؛ لكنّ الله سبحانه وتعالى قَدَّرَهُ بِسَببِه، كذلك ما تَدْعو به وإنْ قَدَّرَهُ الله سبحانه وتعالى؛ لكن له سبب؛ وهو الدُّعاء، فقَدَّرَه الله بسببه، إذا أراد أنْ يَكون؛ فلا بُدَّ من حُصول السبب؛ وهو الدُّعاء.

إبطال الأسباب قَدْحٌ في العَقْلِ وضَلال؛ فهذه أشياء قد علَّقها الله سبحانه وتعالى، فإذا وُجِدَت أسْبابها؛ وُجِدَت مُسَبَباتها، والدُّعاء سبب.

قال المؤلف: **(وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلَا غنى عن الله تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ فَقَدْ كَفَرَ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ)**

قوله: **(مِنْ أَهْلِ الحَيْن)** يعني: من أهل الهلاك

قوله: **(وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ)** قال تبارك وتعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك:1]، وقال: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران:26]، وقال الله تبارك وتعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة:2-4]، ومَنْ مَلَكَ يوم الدّين؛ فقد مَلَكَ كلّ شيء.

فالله سبحانه وتعالى مالكٌ لكل شيء ولا يَمْلِكُهُ شيء {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [البقرة:107]، وهو خالِق كل شيء، فكل شيء مَخْلوق له مَمْلوك له، ورَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاء ويَخْتار.

قوله: **(وَلَا غنى عن الله تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ)** كل المَخْلوقات هي مَخْلوقات لله، وكلّها مُحْتاجة إلى الله، لا يُمْكِنُها الاسْتغناء عن الله تبارك وتعالى البَتّة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ

وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر:15]، الله غنيٌّ عن كل أحد، ليس بحاجة لأحد، وكل شيء فقيرٍ إليه مُحْتاجٌ إليه.

قوله: **(وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ)**

في الواقع والحقيقة لا يُمْكِن لأحد أنْ يَسْتَغني عن الله؛ فالله هو الذي يَرْزُقُه، هو الذي يَشفيه، هو الذي يُعينُه على أمورِه وحَوائِجِه؛ بل لا يُمْكِنُهُ التَّنَفُّس إلا بإعانَة الله له على ذلك وتَمْكِين الله له بذلك، لكن يُمْكِن لشَّخص أنْ يَزْعُم ويَدَّعي ويَكْذِب أنّه غنيّ عن الله؛ فهذا معنى قَول المؤلف: **(ومَنْ اسْتَغْنى عن الله)** -مَنْ زَعَمَ هذا- **(طَرْفَةَ عَيْن)** يعني: ولو حتى بقَدْر ما تَطْرَف العين؛ شيء قليل جدًا؛ **(فَقَدْ كَفَر)** هذا قدْ اسْتَغنى عن الله سبحانه وتعالى، فلمْ يَعْتَرِف لله بفضلِهِ عليه، ولا أقرّ بعبوديّته لله تبارك وتعالى، ولمْ يُقِرّ بربوبيّة الله له؛ أي: أنّ الله سبحانه وتعالى هو خالقه و رازِقه و مُدَبِّر أمره، لمْ يُقِرّ بهذا، ولا اعترف بأنّه بحاجة إلى ربه تبارك وتعالى في كل شيء؛ لذلك يَكْفُر.

(وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ) أي الهَلاك.

هنا نُنَبِّه عند قول المؤلف: (وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ) على قَوْل البَعْض: (ثِق بِنَفْسك، وأَثِقُ بِنفْسي)؛ هذه الكلمة تَحْتَمِلُ أَحَدَ أمرين:

تَحْتَمِل هذا المعنى الذي ذكره المؤلف من القَوم الذين يَسْتَغنون عن الله، ويَزْعُمون أنّهم قادرون على فعل ما يُريدون من غير إعانَة من الله سبحانه وتعالى ولا تَوفيق منه، ويَزْعُم أنه هو نفْسه يجب أنْ يكون واثقًا من نفسه أنّه قادرٌ على الاستغناء عن الله تبارك وتعالى وأنه يَفْعل ما يُريد؛ هذا كُفْر، وهذا يَقوله الكُفّار- معانِدين-؛ يقولون: أَثِق بنفسي، أو ثِق بنَفسك؛ فلا يَنْظُر إلى الله سبحانه وتعالى ولا إلى قُدْرَتِه ولا إلى إعانَتِه ولا شيء من ذلك؛ هذا كُفر، وهذه الكلمة مُحَرّمَة بهذا المعنى.

ولكن لها معنى آخر؛ وهو أنْ يُقال له: ثِق بِنَفْسِك؛ أي: ثِق بالآلات التي أعطاكها الله سبحانه وتعالى، وأنّ الله سبحانه وتعالى قدْ مَنَّ عليك بالقُدْرَة على الفِعْل- على فِعْل شيء مُعَيَّن-؛ فلا تَكْسَل ولا يُصيبُكَ الإحْباط بإقناعِ نَفْسِك بأنّكَ لَسْتَ قادِرًا على الفِعْل، ولكن

أعطِ نفسك القناعة بأنّك قادِرٌ على أنْ تَفْعَل بما منّ الله عليك به من الآلات والنِّعَم؛ مُسْتَعينًا بالله تبارك تعالى، واثِقًا به، آخِذًا بالأسباب، وأنّ الله سبحانه وتعالى سَيُوَفِقُكَ للعَمَل؛ هذا المعنى لا بأس به، أثِقُ بنَفسي؛ بمعنى: أنّني أَثِقُ بما أعطاني الله سبحانه وتعالى من قُدْرَة ومن آلات على الفعل، وأنّني يَجِبُ أنْ أفعل مُسْتَعينًا بالله سبحانه وتعالى لاجئًا إليه، مُتَضَرِّعًا إليه، مُعْتَقِدًا أنّه لا يُمْكِنُني أنْ أفعل إلا بِعَوْنِه، لا بَأْس بهذا.

كثير من المُسلمين يُطْلِقُها بالمعنى الثاني، وكثير من الكُفّار يُطْلِقُها بالمعنى الأول؛ والمعنى الأول كُفْري، والمعنى الثاني جائِز؛ فتَنَبَّهوا لهذا بارك الله فيكم.

والأمر كما أوصى النبي ﷺ؛ قال: " احرِصْ على ما يَنْفَعُك واسْتَعِن بالله ولا تَعْجَزْ"؛ ثِقْ بِنَفْسِك، بهذا المعنى، لاحظ قوله: "ولا تَعْجَزْ"؛ لا يُصيبُكَ العَجْز؛ تقول: أنا غير قادِر، أنا عاجِز، لا أستطيع، فتَجْلِس ولا تَفْعَل وأنت قادِر؛ أعطاك الله سبحانه وتعالى ومنّ عليك بالقُدْرَة على العَمَل، إذن "احرص على ما يَنْفَعُك" واجْعَل لديك هِمَّة وحِرْصاً على العَمل، "واسْتَعِن بالله"؛ أي: اطلب العَون من الله تبارك وتعالى؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى إنْ لَمْ يُعِنْكْ؛ لا تَسْتَطيع أنْ تفعَل شيئاً؛ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:5]؛ نَطْلُب العَون من الله سبحانه وتعالى دائمًا.

قال: **(وَاللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى)**

هذا إثبات لصفاتٍ فِعْلية؛ صِفَة الغَضَب وصِفَة الرِّضا، وهي ثابتة لله، قال الله تبارك وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة:100]؛ إذن الله يَرْضى، {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} [التوبة:72]، {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح:18]؛ هذا الرضا.

وقال في الغَضَب: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ} [المائدة:60]، {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ} [النساء:93].

إذن الله سبحانه وتعالى يرْضا ويغْضَب، كما نصّ على ذلك في الكِتاب، وجاء في السُّنة أيضاً ما يَدُل على هذا، والأدلة كثيرة.

هذه صِفات فِعْلية والصِّفات الفِعْلية لله كثيرة، وهذه الصِّفات الفِعْلية مَحَلُّ خِلاف بين أهل السُّنة وأهل البِدَع؛ أهل البِدَع لا يُثْبِتونها، ويَزْعُمونَ أنّ إثْباتها فيه تَشبيه للخالِق بالمَخْلوق؛ وهذا الكلام باطِل؛ المَخْلوق يَغْضَب ويَرْضا أيضًا ويَفْعَل أشياء؛ لكن لا مُشابَهَة بين رِضا الله وغَضَبِه، وبين رِضا المخلوق وغَضَبه.

غَضَبُ الله ورِضاه يَليق بجَلالِهِ وعَظَمَتِه، وغَضَبُ المَخْلوق يليق بِنَقْصِهِ؛ فنحن نُثْبِتُ لله سُبْحانه وتعالى ما أثْبَتَ لنَفْسِهِ من الصِّفات الذّاتية والفِعْليّة، ونُثْبِتُ للمَخْلوق ما ثَبَتَ له من الصِّفات أيضًا الذّاتية والفِعْليّة؛ لكن نَقول: صِفات الله تَليقُ بِجلالِهِ وعَظَمَتِه، وصِفاتُ المَخْلوق تليق به، ونحن في هذا على مَذْهب سَلَفِنا الصّالِح رضي الله عنه الذين أمَرَنا الله سبحانه وتعالى باتِّباعِهِم، وأَمَرَنا النبي ﷺ باتِّباعِهِم؛ لِمُفارَقَة فِرَق الضَّلال والانْحِراف، قال عليه الصّلاة والسّلام: "فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ مِنْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّين مِنْ بَعْدي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"، وقال الله سبحانه وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} [التوبة:100].

إذن هذه هي الطّريق التي أَمَرنا الله سبحانه وتعالى بالسّير عليها؛ اتّباع السّلف الصالح رضي الله عنهم {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء:115]؛ الذين هم الصّحابة، فعندما نَزَلَت هذه الآية نَزَلت على الصّحابة؛ هم المؤمنون

الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت، وقال عليه الصّلاة والسّلام لمّا خطّ خطًا مُسْتَقِيمًا؛ قال: "هذا صِراط الله"، وخطّ على جانبيه خُطوطًا وقال: "على كل صِراطٍ مِنْ هذه شيطان يدعو إليه"؛ إذن عندنا طُرُق ضَلال كثيرة وعندنا طريق حق واحد، وهذا الطّريق بيَّنه النبي ﷺ في قوله: "سَتَفْتَرِقُ هذه الأُمَّة إلى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَة كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً"، قالوا: مَنْ هي يا رسول الله؟ قال: "الجماعة" وفي رواية: "ما أنا عَلَيه وأصْحابي".

ما هو هذا المَنْهَج الذي كان عليه الصّحابة رضي الله عنهم في الأسماء والصِّفات؟
نَرْجِع إلى كتاب الترمذي رحمه الله في "جامِعِه" الحديث رقم (662) لما ذكر: "إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ} [التوبة: 104]، وَ{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} [البقرة: 276]؛ قال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ هَذَا".
اسْمَع بعد ذلك ماذا قال! قال: (وقد قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي هَذَا الحَدِيثِ وما يُشْبه هذا مِنَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ: وَنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) يَتَحَدَّث هنا عن الصِّفات الفِعلية، قال في الحديث الذي ذَكَره "إنَّ الله يَقْبل الصَّدَقة ويَأْخُذُها بِيَمينه فيُرَبيها" هنا في حَديث النُّزول إلى السَّماء الدُّنيا؛ صفات لله سبحانه وتعالى؛ صِفة فعلية، وتِلك أيضا فيها إثْبات صِفة ذاتية لله سبحانه وتعالى؛ وهي اليَمين، وفيها أنَّه يَأْخذ بها؛ صفة فعلية.

لاحظ هنا ماذا قال الترمذي رحمه الله؛ والكلام ليس للترمذي بل الكلام للسلف رضي الله عنهم؛ وهنا نركز على هذا الأمر؛ قال الترمذي: "قد تَثْبُت الرِّوايات في هذا ويُؤْمَن بها ولا يُتَوَهم ولا يُقال: كيف؛ هكذا رُوِيَ عن مالك وسُفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك؛ أَنَّهُم قالوا في هذه الأحاديث" أمروها بلا كيف".

إذن لا تأتي وتتفلسف وتقول: كيف يَنْزِل إلى السَماء الدّنيا؟ كيف يأخُذُ بيَمينه؟ كيف يَرْضى ويَغْضَب؟ الله سبحانه وتعالى أخبرَنا بهذا ولمْ يُخْبِرنا كيف؛ فنحن نُؤمن بما أَخْبَرَنا به ونَتَوَقّف عِنْدَه ولا نَزيد على ذلك؛ لذلك نقول: أَمِرُّوها بلا كيف؛ أَمِرُّوها كما جاءت على معناها الصحيح اللّغوي من غير أنْ تَسْأَلُوا عن الكيفية.

قال الترمذي: (وهكذا قَول أهل العِلْم من أهل السُّنّة والجماعة)؛ هؤلاء أهل السُّنّة والجماعة يَقولون بهذا.
مَنْ خالَفَهُم في هذه المَسْأَلة؟
قال: (وأمّا الجَهْمِيّة؛ فأنكرت هذه الروايات؛ وقالوا: هذا تشبيه)، إذا أطلق السلف رضي الله عنهم مُصْطَلَح الجَهْمِيَّة؛ فيريدون به كلّ من اسْتَعْمَلَ عَقْلَه في العقيدة؛ الذين هم أهل الرأي- المُتَكَلِّمون- أهل الرأي في العقيدة وليس في الفقه، المُتَكَلِّمون، الجَهْمِيَّة، العَقْلانيون؛ كل هذه أسماء لفِرْقَة واحدة وهم الذين خالفوا أهل السُّنّة في هذه المَسْأَلة؛ فهذه الجَهْمِيَّة تَسْمِية تشمل الجَهْمِيّة والمُعْتَزِلَة والأشاعِرة والكُلّابية والماتُريديّة؛ كلُّهم.
قال: (أمّا الجَهْمِيّة فأنْكَرَت هذه الروايات وقالوا: هذا تَشبيه)، وهذا القَوْل قَوْل الأشاعِرة والمُعْتَزِلَة والجَهْمِيَّة والماتُريديّة والكلّابيّة؛ لا يُؤمنون بالصّفات الفِعْليّة.
قال: (وقد ذَكَرَ الله عزّ وجَل في غير مَوضِع من كِتابه: اليَد والسَّمْع والبَصَر، فتَأَوّلت الجَهْمِيَّة هذه الآيات ففسروها على غير ما فَسَّرَ أهل العِلْم، وقالوا إنّ الله لمْ يَخْلُق آدم بيدِه)؛ نفي صفة اليَد، قال: (وقالوا: إنّ معنى اليَد هاهنا القُوّة) لاحظ هنا! هذا كُلُّه عليه الأشاعِرَة والجَهْمِيّة والماتُريديَة والكُلابية.

قال الترمذي: (وقال إسحق بن راهَويه: إنّما يَكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أو مِثْلُ سَمع، فإذا قال: سَمْعٌ كَسَمْعٍ أو مِثْلُ سَمع؛ فهذا تَشبيه) لاحِظ هنا الرّد عليهم في زَعْمِهِم بأنّ هذا يكون تشبيهًا إذا أَثْبَتّ صِفَة الغَضَب، أو صِفة الرِضا، أو صِفَة اليَد...إلخ؛ يقولون: هذا تشبيه.

يقول إسحاق بن راهَويه- أحد أئمة السَلف-: (إنّما يكون التشبيه إذا قال يَدٌ كيَد أو مِثْلُ يَد،)؛ هكذا يكون التشبيه؛ تُثبِت لله سبحانه وتعالى الرّضا وتقول: رِضاه هذا مِثْلُ رِضا المَخْلوق؛ عندئذ تكون مُشَبِّهًا، أو تَقول: لله رِضا ورِضا الله كرِضا المَخْلوق، (كاف) حرف التشبيه، و(مثل) التي للتشبيه، تَشَبِّه الله سبحانه وتعالى بخلقه، الله سبحانه وتعالى قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:11] كيف تذهب أنت وتُمَثِّل الله سبحانه وتعالى بخَلْقِه؛ لا يجوز، لكنه في نفس الوقت أثبتَ لنفسه الصِّفات وقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:11].

إذن نُثْبِت له الصِّفات التي أثْبَتها لنَفْسِه، ولكننا ننفي أنْ تكون مثل صفات المَخْلوقين؛ وبذلك نكون قد آمنّا بجُزْأي الآية؛ أولها وآخرها.

قال الترمذي: (وأمّا إذا قال كما قال الله تعالى: يَدٌ وسَمْعٌ وبَصَرٌ، ولا يَقول: كيف، ولا يَقول: مثل سَمْع، ولا كَسَمْعٍ؛ فهذا لا يَكون تَشبيهًا)؛ وهذه عقيدَتنا؛ لا نقول: كيف، ولا نقول: مِثْل سَمْعٍ ولا كَسَمْعٍ؛ وهو كما قال الله سبحانه وتعالى في كِتابه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

فهذا الحَقُّ ما بِهِ مِنْ خَفَاءٍ فَدَعْنِي مِنْ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ

مَنْ أراد الحق؛ فهذا هو واضِح بَيِّن صَريح، وَإِنْ أراد الباطِل؛ فهذا شأنُه.

قوله: **(وَاللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى)** أثْبَتَ صِفَة الغَضَب والرِّضا، ونفى أنْ تكون مُماثِلَة لِصِفات المَخْلوقين؛ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.
نكتفي بهذا القدر اليوم، والحمد لله.

شَرحُ العَقيدَةِ الطَّحاوِيَّةِ

الدرس الرابع والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد:

فمعنا اليوم الدرس الرابع والعشرون من دروس شرح "العقيدة الطحاوية".

قال المؤلف رحمه الله-: **(وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولا نُفرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنهُمْ، ولا نَتبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذكُرُهُمْ، ولا نَذكُرُهُمْ إلا بِخَيْرٍ، وحُبُّهُمْ دينٌ وإيمانٌ وإحْسانٌ، وبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفاقٌ وَطُغْيانٌ)**

حُبُّ الصَّحابَة دين.

و**(الصَّحابِي)** هو مَنْ لَقِيَ النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك- هذا تعريفه؛ هذا هو الصَّحابي الذي له فضيلة الصُّحْبَة؛ مَنْ لَقِيَ النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، فلا بُدّ مِنْ أنْ يكون قد لَقِيَ النبي ﷺ، سواء لَقِيَهُ وهو أعمى، أو لَقِيَه وهو يرى؛ المُهم أنّه لَقِيَه، لكن إذا لَمْ يَلْقَه حتى لو آمن؛ لا يكون صحابيًّا كالنجاشي مثلًا؛ فإنه آمن في عهد النبي ﷺ لكنه لَمْ يَلْقَه؛ فلا يكون صحابيًّا، وكذلك المُخَضْرَمون؛ هؤلاء من التّابعين عاشوا في عهد النبي ﷺ، لكنّهم لم يَلْقوه؛ لذلك لا يكونون من الصَّحابَة.

والصَّحابي لَقِيَ النبي ﷺ، وعندما لَقِيَه كان مُؤْمِنًا، ومات وهو مُؤْمِن؛ وإنْ تَخَلَّلَ ذلك رِدّة- على الصحيح من أقوال أهل العِلْم- أيضًا يَبْقى صحابيًّا بما أنَّه مات مُؤمِنًا؛ العِبْرة أنه في الأخير مات مُؤْمِنًا؛ هذا هو الصَحابي.

وأصحاب النبي ﷺ هُم أفضل النّاس بعد الأنبياء والرُّسل، وقد ذُكِرَ في فَضْلِهِم الكثير مِنَ الآيات والأحاديث، مِنْ ذلك قول الله تبارك وتعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح:18]، وقال سُبحانه: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}
[الفتح:29]، وقال سُبحانه وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}
[التوبة:100]؛ إلى آخر ما وَرَد في ذلك؛ وهو كثير.

وقد أَفْرَدَ العُلماء رحمهم الله في فَضْلِهم الكُتُب والمُصَّنَفات؛ ومِنْ هذه الكُتُب: "كتاب فضائل الصّحابة" للإمام أحمد رحمه الله؛ وهو كِتاب نَفيس في هذا الباب.

هؤلاء أَصْحاب النبي ﷺ قال فيهم عبد الله بن مَسْعود رضي الله عنه: (إنَّ الله نَظَرَ في قُلوب العِباد فاخْتار مُحَمّدًا فبَعَثَهُ بِرِسالَتِه وانْتَخَبَهُ بِعِلْمِه، ثم نَظَرَ في قلوب النّاس بعدَه فاخْتارَ له أَصْحابَه؛ فَجَعَلَهُم أَنْصار دينه ووُزَراء نَبِيّه ﷺ).

وفي الرواية التي عِنْد الإمام أحمد في "فَضائِل الصَّحابَة"؛ قال: (إنَّ الله نَظَرَ في قُلوب العِباد بَعْدَ قَلْبِ محمد ﷺ؛ فَوَجَدَ قُلوب أَصْحابِهِ خير قُلوب العِباد وجَعَلَهُم وُزَراءَه) فهم أَفْضَل العِباد مَنَ الإنْسِ والجن بعد الأَنْبياء والرُّسل.

قوله: **(وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ)** حُبُّ أَصْحاب النَّبي ﷺ من الحُبّ في الله، وقد قال النبي ﷺ: "آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ"، وقال: "أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ"؛ فنحن نُحِبُّ أَصْحاب النبي ﷺ لمَحبّة الله عزّ وجَل لهم ولمَحبّة النبي ﷺ، ولأنَّهم نَصروا نَبيّه ﷺ وجاهَدوا في سبيل الله ونَشَروا الإسلام وحَملوه وبَلَّغوه أَحْسَنَ بَلاغ؛ لذلك نُحِّبهُم.

هذا الموقف الواجِب للمُسْلِمِ من الصَّحابَة؛ لذلك قال المؤلف: **(وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)؛** فنحن مَأْمورون بِمَحَبَّتِهِم، ومِنْ عَقيدة أهل السّنة والجَماعَة مَحبَّتُهم.

قوله: **(وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ)**

(الإفراط) هو الغُلُو؛ أي: لا تَغْلُوا في حُبِّ أحدٍ منهم، فالحُب المُعْتَدِل لهم هو الواجِب؛ الذي ليس فيه إفراط، وليس فيه تَفْريط.

ليس فيه إفراط كما فعلت الرّافِضَة مع أهل البيت؛ علي بن أبي طالب والحُسَين وأبناء الحُسين؛ هذا اسمه إفراط؛ مُبالَغَة، غُلُوٌّ في حُبِّهِم؛ إذ إنَّهم لمْ يُحِبوهم مَحَبّة شرعية؛ بل بالَغوا وأَحَبوهم مَحَبَّة شِرْكيَة؛ لذلك ما الذي فعله علي رضي الله عنه مع أول مَنْ خَرَج منهم في عهده؟

حَرَّقَهُم بالنّار؛ لأنَّهُم جَعَلوه في مَنْزِلَة ربِّ العالمين تبارك وتعالى؛ لهذا حَرَّقَهُم؛ وهم السبئية.

فنحن نُحِبُّ أَصْحاب النبي ﷺ باعْتِدال؛ بلا إفراطٍ ولا تَفريط؛ لذلك يقول المؤلف هنا: **(وَلَا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ)** ولا واحداً؛ منهم حتى أبو بكر الذي هو أفضَل الصّحابَة رضي الله عنهم نُحِبُّه مَحبَّةً شَرْعِيَّة، ونُعْطيه مَنْزِلَتهُ التي أعاطاه إياها ربُّنا تبارك وتعالى، من غير إفراطٍ ولا تَفريط؛ وهكذا جميع الصّحابَة؛ وبهذا نُفارِق الرَّافِضَة الذين غَلَوا في بَعْضِ أصْحاب النبي ﷺ؛ تَجاوَزوا الحَدّ فأَنْزَلوهم مَنْزِلة الرُّبوبيَّة- مَنْزِلَة الرَّب تبارك وتعالى-؛ جَعَلوهم آلهَة مع الله تبارك وتعالى، وجَعَلوهُم بِمَنْزِلَة الأنبياء أيضًا؛ هذا كُلُّه من الغُلُو.

وهذا حَقيقَتُهُ ليس حبًّا؛ لأنّ مَنْ يُحِبُّهم مَحَبّة حقيقية يَتَّبِعُهُم ويَقْتَدي بهم فيما كانوا عليه من حَق ودين، ويَتَرَضَّى عَلَيهم؛ هذه المَحبَّة الحقيقية {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران:31].

قوله: **(وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ)** هذا رَدٌّ على الرّافِضَة وعلى النَّواصِب أيضًا.

الرَّافِضَة الذين يَبْغَضون أصحاب النبي ﷺ- الشِّيعَة، والشِّيعَة أَصْناف، الرَّافِضَة منهم-؛ هؤلاء يَبْغَضون أَصْحاب النبي ﷺ ويُكَفِّرون أَصْحاب النبي ﷺ، إلا قِلَّة قليلة.
أمّا أهل السُّنة والجماعَة؛ فلا؛ لا نَبْرَأ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحاب النبي ﷺ؛ بل نُحِبُّهُم جميعًا، ونَعْتَدِل في حُبِّهِم جَميعًا، الرَّافِضة يَبْغَضون أبا بكر وعُمر وعُثمان رضي الله عنهم وجميع الصَّحابَة إلا القليل.

والنَّواصِب هم الذين يَنْصِبون العِداء لآل بيت النبي ﷺ حتى مِنَ الصّحابَة، وهؤلاء قَصَّروا في حبِّ أصحاب النبي ﷺ مِنْ آل البيت، وهؤلاء على بِدْعَة، وأولئك على بِدْعَة، وأهل السُّنّة وَسَط بين هؤلاء وهؤلاء؛ فهم يُحِبّون جَميعَ أصحاب النبي من آل البيت وغَيرِهِم، ويَتَوَلَّونهم، ويَتَرَضَّونَ عنهم، ويَسْتَغْفِرون لهم، ولا يُنْزِلونهم مَنْزِلَةً لا تَليقُ بهم ولَيْسَت لَهُم.

قوله: **(وَنَبْغَضُ مَنْ يَبْغَضُهُمْ)** هذا دين؛ الحُب عِنْدَنا في الله والبُغْض عِنْدَنا في الله؛ لأنّ النبي ﷺ قال: " وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ"، هؤلاء مُنافِقون؛ فنحن نَبْغَضُهُم في الله؛ لأنّ "أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ"، وهؤلاء أعْداء الله مُنافِقون- الذين يَبْغَضون أَصْحاب النبي ﷺ- فنحن نَبْغَضُهُم، وبُغْضُهُم دين؛ فَنَبْغَضُ الرَّافِضَة الذين يبغضون أصحاب النبي ﷺ، ونَبْغَضُ النَّواصِب- أي: الذين نصبوا العداء لآل بيت النبي ﷺ.
قوله: **(ونَبْغَضُ مَنْ يَبْغَضُهُم، وبِغَيْرِ الخَيرِ يذكُرُهُم)** أي: يَذْكُرُهُم بالشَّر، نبْغَضُ مَنْ يَبْغَضُهُم ويَذْكُرُهم بالشَّر؛ لأنّ هذا في الحقيقة يُريد هَدْمَ دين الله، فَمَنْ أَبْغَضَ أَصْحاب النبي ﷺ وذَكَرَهُم بالشَّر؛ فقد هَدَمَ الدِّين، الدِّين وَصَلَنا عن طريق أَصْحاب النبي ﷺ، فمتى كان أَصْحابُ النبي ﷺ يُذْكَرون بالسُّوء والشَّر ويُطْعَن فيهم ويُفَسَّقون ويُكَفَّرون؛ فقد انتهى الدين، القرآن ما جاءنا إلا عن طريق الصَّحابة، السُّنّة ما جاءتنا إلا عنْ طَريق الصَّحابَة، فَمَنْ يَبْغَضُ الصَّحابَة ويَطْعَن في الصَّحابَة؛ إنّما يُريدُ دينَنا؛ نَتَّهِمُهُ على الدِّين.

والطريق الذي يُوصِل إلى الصَّحابَة هو مُعاوِيَة بن أبي سُفيان، وأبو هُريرة، وعائِشَة، يَتَدَرَّج هؤلاء، فأول ما يَبْدَؤون بالطَّعن في مُعاوِيَة رضي الله عنه، حتى يَصِلوا بَعْدَ ذلك بالتّدَرُج إلى مَنْ هو أعلى منه وأفْضَل منه من الصَّحابَة رضي الله عنهم كأبي بَكْر وعُمَرْ.

فَمَنْ تَكَلَّمَ في مُعاوِيَة؛ اتَّهَمْناه على الدّين، مَنْ تَكَلَم في أبي هُرَيرَة؛ اتَّهَمْناه على الدِّين، مَنْ تَكلَّم في عائشة؛ اتَّهَمْناه على الدِّين، أبو هريرة روى لنا الآلاف من أحاديث النبي ﷺ يُريدونه من أجل ماذا؟ مِنْ أجل إسْقاطِ السُّنّة.

فَمَنْ يَطْعَنْ في أبي هُريرة نَتَّهِمُه على الدِّين، مَنْ يَطْعَن في مُعاوِية نَتَّهِمُهُ على الدِّين، مع أنّ الطَّعِن في واحد مِنْ أصْحاب النبي ﷺ كافٍ في بُغْضِ المُتَكَلِّم فيه والطَّاعِن فيه، لكن مع ذلك هو يُريد ما هو أَعْظَم من هذا؛ يُريد الدِّين؛ هذه طريقة الرَّافِضَة، فنحن نَبْغَضُهم في الله؛ لأنّ الحُب والبُغْض عندنا في الله.

قوله: **(وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ)** لا نَذكُر أَصْحاب النبي ﷺ إلا بخير؛ لقول النبي ﷺ: "إذا ذُكِرَ أَصْحابِي فَأَمْسِكُوا"، وقال: "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ"؛ فالواجِب هو التَّرَضِي عَنْهُم والتَّرَحُم عليهم وعَدَمُ ذِكْرِهِم إلا بخير؛ فالله سبحانه وتعالى قال: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر:10]؛ هذا هو الواجب.

قوله: **(وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وطُغْيان)** هذا لِما ذَكَرنا، فهذه عَقيدَتُنا، وهذا دينُنا، فهذا الذي ذَكَره المؤلف هنا في أصحاب النبي ﷺ أَصْلٌ عَظيمٌ عِنْدَنا، ونُخالِفُ به الرَّافِضَة والنَّواصِب.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَنُثبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه؛ تَفْضِيلاً لَهُ وَتَقْدِيمًا على جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، ثُمَّ لعثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه؛ وهُم الخُلَفاءُ الرَّاشِدونَ والأَئِمَّةُ المَهْدِيونَ)**

هؤلاء هم الخُلَفاء الرَّاشِدون الذين قال فيهم النبي ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"، وقال عليه الصلاة والسلام: "الخِلافَة مِنْ بَعْدِي ثلاثون سَنَة"؛ وهذه الثلاثون سَنَة قد خُتِمَت بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت الخِلافَة في هؤلاء الأربعة؛ لذلك قال العلماء: (إجماع الخلفاء الأربعة حُجَّة)؛ للحديث الذي ذَكَرْنا.

الخِلافَةُ بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر الصِّديق؛ هذه عَقيدَة أهل السُّنّة والجَماعَة، ومَنْ خالَفَ في هذا؛ فهو ضال مُبْتَدِع؛ مَنْ لَمْ يُثْبِت الخِلافَة لِأبي بَكْر بعد النبي ﷺ أو شَكَّكَ في خِلافَة عُمَر مِنْ بَعْدِه أو عُثمان أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بالترتيب الذي ذُكِر؛ هذا في الخِلافَة، وقَدْ قَدَّمنا القَول في هذه المَسْأَلَة في كُتُب العَقيدة السابِقَة.
المهم أنْ نَعْلَم هنا أنّ الخِلافَة مُتَّفَقٌ عليها بين أهل السُّنّة والجَماعَة؛ لأبي بَكْرٍ أولًا بعد النبي ﷺ، ثم لِعُمَر، ثمّ لِعُثمان، ثمّ لعلي بن أبي طالب- بهذا التَّرتيب-، وقد اتَّفَقَ الصَّحابَة رضي الله عنهم على هذا، وسارَ جميع المُسلمين على ذلك، فَمَنْ خالَفَ في ذلك؛ فهو ضالٌ مُبْتَدِع مُنْحَرِف.

وخالَف في هذا: الشيعة؛ يَزْعُمون أنّ الخِلافَة لعلي بن أبي طالب وليست لأبي بَكْرٍ الصِّديق، ويَزْعُمون أنّ النبي ﷺ قد أوصى بها له؛ وهذا الكلام باطِل وكَذِب، وما كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لِيَسْكُت عنْ وَصية رسول الله ﷺ لو كانت كذلك؛ هذا أمْرٌ مُجْمَعٌ عليه عند أهل السُّنّة والجَماعَة؛ وخالَفَتْ فيه الرَّافِضَة كما ذَكَرنا.
ولا أَعْلَمُ خِلافًا بين أهل السُّنّة في أنّ مَنْ خالَفَ في هذا؛ فهو ضال مُبْتَدِع.

أمّا التَّفضيل: فأبو بَكْر أَفْضَل هذه الأُمّة بعد نبيِّها ﷺ، ثمّ عُمَر، ثمّ عُثْمان، ثمّ علي بن أبي طالب؛ هذا ما عليه أهل السُّنّة والجَماعَة.

حَصَلَ خِلافٌ قديم في التَّرتيب ما بين علي وعُثْمان في التَّفضيل لا في الخِلافَة- انتبه-، أمّا الخِلافَة، فَمَنْ قَدَّمَ عليًّا على عُثْمان؛ فهو ضال مُبْتَدِع، وأمّا في التَّفضيل؛ فهل يُبَدَّع أم لا؟ هذه المسألة مَحَل خِلاف؛ مَنْ قَدّم عليًّا على عُثمان هل يُبَدَّع أمْ لا؟ مَحَل نِزاع، أمّا في الخِلافَة؛ فلا نِزاع؛ أنَّه يُبَدَّع ويُضَلَّل.

لكن أهل السُّنّة والجَماعَة غالبُهُم على تفضيل عُثمان على علي، وحديث ابن عُمَر رضي الله عنه دليل على هذا- دليل على تَّفضيل عثمان-، قال ابن عمر: "كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، ثُمَّ نَسَكْتُ"، وفي رواية: "كُنَّا نَقُولُ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ نَسْكُتُ"؛ هذا الحديث هو الحُجَّة في تَفْضيل عُثْمان على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، والتَّفضيل بهذه الطّريقة كما ذَكَرْنا، هذا ما عليه أهل السُّنّة والجَماعَة؛ خِلافًا للرّافِضَة الشّيعة الذين طَعَنوا في خِلافَة هؤلاء الأئِمّة، وقالوا: علي بن أبي طالب هو المُقَدَّم.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَأَنّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ- وَقَوْلُهُ الْحَقُّ-؛ وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وعليٌّ وطَلْحَةُ والزُّبَيْر وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَأَبُو عبيدة بن الْجَرَّاحِ؛ وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهم أجمعين)**

أهل السُّنّة والجَماعَة يَعْتَقِدون أنّ أفْضَل هذه الأمّة بعد نبيِّها هو أبو بَكْرٍ ثمّ عُمَر ثمّ عُثْمان ثمّ علي، هؤلاء الخُلَفاء الأَرْبَعَة هم أَفْضَل هذه الأمّة بعد النبي ﷺ، وبهذا التَّرتيب.

ثمّ يأتي بَعْدَهُم بقِيّة العَشَرَة؛ لهذا ذَكَرَهُم المؤلف هنا، المؤلف ذَكَرَ العَشَرَة هنا لأنَّ السِّتّة يَأتون بعد الأربعة، في الفَضل: أبو بَكْرٍ الصِّديق، عُمَر بن الخطاب، عُثْمان بن عفان، علي بن أبي

طالب- بهذا التَّرتيب- طَلْحَة بن عُبيد الله، الزُّبير بن العَوّام، سَعْد بن أبي وقّاص، سَعيد بن زيد، عبد الرحمن بن عَوف، وأبو عُبيدة بن الجراح؛ هؤلاء نَشْهَدُ لهم بالجنّة.
الفَضْل تَكلَمنا عنه، والآن: الشّهادة لهم بالجَنّة، ونحن قرّرنا- فيما تَقدّم- أنّ أهل السُّنّة والجماعَة لا يَشْهدون لمُعَيَّنٍ بجنة ولا نار إلا مَنْ شَهِدَ له رسول الله ﷺ بذلك، أو جاء نَصّ في الكِتاب بذلك، وهؤلاء قدْ شَهِدَ لهم النبي ﷺ بذلك؛ فقال: "أبو بَكْر في الجنّة، وعُمَر في الجَنّة، وعُثْمان في الجنّة..." إلى آخر الحديث.
هل هؤلاء العَشَرَة فقط هم الذين شَهِدَ لهم النبي ﷺ بالجَنّة؟ لا.

لماذا إذن نَذْكُر هؤلاء العَشَرَة؟ لأنَّهم ذُكِروا في حَديثٍ واحد، فَكَما شَهِدَ لَهُم النبي ﷺ؛ نحن نَشْهَد لهم؛ خِلافًا للرافِضَة الذين يُكَفِّرون أَكْثَر هؤلاء الصَّحابَة ويَجْعَلونَهُم مِنْ أهل النّار.

وأهل السُّنّة والجَماعَة يَشْهَدون لَهُم بما شَهِدَ لهم النبي ﷺ.

قال: **(وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَد بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ)**
هنا يَذْكُرُ **(مَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ)** أهل بيت النبي ﷺ طَعَنَ فيهم النّواصِب، وأهل السُّنّة والجَماعَة يُحِبونَهُم ويَتَرَضَون عنهم.

ومِنْ أهل البيت الذين طُعِنَ فيهم أيضًا: زوجات النبي ﷺ طَعَنَ فيهنّ الرّافِضَة، فنساء النبي ﷺ- أزْواجُه- مِنْ آل بيتِه، والله سبحانه وتعالى قال: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب:33]؛ الخِطاب لهُنّ، فأول مَنْ يَدْخُل في أهل البيت زوجاته، ثمّ قَرابته عليه الصلاة والسلام؛ وهم آل العباس وآل أبي طالب و آل الحارِث بن عبد المُطَّلِب.

الرّافِضَة يَقْدَحون في عائِشة ويَصِفونها بِأنّها زانية، وقدْ بَرّأها الله سبحانه وتعالى مِنْ هذه التُّهْمَة؛ فهذا منهم تَكْذيب لله تبارك وتعالى عزّ وجل سبحانه، ووصْفٌ لله بِأنّه زوّجَ رَسوله من امرأة تُوصَف بهذا الوصف؛ هذا كُفْر بالله.

وذُرِّيّاتُه هم أولاده عليه الصلاة والسلام وأولاد ابنته فاطمة وهم الحَسَن والحُسَين وأولادهما؛ هؤلاء مِنْ ذُرِّيّته.

(وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ) يعني ذُرّياتِهِ المُطَهَّرين **(مِنْ كُلِّ رِجْسٍ)**

قوله: **(فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ)** فالطَّعْن فيهم نِفاق؛ وهذا يَشْمَل الرَّافِضَة والنَّواصِب.

قال: **(وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ؛ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ؛ فهوَ على غَيْرِ السَّبِيلِ)**
أهل العِلْم من الصّحابَة والتّابعين وتابعيهم مِنْ أئمة الهدى.

قوله: **(عُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ)** أصْحاب القرون الثلاثة الأولى: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"؛ هؤلاء القرون الثلاث، عُلَماؤهم مِنْ أهل السُّنّة والجَماعَة أهل خير وأهل فَضْل، الواجِب احترامهم وتَقْديرهم ومَحَبّتهم ومَعْرِفَة فَضْلِهِم ومَعْرِفَة مَكانَتِهِم؛ هؤلاء علماء هذه القرون الثلاثة التي هي خير القُرون، وعُلَماء هذه الأمّة العامِلون بعِلْمِهِم هم خَير قَرْنِهِم، فإذا كان هؤلاء القُرون الثّلاثة أهل فَضْل وأهل خير وأفْضَل هذه الأمّة؛ فعُلَماؤُهُم هم أَفْضَلُهُم؛ فالواجب مَعْرِفَة قَدْرِهِم ومَعْرِفَة مكانتهم واحْتِرامهم.

وأهل العِلْم لهم فضائِل كثيرة، كل الفَضائِل التي وَرَدَت في أهل العِلْم تَشْمَلُهُم، كقول الله تبارك وتعالى:{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ} [آل عمران:18]، {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة:11]، {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[فاطر:28] إلى آخر النصوص الكثيرة؛ فيَشْمَلُهُم هذا؛ فالواجب مَعْرِفَة فَضْلِهِم.

وقد قال عليه الصلاة والسّلام في الحديث: "وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا ولا دينارًا وإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ"؛ فاحترام العُلماء وتَقْديرُهم ومَعْرِفَة مَكانَتِهِم واجِب شرعي؛ لِما حَباهُم الله تبارك وتعالى به.

طبعًا الكلام هنا كُلُّه في علماء أهل السُّنّة والجَماعَة، وليس في عُلَماء أهل البِدَع.

عندما يُذْكَر: (لحوم العُلَماء مَسْمومَة) مَنْ المَقْصود بها؟

المقصود: عُلَماء أهل السُّنّة والجَماعَة وليس عُلَماء أهل البِدَع، أولئك قال فيهم النبي ﷺ: " فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ"؛ فقد حَذّر منهم النبي ﷺ، وقال: " دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ قَذَفُوهُ فِيهَا"؛ إذن هؤلاء يُحَذَّر منهم.

كذلك علماء الخَوارِج؛ قال فيهم عليه الصلاة والسلام: "لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ"، وقال: "كِلابُ أَهْلِ النّار"، إذن يُقال: مثل هذه الفَضائِل كلّها لا تُنَزّل على هؤلاء، ولا يَشْمَلُهم هذا؛ هذا الفَضْل لأهل السُّنّة والجَماعَة.

العُلماء أنواع؛ يوجد عُلَماء بِدْعَة وضَلالَة، وعُلَماء سُنَّة وهِدايَة، والفَضْل لعُلماء أهل السُّنّة والجَماعَة العامِلين بِعِلْمِهِم، المُعْتَقِدين عقيدة السَّلَف، المُنْتَهِجين مَنْهَج السَّلَف الصّالِح رضي الله عنهم؛ هؤلاء هم المَقصودون بهذا.

قوله: **(وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فهو على غير السبيل)** كما قال أبو زُرْعَة رضي الله عنه: (مِنْ عَلامَة أهل البِدَع الوَقيعَةُ في أهل الأثَر) عَلامَة تَدُل على ذلك، العالِم إذا عُرِف بالسُّنَّة وعُرِف بالخَير واشْتُهِرَ بذلك بين النّاس؛ فالذي يُعاديه يُعاديه على اتِّباعِه، على سُنَّتِه، على عَقيدَتِه، فمِثْل هذا يُظَنُّ به سوءً، كما قال عليه الصلاة والسلام في الصحابة: "آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ

الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَار"، لماذا يُحِبّ الأنصار ويَبْغَض الأنْصار، ماذا يوجد بيننا وبينَهُم ؟

بينَنا وبينَهُم الدِّين، نصَروا الإسلام، فيه إيماءٌ إلى المَقْصود، أوْمأ إليه بقوله: (الأنْصار نَصَروا النبي ﷺ)، نَصَروا دين الله تبارك وتعالى؛ لذلك يُحِبُهُم أو يَبْغَضُهُم؛ هذه علامة.

كذلك صاحب السُّنّة إذا عُرِفَ بالتَّوحيد وعُرِف بالسُّنّة وبالاتِّباع، وَأَبْغَضَه من أَبْغَضَه؛ فعلى ماذا يَبْغَضُهُ؟

على عَقيدَتِه ومَنْهَجِه؛ فهذا مُبْتَدِع ضال؛ هذه علامَة، لذلك قال أبو زُرْعَة رضي الله عنه هذه المَقالَة.

والله أعلم، والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس الخامس والعشرون

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المَبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد:

فمعنا اليوم الدرس الخامس والعشرون من دروس شرح "العقيدة الطحاوية".

وَقَفْنا عند قول المؤلف رحمه الله: **(وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِياءِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ)**

مَنْ هو الوَلِي؟ ومَنْ هو النبيّ والرَّسول؟
تَقدَّم مَعَنا ذِكْر الفَرْق بين الرَّسول والنبيّ، وعَرَفْنا مَنْ هو الرَّسول ومَنْ هو النبيّ؛
(فالرَّسول)[1] أعم وأَشْمَل؛ فكل رَسول نبيّ، وليس كلّ نبيّ رسولًا، فالرُّسُل أَفْضَل، ثمّ يأتي بَعْدَهُم الأنبياء، والرُّسُل والأنبياء أَفْضَل مِنَ الأولياء؛ على القَول بأنّ الأولياء مَنْ لَيسوا رُسُلًا ولا أَنْبِياء مِمَن آمنوا واتَّقَوا.

فالوَلِيّ جاء ذِكْرُهُ في كِتاب الله، وعَرَفْنا تَعْرِيفَهُ مِنْهُ؛ قال الله سبحانه وتعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس:62-63].

إذن الوَلِيّ هو المؤمِن التَّقي، فكلّ مُؤمِن تَقي وَلِيّ، وعلى ذلك يَدْخُل فيه الرُّسُل والأنْبياء أيضًا؛ فهُمْ مُؤمِنون وأتْقِياء.

---

[1]- كذا في الصوتية؛ والصواب: "فالنبي".

لكنّ المؤلف رحمه الله ذَكَرَ هنا الوَلِي وأراد أنْ يُفَرِّقَ بينه وبين الأنبياء والرُّسُل، ولا شكّ أنّ الأنبياء والرُّسُل عِنْدَه مِن الأولياء؛ لكنه يُريد أنْ يَتَحَدَّث عن نَوْعٍ مَنَ الأولياء كي يَرُدَّ على بعض أهل الباطِل.

فكأنَّه يقول: نَوْعٌ مِنَ الأَولياء وهم الرُّسُل والأنبياء أَفْضَل مِنْ بَقِيَّة الأَولياء- كَأَنَّه يقول هذا-؛ لأنّ الأنبياء والرُّسُل كما ذَكَرنا هُم مِنْ الأَولياء، لكن يقول هذا ردًّا على غلاة الصّوفية الذين يَجْعَلون الأَولياء مِنْ غير الأنبياء والرُّسُل أَفْضَل مِنْ الأنبياء والرُّسُل؛ هؤلاء عِنْدَهُم الوَلايَة أمْرٌ خاص بفئَة مِنَ النّاس؛ وَصَلوا إلى دَرَجَة خاصّة، وهذه الدَّرَجَة إذا وَصَلوا إليها صاروا يَتَلَقَّونَ عن الله مُباشَرَةً، فهُمْ لهذا السبب أفْضَل مِن الأنبياء والرُّسُل؛ لأنَّهُم يَتَلَقون عن الله مُباشَرَةً، هؤلاء غُلاة؛ عِنْدَهُم غُلُو في الأَولياء لهذا السَّبَب؛ عَنْدَهُم الأولياء والرُّسُل يَأتيهم الوَحي مَن الله سبحانه وتعالى، أمّا الوَلي فيأخُذ مُباشَرَةً عن الله؛ لذلك يَقولون: الوَلي مَقامُه أَعْظَم مِن مَقام النَّبي والرَّسول.

فَعِنْدَهم تَرتيب يقولون: الوَلي أَوّلًا، والنّبي ثانِيًا، والرَّسول ثالِثًا، هكذا يُرَتِّبون؛ هؤلاء غُلاة الصُّوفية، فردّ عليهم المؤلف بهذا الكَلام؛ يقول: نحن أهل السُّنّة والجَماعَة ليس هذا ديننا، نحن لا نُفَضِّل أَحَدًا مِن الأولياء على أحَدٍ مِنَ الأنبياء عليهم السَّلام، والأنبياء هُنا يَشْمَل الأنبياء والرُّسُل أيضًا، ونَقول نَبِيٌّ واحِدٌ أَفْضَل مِنْ جَميع الأَولياء، والرَّسول أَفْضَل مِن الجَميع، والنبِيّ بَعْدَه أَفْضَل مِن الجميع ، ثمّ بَعْدَ ذلك يأتي الوَلِي الذي عِنْدَه مِنْ تَقوى الله ومن الإيمان الشيءِ العَظيم، ثمّ بعد ذلك هذه الوَلاية يَتَفاوَت النّاس فيها؛ فكلّ مَنْ عِنْدَه إيمان وتَقْوى فهو وَلِي مِنْ أولياء الله، لكنّ النّاس يَتَفاوتون فيها.

فيقول: **(وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)** لفظة الأنبياء هذه تَشْمَل الأنبياء والرُّسُل طَبْعًا.

قوله: **(وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أفضل من جميع الأولياء)** إذن جَميع الأَولياء مِنْ أوّل الخَلْق إلى آخرهم؛ نبيّ واحد أفضل مِنْهم؛ هذه عقيدة أهل السُّنّة والجَماعَة.

قوله: **(وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثقات من رواياتهم)**
قالوا في الكَرامَة: هي الخارِقُ للعادَة، هذه الخَوارِقُ للعادَة؛ تُسمى في القرآن والسُّنّة الآيات والبَراهين التي تَدُل على صِدْق الأنبياء والرُّسُل كالقُرآن، إذا كانت هذه الخَوارِق للأنْبياء؛ فهي تُسمى بالآيات والبَراهين، وتُسمى مُعْجِزَة عند بعض النّاس؛ لأنّ الإنْس والجن عَجِزوا أنْ يَأتوا بِمِثْلِه؛ بِمِثْل القرآن وغَيرِهِ من الآيات.

وإذا كانت هذه الكَرامَة- التي هي خارِقٌ للعادَة- على يَدِ رَجُلٍ صالِح؛ فهي كَرامَة الأولياء التي يُسَمّونها كَرامات، وأهل السُّنّة والجَماعَة يُؤمنون بها؛ خِلافًا لبعض أهل البِدَع الذين أَنْكَروا هذه الكَرامات بِزَعْمِ أنّها إنْ ثَبَتت؛ فتُخِلُّ بمُعْجِزَة الأنبياء.

أمّا إذا كانت هذه الخارِقَة على يَد كاهِنٍ أو ساحِر؛ فهذه خوارِق شيطانيّة؛ لذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله: (إذا رَأَيتُم الرَّجُلَ يَطيرُ في الهواء أو يَمْشي على الماء؛ فاعرِضوه على الكِتاب والسُّنّة) يعني: انظروا إلى أَقْوالِه وأَفْعالِه هل تُوافِقُ الكِتاب والسُّنّة أم لا؟ فإنْ وافَقَت؛ فهو وَلِي مِن أولياء الله، أعْطاه الله هذه الكَرامَة؛ أَكْرَمَهُ بها، أمّا إذا كانت أَقْواله وأَفْعاله تُخالِفُ الكِتاب والسُّنّة؛ فهو دَجّال مِن الدَّجاجِلَة؛ بهذا تُفَرّق بين الخارِق للوَلِي والخارِق للدَّجال الكَذّاب.

ولا يُمْكِنْ لأَيِّ أحد أنْ يَدَّعي النُّبُوّة وتَكون على يَدِهِ هذه الخَوارِق؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يُكَذِّب مَنْ يَدَّعي النُّبُوّة، لا يُصدِّقُهُ بها؛ بل يُكَذِّبُه، فَيَكون في كَلامِه وأَفْعالِه ما يَنْقُضُ دَعْواه، بخِلاف النبيّ والرَّسول، فإنه حين يقول: أنا رسول مِن عِنْد الله ويأتي بخَوارِق- كرامات-، تكون هذه الخَوارِق للعادة التي يأتي بها الرَّسول والنبي؛ تكون تَصْديقًا مِن الله

سبحانه وتعالى لهم، فلا يَكون فيها ما يَدُلّ على الكَذِب والخِداع والغِش كالتي مع الكَذَبَة والدَّجّالين.

إذن خَوارِق العادات تكون لثلاثة أنواع مِن الخَلق:
الأنبياء والرُّسُل: هؤلاء إذا قالوا نحن رُسُل الله، وكانت مَعَهُم هذه المُعْجِزات والآيات التي يَعْجَز النّاس أنْ يَأتوا بِمِثْلِها؛ هذه تَكون للأنبياء والرُّسل تَصديقاً من الله سبحانه وتعالى.

أما إذا كانت هذه الخَوارِق مع الولي؛ فهذا لا يُمْكِن أنْ يَدَّعي النُّبُوّة أبَدًا، هذه كَرامَات للصالحين، وهذا نَعْرِفُه مِنْ خِلال عَرْضِه على الكِتاب والسُّنّة، هذا لا يَدّعي النُّبُوّة أصْلًا، ولا تَجِدُهُ يسير في المَجالِس بين النّاس ويقول أنا صاحِبُ كَرامَة، وانظروا إلى كَرامَتي، وصَدِّقوني في دَعْواي النُّبُوّة والرِّسالة، لا أبَدًا هذا لا يَكون، هذا يُكَذِّبُه الله سبحانه وتعالى ولا يُصَدِّقُه.

والنوع الثالث هم المُشَعْوِذون والدَّجّالون والكَذَبَة؛ هؤلاء يَفْعَلون بعض الخَوارِق في الظّاهِر للنّاس، ولكن عِنْدَ عَرْضِهِم على الكِتاب والسُّنّة؛ يَتَبَيّن أنَّهُم دَجاجِلَة كَذَبَة.

هذه الأنواع الثلاثة من النّاس الذين تكون على أيديهم خَوارِق، أو يَفْعَلون خَوارِق، الدَّجاجِلَة هؤلاء بالاستِعانَة بالجِنّ يَفْعَلون أشياء لا يَسْتَطيعها النّاس؛ هذه خَوارِق شَيْطانيَّة. والكَرامات- كَرامات الأولياء- يُنْكِرُها المُعْتَزِلَة والعَقْلانيون؛ هؤلاء لا عِبْرَة بهم، بل حتى بعض مُعْجِزات الأنبياء يُنْكِرونَهَا، والقُبوريون والصّوفية يَغْلون في إثْبات الكَرامات، وهم يُثْبِتونها حتى للدَّجاجِلَة والكَذَبَة مِنْ أصحاب الشياطين والذين يَسْتَعينون بالشَّياطين على خَوارِقِهِم، ومِنْهم مَنْ يَغلو حتى في بعض الأولياء بحق، والذين هم أولياء بالفِعل ومِنَ الصالحين؛ لكنَّهُم يَغْلون فيهم ويَعْبُدونَهم مع الله سبحانه وتعالى، والشيطان يَتَلاعِب بمثل هؤلاء.
هذا خُلاصَة ما يُريد المؤلف ذكره هنا.

إذن الخارِقُ للعادة إذا كان على يد نبيّ؛ فهو مُعْجِزَة من المُعْجِزات التي تَدُل على صِدْقِه، وإنْ كانت على يد رَجُل صالح؛ فهي كَرامَة من الله سبحانه وتعالى أجْراها على يَدِه كما حَصَلَ لأَصْحاب الكَهْف وكما حَصَلَ لمريم {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} [آل عمران:37]، وإذا كانت هذه الخَوارِق على يد كاهِن أو ساحِر أو دَجّال؛ فهذا خارِقٌ شَيْطاني، يَبْتَلي الله سبحانه وتعالى العِباد بِمِثْل هذا؛ وهي خَوارِق شَيطانيّة.

وقَدْ خلَطَ فيها أهل الباطل؛ فالمُعْتَزِلَة والعَقْلانيون أنْكَروا كَرامات الأولياء، كَرامات الرِّجال الصالحين، وحتى بعض مُعْجِزات الأنْبياء أنْكَروها.

والغُلاة من الصّوفيّة أَثْبَتوا الكَرامات للدَّجاجِلَة، وغَلَو حتى في الرِّجال الصالحين الذين جَرَتْ على أيديهم الكَرامات؛ فَعَبَدوهم مع الله بسبب هذه الكَرامات التي جَرَت على أيديهم.

هذا خُلاصَة هذا المَبْحَث.

لكن قوله: **(وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ وَصَحَّ عَنِ الثقات من رواياتهم)** مهم جداً؛ لأنّ الكَذِب في مَسْأَلَة الكرامات كثير جدًا، وخاصّة عِنْدَ الصُّوفيَّة؛ يَكْذِبون بشكل كبير جدًا مِنْ أجل أنْ يُعَظِّموا مَعْبوديهم، ويَعْبُدوهُم مع الله سبحانه وتعالى، ويَخْدَعوا المَساكين فيهم، وهذا كثير مَوجود اليوم، فلذلك نحن لا نُصَدِّق بأيِّ كَرامَة، جاء شخص وقال: هذا له كَرامَة أو ادَّعى أنّ له كَرامَة؟! لا، لا بُدَّ من إثبات ذلك بالبَراهين الصَّحيحة وبطرق الإثْبات الصَّحيحة، لا بُدّ من الأسانيد الصَّحيحة للأمور التي ما رَأَيناها، لا بُدّ مِنْ أخْبار الثِّقات وليس أخبار أهل البِدَع والصوفيّة وأهل التَّصوُّف الذين يَتَعَبَّدون بالكَذِب؛ يُوجَدْ بعض الفِرَق والجَماعات تَتَعَبَّد بالكَذِب فانتَبِه لهذا.

كما يُوجَد بعض مَن كان يُحَدِّث ويَتَعَبَّد بوضع بعض أحاديث النبي ﷺ أو يَتَعَبَّد بِوَضْع بعض الأحاديث ونِسْبَتِها إلى النبي ﷺ؛ يَكْذِبْ صَراحَةً ويقول أَكْذِب له مِنْ أجْل أنْ يُقْبِل النّاس على القرآن، فأَكْذِب في أحاديث في فَضائِل القُرآن؛ هذا مَوجود، كما أنَّه مَوجود اليوم أيضاً، من الجماعات مَنْ تَسْتَعْمِل الكَذِب في دَعْوَتِها مثل الإخوان المسلمين، ومثل الصُّوفيّة،

وجَماعِة التَّبليغ، هؤلاء يَسْتَعْمِلون الكَذِب لِخِداع النّاس مِنْ أجل إيقاعهم فيما يُريدون مِنْ دَعوات.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ؛ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأرض من موضعها)**

تَحَدَّثْنا عنْ كل هذا في كُتُب العَقيدَة الماضية مِنْ "لُمْعَة الاعتِقاد"، و "شَرْح العَقيدَة الواسطية" وغيرها.

(الأشْراط) هي العَلامات، **(أشْراط السّاعَة)** هي عَلاماتُها؛ دالّة على قُرْبِ وُقوعِها، قال الله تبارك وتعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا} [محمد:18]، وقد جاء في حديث جبريل؛ قال جبريل للرسول ﷺ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا، بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا"؛ يعني: عن علاماتها.

وعلامات السّاعَة أنواع؛ منها علامات صُغْرى، ومنها علامات كُبْرى، وبعض العلماء يُقَسِّمُها إلى ثلاث: علامات صُغْرى، وعلامات وُسْطى، وعلامات كُبْرى.

العلامات الصُّغْرى والعلامات الوُسْطى- على قَول مَنْ يُقَسِّمْها إلى ثلاث-؛ منها ما حَصَل ومنها ما يَحْصُل؛ - حَصَلَ ويَحْصُلُ ما زال مُسْتَمِرًّا-، ومنها ما سَيَحْصُلُ.

فَما حَصَل وانْقَضى: خُروج النّار التي تُضيء لها أعْناق الإبل بِبُصْرى- هذه حَصَلَت- وأشياء أخرى كثيرة حَصَلَت، قد جَمَعَ العلماء كتباً في علامات الساعة، ومنها ما زال يحصل؛ كالتَّقَدُّم الذي نراه الآن في الصِّناعات والاتصالات، وإخراج الأرض كُنوزَها، وتَقارُب الزَّمان، وتَقارُب البُلْدان، وكذلك اجتماع اليهود في فلسطين؛ هذه مُقَدِّمات وإرهاصات للمَلاحِم التي سَتَحْصُل، وما حَصَل في العراق، وما حَصَل في سورية، والذي لا يزال يَحْصُل الآن، هذه كلُّها إرهاصات ومُقَدِّمات لِما سَيَحْصُل مِنْ مَلاحِم عَظيمَة في هذه المنطقة.

هذا كلّه أَخْبَرَ عنه النبي ﷺ وما زال سَيَحْصُل، انحسار الفُرات عن جبل من ذهب، واقتتال النّاس عليه، وخروج المهدي، وخروج الدَّجال، ونزول عيسى عليه السَّلام، وخروج يأجوج ومَأجوج، وطُلوع الشَّمْس من مَغْرِبِها؛ هذه كلّها علامات أَخْبَرَ بها النبي ﷺ وسَتَكون، فنحن نؤمن بها كما أخبر النبي ﷺ، هذه أمور كلّها غيبية والواجب علينا أنْ نُسَلِّم بها، فَمَنْ أنْكَرها؛ فهو ضال وربَّما يَكْفُرُ.

والعَقْلانيون يُنْكِرون الكثير من هذه الأشياء؛ حتى العَقْلانيون الذين لهم مَدْرَسَة اليوم مَوجودة ولهم أَئِمَة يَقْتَدي بهم أتْباعُهُم كمحمد الغزالي، وجمال الدين الأفغاني وغيرهم.

قال المؤلف: **(وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ)**

الكاهِن والعَرَّاف والمُنَجِّم والرمال وما شابه؛ هؤلاء كلُّهم يَجْتَمِعون في ادِّعاء مَعْرِفَة الغَيب، وللعلماء أقوال في التَّفْريق بينهم، قد بيَّنّاها وذكرناها في شرح كتاب "التوحيد"؛ فلا داعي لإعادَتِها هنا.

وقد قال النبي ﷺ: "مَنْ أَتى كاهِنًا لَمْ تُقْبَل مِنْهُ صلاة أربعين يومًا"، وفي حديث: " مَنْ أتى كاهِنًا أو عَرّافًا فصَدَّقَه بِما يَقول فقَدْ كَفَر بِما أُنْزِلَ على مُحَمّد"؛ هؤلاء يَدَّعون عِلْمَ الغيب، والله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} [النمل:65]، إذن الغيب لا يَعْلَمُه إلا الله، فإذا جاء شخص وادَّعى أنَّه يَعْرِفُ الغيب؛ فقد جَعَلَ نَفْسَهُ شَريكًا مع الله في هذا؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: " فقَدْ كفَر بِما أُنْزِلَ على مُحَمّد" هذا مَنْ آتاه وصَدَّقه بمَعْرِفَة الغَيب؛ فكيف هو؟!.

فكلّ ما يُخالِف الكِتاب والسُّنّة وإجماع الأمّة، مَنْ ادَّعاه؛ لا نُصَدِّقُه في ذلك.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا)**

نرى نحن أهل السُّنّة والجَماعَة الاجتماع حقاً والفُرْقة عَذاباً {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران:103].

لكنّ اجتماعَنا هذا على حبل الله؛ على الحق، لا نجتمع أيَّ اجتماع كما يَزْعُمُ الكثير مِنَ الفِرَق اليوم؛ يُريدون جَمْع النّاس لكن على ماذا؟

على الضلالات وعلى البِدَع وعلى الأهواء وعلى الشِّرك؛ هذا اجْتِماعٌ ما أَمَرَ الله به، الله تبارك وتعالى أَمَرَ بالاجْتِماع لكن على الحق {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}؛ ولا تَفَرّقوا عن الحق؛ عن دين الله، {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران:105]، {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [الروم:31-32]، {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى:13]؛ هذا كُلُّه يَدُل على وُجوب الاجتماع؛ لكن الاجتماع على الحق.

الفُرْقَة والتَّفريق بين الحق والباطِل مَطْلوب واجِب، والاجْتِماع على الحق واجب، إذن يَجِب أنْ نُمَيِّز بين الاجْتِماع الواجِب والاجْتماع المُحَرَّم، وبين الافْتِراق الواجِب والافْتِراق المُحِرَّم؛ هذا يَجِب أنْ نَعْرِفَه.

الاجْتِماع الواجِب؛ هو الاجْتِماع على الحَقّ، الاجْتِماع المُحَرَّم؛ هو الاجْتِماع على الحَقِّ والباطِل أو على الباطل وحده، والعَمل بقاعِدِة: نَتَعاوَن فيما اتَّفقنا عليه ويَعْذُرُ بَعْضُنا بَعْضًا فيما اختلفنا فيه؛ ماذا يريدون بهذه القاعِدَة؟

يريدون إبطال شَريعَة الله سبحانَه وتعالى؛ شَريعَة الأمر بالمَعروف والنَّهي عن المُنْكَر، إبْطال شَريعَة النَّصيحَة للإسلام؛ النَّصيحة لله ولِكِتابِه ولِرَسوله ولِأَئِمَّة المسلمين وعامَّتِهِم، يُريدون إبطال ذلك بهذه القاعِدَة، هذه قاعِدَة فاسِدَة، يُريدون جَمْعَ النّاس على الباطِل، ليس عِنْدَهُم

مُشْكِلَة حتى لو كُنْتَ مُشْرِكًا وكنت أنا مُوَحِّدًا؛ نَجْتَمِعُ فيما بيننا مِنْ أَجْلِ أنْ نَصِلَ إلى غايَة مِنْ غاياتِهِم؛ هذا اجتماعٌ باطل مُحَرَّم لا يَجوز لنا الاجْتماع عليه، الاجْتماع واجِب على الحقّ.

والفُرْقَة مِنْها ما هو واجِب ومِنْها ما هو مُحَرَّم؛ الفُرْقة بين أهل الحَقّ مُحَرَّمَة لا تَجوز، والفُرْقة بين الحَقِّ والباطِل واجِبَة، والنبي ﷺ لَمّا جاء إلى قُرَيش كانت كلمة قُرَيش مُجْتَمِعَة على الشِّرْك؛ فَفَرَّقَهُم النبي ﷺ بِدَعْوَتِهِ إلى التَّوحيد؛ وهكذا دَعْوَة الأنبياء جَميعًا، هذه فُرْقة مَحْمودَة وليست مَذْمومَة؛ يعني لا نَتْرُك الدَّعوة إلى الحق مِنْ أَجْلِ أنْ يَبقى الناس مُجْتَمعين على الباطِل، لا أبدًا.

القرآن الذي جاء به النبي ﷺ والذي هو وَحْيٌ مِنَ الله والذي هو كَلامُ الله سبحانه وتعالى؛ ما اسمه؟ اسمه الفُرقان؛ لأنّه فَرَّقَ بين الحقّ والباطِل.
النبي محمد ﷺ "مُحَمّد فَرْقٌ بين النّاس" لماذا؟ لأنّه فَرَّقَ بين الحقّ والباطِل؛ هكذا قال عليه الصلاة والسلام.
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُقال له عُمَر الفاروق- لقبه-؛ لماذا؟

لأنّه فرّق بين الحقّ والباطِل.

إذن التَّفريق بين الحق والباطِل واجِب شرعي {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} [الأنفال:42]؛ هذا مِنْ أُصول الدّين ومِنْ أُصول الشَّريعَة التي يَجِب أنْ نَحْرِص عليها.

هذا هو الفَرْق بين الاجْتماع الممدوح والاجْتماع المَذْموم، والفُرْقة المَمْدوحَة والفُرْقَة المَذْمومَة؛ إذن ليس كل اجْتماع مَمْدوحًا ولا كلّ افْتِراق مَذْمومًا.

قال: **(وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا)** إذن نُنْكِر على الذي يُريد أنْ يُفَرِّق بين أهل الحقّ- وهذا مَوجود اليوم- بعض النّاس مِنْ أجل أهوائِهِم؛ تَعَصُّبًا لشَخْصٍ أو تَعَصُّبًا لِمَسْأَلَةٍ لا نَصّ فيها وهي مِنْ مَسائِل الاجْتِهاد عِنْدَ السَّلَف رضي الله عنهم؛ يَتَعَصَّبون ويُشَدِّدون ويُفَرِّقون ويُبَدِّعون ويُضَلِّلون مِنْ أجلها، وهي مَسْأَلة اجْتِهاديّة عِنْدَ السَّلَف والخِلاف فيها مَعْروف،

هذا لا يَجوز، وهذا مَوجود اليوم، غُلو وشِدَّة أَدَّت إلى هذا، ويَكون أحيانًا بينَه وبين الآخر نِزاعٌ في أمور- حتى الدُّنْيَوِيَّة-؛ فَيَقْلِبها إلى أُمور مَنْهَجِيَّة بِزَعْمِه، مِنْ أَجْل أنْ يَصِلَ إلى مُبْتَغاه مِنْ حَرْبِه مع فُلان، فَيُحَوِّل المَسْأَلَة إلى مَسْأَلَة مَنْهَجِيَّة، ويُفَرِّق أهل الحقّ ويُحَزِّبُهُم؛ هذا باطِل، وهذا مَوجود.

تَعَصُّبات تَحَزُّبات مع أنّك إذا نَظَرْتَ إليهم جَميعًا تَجِدَهُم أَصْحاب عقيدة واحدة، مع ذلك يَحْصُل بينَهُم هذا النِّزاع؛ هذه فُرْقَة مُحَرَّمَة.

فإذن يَجِبُ أنْ أحافِظ على الاجْتِماع بشَرْط أنْ لا يَكون في ذلك إخْلالٌ بأصول أهل السُّنّة والجَماعَة وتَنازُل عن دين الله سبحانه وتعالى، فَنُنْكِر على مَنْ يُريد أنْ يُفَرِّقَ جَماعَة أهل الحقّ؛ لأنّ **(الفُرْقَة زَيْغٌ وعَذاب)** كما قال المؤلف؛ لأنّها مُخالِفَة لِشرع الله سبحانه وتعالى، أمّا مَنْ أَراد أنْ يُفَرِّق بين الحق والباطِل وأنْ يُمَيِّزَ هذا عن هذا {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ}؛ فهذا مَطْلوب وهذا واجِبٌ شَرْعي . والله أعلم، والحمد لله.

شَرْحُ العَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

الدرس السادس والعشرون

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد:

فمعنا اليوم الدرس الأخير من دروس شرح "العقيدة الطحاوية"؛ وهو الدرس السادس والعشرون.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَدِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ؛ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آلِ عِمْرَانَ: 19]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً} [المائدة: 3])**

الإسلام بالمعنى العام: هو الاستسلام لله سبحانه وتعالى والانقياد له؛ الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطّاعة والبراءة مِن الشّرك وأهله؛ كما عرَّفَه بعض أهل العِلم، هذا الإسلام بالمعنى العام؛ أي أنّه دين الله سبحانه وتعالى الذي أَنْزَلَهُ على أنْبِيائه كُلِّهِم، فجميع الرُّسل والأنبياء كانوا يَدْعون لهذا الدين الذي يُريدُه الله سبحانه وتعالى مِنَ الخَلْق، والذين خَلَقَهُم لأجْلِه.

(دين الله) الذي يَدينُ به أَهْلُ السَّماء والأَرْض يَتَعَبَّدون لله سبحانه وتعالى به؛ هذا هو الإسلام، قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران:19]، {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:3].

الدّين الإسلامي بالمعنى العام هو الذي ذَكَرنا، وأمّا بالمعنى الخاص؛ فهو الدّين الذي بُعِثَ به محمد بن عبد الله ﷺ {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}؛ هذا الإسلام الذي بُعِثَ به محمد ﷺ خاصّة، فهو الاستسلام لله سبحانه وتعالى بِما شَرَعَ على لِسانِ رَسولِه محمد ﷺ؛ هذا دين الإسلام.

ومِنْ بَعْدِ بِعْثَة نَبِيِّنا محمد ﷺ لا يَقْبَلُ الله تبارك وتعالى دينًا مِنْ أَحَدٍ إلا هذا الدِّين؛ فهو الذي ارْتَضاه لنا تبارك وتعالى وقال فيه أيضًا: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران:85]، إذن هذا الدّين هو المَقْبول عِنْدَ الله سبحانه وتعالى وغَيْرُهُ لا، لا يَقْبَلُه الله سبحانه وتعالى، ومَنْ ماتَ على غير هذا الدِّين؛ مات كافِرًا، فالإسلام بَعْدَ بِعْثة محمد ﷺ هو ما جاء به عليه الصلاة والسّلام دون ما سِواه مِنَ الأديان ولا يُقْبَلُ دينٌ غَيْرُه؛ يَجِبُ أنْ نَفْهَم هذا جيدًا.

وفي هذا ردٌّ على دُعاة وِحْدَة الأديان اليوم، وهذه مَسْأَلَة مُهِمّة جدًا في زَمَنِنا هذا الذي نَحن فيه ويَجِب أنْ نُرَكِّز عليها، وأنْ يَفْهَمَ المُسْلِمون جميعًا وغَيرُ المُسْلِمين أيضًا أنّ الله سبحانه وتعالى خَلَقَهُم لِعِبادَتُه، وعِبادَتُه هذه لا تكون إلا كما شَرَع، عِبادَتُه التي يُرِيدُنا أنْ نَكون عليها هي التي شَرَعَها على لِسان رُسُلِه، وأنّه من بعد بعثة نَبِيّه محمد ﷺ لا يَسَعُ أَحَداً أنْ يَتَعَبَّد لله وأنْ يكون على دينٍ غَير دين محمد ﷺ {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}؛ هذا كَلامٌ واضِح صَريح.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"

إذن مَنْ لَمْ يَتَّبِع النبي ﷺ فهو مِنْ أهل النّار، هذا أَمْرٌ مُجْمَعٌ عليه بين أهل العِلم، لا خِلافَ بينَهُم فيه، ويُوجَد مَقالَة لِعُلَماء اللجْنَة الدائِمَة للبُحوث العِلْميَّة والإفْتاء- ومِمن في هذه اللجنة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ صالِح الفوزان-؛ لهم فَتْوى حَوْلَ وِحْدَة الأديان، فَتْوى عِلْمِيَّة مُدَقَّقَة مَذْكورة بالأَدِلّة؛ قال الله وقال رسول الله ﷺ، في نِقاط مُرَتَّبَة بِشَكِل جَيّد؛ أَنْصَحُ بِقِراءتِها في هذا المَوضوع، قَرَّروا نِقاطًا:

النقطة الأولى: أنّ مِنْ أُصول الاعتِقاد في الإسلام المَعْلومَة مِنَ الدِّين بالضَّرورة والتي أَجْمَعَ عليها المُسلِمون: أنَّه لا يُوجَد على وَجْه الأرض دينٌ حق سِوى دين الإسلام، وأنَّه خاتِمَة

الأديان، وناسِخٌ لجميع ما قَبْلَهُ مِنَ الأديان والمِلَل والشَرائِع، فلم يَبْقَ على وَجْه الأرض دينٌ يُتَعَبَّدُ الله به سِوى الإسلام، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:85]، والإسلام بعد بِعْثَة محمد هو ما جاء به دون ما سِواه مِنَ الأديان.

النقطة الثانية: ومِنْ أُصول الاعتِقاد في الإسلام: أنّ كِتاب الله تعالى القرآن الكريم هو آخر كُتُب الله نُزولًا وعهداً برب العالمين، وأنّه ناسِخٌ لكل كتابٍ أُنْزِلَ مِنْ قَبْل مِنَ التَّوراة والزَّبور والإِنْجيل وغيره، ومُهَيْمِنٌ عليها، فلم يبقَ كِتاب مُنَزَّلٌ يُتَعَبَّدُ الله به سِوى القرآن الكَريم؛ قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ} [المائدة:48].

النقطة الثالثة: يَجِبُ الإيمان بأنّ التَّوراة والإنْجيل قدْ نُسِخا بالقرآن الكريم، وأنّه قد لَحِقَهُما التَّحريف والتَّبديل بالزِّيادة والنُّقصان؛ كما جاء بيان ذلك في آيات مِنْ كِتاب الله الكريم، ثمّ ذَكَروا الآيات.

النقطة الرابعة: أنّ مِنْ أُصول الاعْتِقاد في الإسلام أنّ نَبِيَّنا ورَسولنا محمد ﷺ هو خاتَم الأنبياء والمُرْسَلين كما قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب:40]، فلمْ يَبْقَ رسول يَجِب اتِّباعه سِوى محمد ﷺ... إلى آخر ما قالوا.

النقطة الخامسة: ومِنْ أُصول الإسلام أنّه يَجِبُ اعتِقاد كُفْرِ كُلّ مَنْ لمْ يَدْخُل في الإسلام مِنَ اليَهود والنَّصارى وغَيْرِهِم وتَسْمِيَتُهُ كافِرًا؛ وهذه النقطة مهمة جدًا؛ لأنّه حَصَل فيها خَلَلٌ عِنْدَ كثير مِن المُسلمين، وهذا الخَلَلْ ليس خَلَلًا عاديًّا؛ هذا خَلَل يُؤَدي إلى الرِّدّة؛ إلى الكُفْر، مَنْ لمْ يَعْتَقِد هذه النُّقْطَة فهو كافر.

ومِنْ أصول الإسلام التي مَنْ نَقَضَها يَخْرُج مِنَ الإسلام؛ أنّه يَجِبُ اعْتِقاد كُفْر كل مَنْ لمْ يَدْخُل في الإسلام من اليهود والنَّصارى وغَيْرِهِم، وتَسْمِيَتُهُ كافِرًا، وأنَّه عَدُوّ لله ورسوله والمؤمنين،

وأَنَّهُ مِنْ أهل النّار كما قال الله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة:1]، قال الله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا}، مِمَنْ ؟ قال: {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}؛ يعني: أهل الكِتَاب كُفّار.

وقال جَلَّ وعَلَا: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة:6]، ثم قال: {خَالِدِينَ فِيهَا}، فلا يأْتِ أحدٌ بعد ذلك ويَقول: اليَهودي أو النصراني بَعْدَ بِعْثَة النبي ﷺ إذا ماتَ عل دينِه؛ فهو ليس في النّار، أو يقول: لا أدري هل هو في النّار أم ليس في النّار؛ يَتَوَرَّع وَرَعًا كاذِبًا باطِلًا فاسِدًا، أيُّ وَرَع هذا!!

أنت تُكَذِّب الله سبحانه وتعالى في كِتابِه- تعالى الله عمّا تَفْعَلون-، ثمّ تَقول: أَتَوَرَّع، تَتَوَرَّع عن ماذا؟ الله سبحانه وتعالى يقول لك: هو في النّار مُخَلَّد فيها، ويقول لك: هو كافِر، وأَنت تَقول: لا؛ ليس بِكافِر، أو: لا أدْري أهو كافِر أم ليس بكافِر، كيف هذا؟ أنت لست مؤمِنًا، الإيمان أنْ تُصَدِّق الله سبحانه وتعالى في كِتابه، فإذا كَذَّبْتَ الله سبحانه وتعالى في كِتابه؛ كيف تكون مؤمنا؟! وكيف تُسمي نَفْسَكَ مُسْلِمًا أَصْلًا! الذي يقول مثل هذا الكلام لا يُعْتَبَر مُسْلِمًا، مِنْ أُصول الإيمان هذه أنْ تُصَدِّق ما جاء في كِتاب الله؛ هذا مِنْ أُصول الإيمان.

قالوا: وثَبَتَ في صحيح مُسْلِم- طبعًا أنا أُدْخِل كَلامِي وأَشْرَح كَلامهم وأُفَصِّل الأمور، ليس كل هذا كلامهم، ارجعوا إلى الفتوى؛ تَجِدونَها كامِلَة هناك- قالوا: وثَبَتَ في "صحيح مُسْلِمٍ": أنّ النبي ﷺ قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ".

قالوا: ولهذا فَمَنْ لَمْ يُكَفِّر اليَهودَ والنَّصارى؛ فهو كافِر، طَرْدًا لِقاعِدَة الشَّريعة: مَنْ لَمْ يُكَفِّر الكافِر فهو كافِر، لماذا؟ لأنّه مُكَذِّبٌ لِكِتاب الله، قَدْ أَخْبَرَ الله تعالى بهذا بِشَكِل واضِح- هذه مِنْ عِنْدي الآن-، وأَخْبَرَ النبي ﷺ عن هذا، وكلامه واضح، فَمَنْ لم يُكَفِرُهُم؛ فهو كافر.

النقطة السادسة: قالوا: وأمامَ هذه الأصول الاعْتِقادية والحَقائق الشَّرعيّة؛ فإنّ الدعوة إلى وِحْدَة الأديان والتَّقارُب بينها وصَهْرَها في قالِب واحد دَعْوَة خَبيثَة ماكِرَة، والغَرَضُ منها خَلْط

الحَقّ بالباطِل، وهَدْم الإسلام، وتَقْويض دعائِمِه، وجَرُّ أَهْلِهِ إلى رِدَّة شامِلَة، ومِصْداقُ ذلك في قَولِه تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة:217]، وقوله جَلَّ وعلا: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} [النساء:89]... إلى آخر ما ذَكَروا.

أنْصَح بِقِراءة الفَتوى كامِلَة؛ فهي مُهِمَّة ومُفيدَة، ولا بُدّ على كُلّ مُسْلِم أنْ يَفْهَم هذا الكَلام الذي جاء في هذه الفتوى.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَهوَ بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبيهِ والتَّعْطيلِ، وبَيْنَ الجَبْرِ والقَدَرِ، وبَيْنَ الأَمْنِ والإِيَاسِ)**

الإسلام وَسَط بين **(الغُلُو والتَّقصير)** والغلو: هو المُبالَغَة وتَجاوُز الحَدّ؛ تَجاوُز الاعتِدال، والمُبالَغة: الزِّيادة والتَّشديد، والتَّقصير: الجَفاء؛ أي: عَدَم الوصول إلى الوَسَط، عَدَم الوصول إلى الاعتدال؛ أقل مِنْ ذلك؛ تَقْصير، هذا الجَفاء، فدين الإسلام وَسَط؛ لا تَشْديد فيه ولا تَقْصير، ولا تَفريط، انْحِلال، مُيوعَة؛ كل هذا مَذْموم؛ الغُلُو مَذْموم والتَّقْصير مَذْموم قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ}[المائدة:77]، وقال عليه الصلاة والسلام: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ"، والمُتَنَطِّع هو المُتَشَدِّد، وأحاديث كثيرة جاءت و نَهَت عن الغُلُو والتَنَطُّع والتَّشَدُّد، هذا التَّشَدُّد الذي أدّى بكثير من النّاس إلى الخُروج عن حَدّ الوَسَط والاعتدال.

والأَمْرُ كما قال موسى بن أبي عائشة أحد أَئِمَة السَّلَف رَحِمَهم الله؛ قال: (ما أَمَرَ الله سبحانه وتعالى بأَمْرٍ إلا كان للشَيْطان فيه نَزْغَتان؛ نَزْغَة إلى تَقْصير وأُخْرى إلى غُلُو، ولا يُبالي بِأَيَّتِهِما ظَفَر) يعني سواء فاز مِنْكَ بهذه أو بهذه؛ كِلاهُما طَريقان للشيطان؛ يُريد منك هذه ويُريد مِنْكَ هذه.

دين الإسلام وَسَط مُعْتَدِل؛ مثلًا في اليَهوديَّة والنَّصرانيّة، في عيسى عليه السّلام هو مُعْتَدِل، فنحن نَقول في عيسى عليه السلام بأنّه عَبْدٌ مِنْ عِباد الله، وأنَّه رسول، وأنّ أُمَّه طاهِرَة مُبرَّأَة مِنَ الزِّنا، طاهِرَة عَفيفَة، وهو ابن مَريم ولا أبَ له، خَلَقَه الله سبحانه وتعالى هكذا كما خَلَق آدم بلا أب ولا أم؛ هذا قَول أهل السُّنّة والجَماعَة وأهل الإسلام في عيسى عليه السلام.

النّصارى غَلَتْ فيه غُلُواً؛ فَجَعَلوه ابن الله سبحانه وتعالى- تعالى الله عمّا يَقولون-، واليَهود قَصَّروا في حَقِّه ووَصَفُوه بأنّه ابن زِنا، وأهل الإسلام وسط بين هؤلاء وهؤلاء، وهكذا هو دين الله سبحانه وتعالى دين اعتدال.

قوله: **(وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ)** بين تَشْبيه الله سبحانه وتعالى بِخَلْقِه كما قال الله سبحانه وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:11]، وبين التَّعطيل؛ تعطيل الله سبحانه وتعالى عَمّا يَجِبُ إِثْباتُهُ وأَثْبَتَه لنفسِه مِنَ الأَسْماء والصِّفات، وهذا إيمانًا بقول الله تبارك وتعالى: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:11]؛ فهُمْ يَأْخُذون بهذه الآية تامّة كامِلَة بِطَرَفَيها {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} فيُؤمِنون بهذا وبهذا، وهم في هذا بين أهل الغُلُو وأهل التَّقصير، وَسَطْ مُعْتَدِلون، بين المُعَطِّلَة وما بين المُشَبِّهَة.

قوله: **(وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ)** التَّشبيه والتَّعْطيل في الأسماء والصِّفات، والجَبْر والقَدَر في مَسائِل القَدَر، وأهل السُّنّة وَسَط بين الجَبْرِيَّة والقَدَرِيَّة.

الجَبْرِيَّة يَغْلون في إثبات القَدَر، حتى إنَّهم سَلَبوا العِباد اختِيارَهم؛ فالعِباد عِنْدَهم ليس لهم اخْتِيار، لا قُدْرَة لهم على الفِعْل اخْتِيارًا، أَفْعال العَبْد كُلّها مَجْبور عليها، حَرَكَتُهُ كَحَرَكَة وَرَقة الشَّجَر في مَهَّب الرِّيح؛ فهو مَجْبور عِنْدَهُم على الأفعال؛ هؤلاء الجَبْرِيَّة.

أمّا القَدَرِيَّة فغَلُوا في إثْبات اخْتِيار العَبْد؛ فَنَفوا القَدَر، الله سبحانه وتعالى عِنْدَهُم لَمْ يُقَدِّر أَفْعال العِباد ولَمْ يَخْلُق أَفْعال العِباد.

وأهل السُّنّة وَسَط بين هؤلاء وهؤلاء؛ فالعَبْد عِنْدَهُم له اخْتِيار وله مَشيئَة ويَفْعَل باختِيارِه ومَشيئَتِه، لكنَّه لا يَخْرُج عن قَضاء الله وقَدَرِه، الله سبحانه وتعالى خَلَقَ أفعال العِباد وقَدَّرها وشاءها، والعَبْد له مَشيئة وله اختيار، ويَفْعَل بمَشيئته واختِياره، لكنّ مَشيئته تابعة لمَشيئة

الله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير:29]؛ هذه الطَّريق الوَسَط بين هؤلاء وهؤلاء، إذن أهل السُّنّة والجَماعَة وَسَط بين الغُلو والتَّقصير، وأهل الإسلام وَسَط بين الغُلُو والتَّقصير، وأهل السُّنّة والجماعة وَسَط بين التَّشبيه والتَّعْطيل، وبين الجَبْرِ والقَدَر.

قوله: **(وَبَيْنَ الأمن والإياس)** الأمْن مِنْ مَكْر الله، والإياس مِنْ رَحْمَة الله، وهم يجْمَعون بين الخَوف والرَّجاء، يَعْبُدون الله سبحانه وتعالى خَوفًا ورَجاءً ومَحَبَّةً، وهم في هذا وَسَطٌ بين المُرْجِئَة والخَوارِج.

قال رحمه الله: **(فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَنَحْنُ بَرَاءٌ إِلَى اللهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ)**

(هذا دينُنَا) هذا الذي ذكرناه في هذه العقيدة، هذا دينُنَا الذي نَدين الله سبحانه وتعالى به، نَتَعَبَّد لله به، ونَتَقَرَّب إلى الله به، واعْتِقادُنا الذي نَعْتَقِدُهُ ظاهِرًا وباطِنًا، واعْتِقادُنا في قُلوبِنا وَأَعْمالِنا أيضًا، كُلُّها على هذا الذي ذَكَرنا، ونحن نَبْرَأ إلى الله سبحانه وتعالى مِنْ كل مَنْ خالَف الذي ذَكْرناه وبيّناه؛ هذا الذي يُريد أنْ يَذْكُره هنا في هذه العَقيدَة.

ثم دعا الله سبحانه وتعالى وقال: **(وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، والآراءِ المُتَفَرِّقَةِ، والمَذاهِبِ الرَّدِيَّةِ؛ مِثْلَ المُشَبِّهَةِ والمُعْتَزِلَةِ والجَهْمِيَّةِ والجَبْرِيَّةِ والقَدَرِيَّةِ وغيرِهِمْ؛ مِنَ الضينَ خالَفوا السُّنَّةَ والجَماعَة، وحالَفوا الضَلالَةَ، ونحنُ منهم بُرَآء، وهُمْ عِنْدَنا ضُلَّالٌ وأرْدِياءُ. وباللهِ العِصْمَةُ والتوفيق)**

قوله: **(الأهواء المُختَلِفة)** البِدَع بجميع أَنْواعِها، نَسْأَل الله سبحانه وتعالى أنْ يُثَبِّتَنا على الإسلام والإيمان، وأنْ يَخْتِمَ لنا بخير، وأنْ يُثَبِّتنا على الطّريق المُسْتَقيم، وأنْ يُجَنِّبَنا الطُّرُق؛ طُرُق الضَّلال التي أَخْبَرَ بها النبي ﷺ.

قوله: **(وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ)** المعنى واحد كُلُّ هذه طُرُق أهل البِدَع.

قوله: **(مِثْلِ الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ)** قد تَقَدَّمَ ذِكْرُ هذه الفِرَق وبيانُها.

قوله: **(مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة)** أي: صاروا حُلَفاء مع الضَّلال.

قوله: **(ونحن منهم بُرَآء)** نَبْرَأ إلى الله سبحانَه وتعالى مِنْهُم؛ لأنَّهم على ضَلال، مِنْ عَقيدَة أهل السُّنّة والجَماعَة البَراءة مِنْ عَقيدة أهل البِدَع والضَّلال وما هم عليه.

قوله: **(وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ)** ضُلَّال لأنَّهُم خالَفوا الحَقّ وانْحَرَفوا عَنْه.

قوله: **(وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ والتوفيق)** يعني يَدْعو الله سبحانه وتعالى أنْ يَعْصِمَه؛ فالعِصْمَةُ مِنْ عِنْدِهِ تبارك وتعالى عنْ هذه الطُّرُق والضَّلالات، والتَّوفيق مِنْه تبارك وتعالى.

نَسْأَل الله أنْ يُوَفِّقَنا إلى ما يُحِبُ ويَرْضى، وأنْ يُجَنِبَنا الفِتَن ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَن.

هذا ما يُريد المؤلف ذكره هنا؛ وهذا في الأخير هو دُعاء ذَكَرَه المؤلف رحمه الله.

ونُنَبِه الآن على أَمْرٍ أَخير وهو:

كل مَنْ يُريد أنْ يُدَرِّس العَقيدَة للنّاس اليوم؛ لا بُدَّ أنْ يُضيفَ العَقائِد التي صارت تَنْتَشِر اليَوم بِكَثْرَة بين المُسْلمين، ويُرَكِّز عليها أَكْثَر مِنْ غَيْرِها، مِنْ هذا مثلًا:

عَقيدَة أنّ أَصْل الإنْسان قِرْد؛ هذه العَقيدَة كُفْرِيَّة؛ لأنّها مُكَذِّبَة لكتاب الله ولِسُنَّة رسول الله ﷺ وما أجْمَعَ عليه السَّلَف الصالِح رضي الله عنهم وعُلَماء الإسلام جَميعًا؛ النّاس جميعًا خَلَقَهم الله سبحانه وتعالى من آدم، قال الله تبارك وتعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} [النساء:1] الذي خَلَقَكم من ماذا ؟ {مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَة}، مَنْ هي هذه النَّفْس الواحدة؟ هو آدم عليه السلام.

وآدم من ماذا خُلِقَ ؟ وكيف خُلِق ؟

خُلِقَ مِنْ طين، وقد أَخْبَرَ الله سبحانه وتعالى بهذا؛ أنّه خَلَقَه مِنْ طين، وأنّه خَلَقَه بِيَدَيه : {قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:75] إذن آدم مَخْلوق مِنْ طين، وخَلَقَه الله سبحانه وتعالى بيَدَيه، وخَلَقَه على صورتِه؛ طوله ستون ذِراعًا، إذن خَلَقَ الله

سبحانه وتعالى آدم على صورته التي هو عليها، ما كان أَصْلُه قِرْداً، كان طوله ستون ذِراعًا، ولا زال النّاس يَنْقُصون بعد ذلك، لكن صورَتُهُم واحدة وليس كما يَقول هذا الكافِر، ومَنْ اعْتَقَدَ عَقيدَتهُ؛ فهو مِثْلُه، الله سبحانه وتعالى بيَّنَ هذا بشكل واضِح؛ هذه عَقيدَتُنا وهذا الواجِب اتِّباعُه.

أمّا العَقيدَة الثانية؛ فهي عَقيدَة وِحدِة الأديان التي تَنْتَشِر اليوم بِكَثرة، وقد ذَكَرنا فتوى اللجّنَة الدائمة؛ أَنْصَح بِقِراءتها وقراءتها على الطَّلَبَة.

أمّا العَقيدَة الثالثة والرابِعَة؛ فهي العَلْمانيّة واللبراليَّة.

العَلْمانِيَّة تَعْرِفون قِصَّتَها؛ قبل أنْ تُسَيْطِر العَلْمانِيَّة في أوروبا بين الروم، كانت الكَنيسة هي المُسَيطِرَة على الوَضْع هُناك، وحَصَل مِنَ القَساوِسَة الذين عِنْدَهم؛ والذين يُسَمونَهم رجال دين؛ أنهم سيطروا على الناس.

وننبه: نحن ما عِنْدَنا رِجال دين؛ نحن المُسْلمون كلُّهم رجال دين عندنا؛ هذا الواجِب أن يكون، لا يوجَد عِنْدَنا رِجال دين ورِجال دنيا كما عِنْدَهُم هناك، لكن عِنْدَهُم يُسَمون القساوسة رِجال دين.

سَيْطَر هؤلاء القساوسة على النّاس؛ تَعْرِفون أن دينهم الذي كانوا عليه مُحَرَّف وليس دينًا ربانيًّا؛ بل حَصَلَ فيه تَغيير وتحريف بشكل كبير، وغَيَّرَه القَساوِسَة على حَسَب أَهْوائِهِم وما يَشْتَهون، ومَع هذا أيضًا عند التَّطبيق سَيَّسوا النّاس بناءً على مَصالِحِهِم؛ فَحَصَل ظُلْمٌ عظيم وكبير على النّاس؛ فضَجَّ النّاس وخَرَجَت العَقائِد والأفكار المختلفة للتَّخَلُّص مِنْ هذا المَنْهَج الذي هم عليه، وقامت الثورة العَلْمانية في فرنسا وانْقَلَبَت على الكنيسة، فصار عِنْدهم اتِّجاهين؛ اتِّجاه ديني واتِّجاه دُنْيَوي.

هذه العَلْمانية لماذا ظَهَرَت؟

ظَهَرَت كَرَدَّة فعل عَكْسية للدين، فصاروا لا يُريدون دينًا، وخاصّة في السِّياسة- في الحُكم-؛ لأنّ السِّياسَة كانت للقَساوِسَة للنَّصارى، وكانوا هم الحاكمين، وفعلوا بهم الأفاعيل، فانْقَلَبوا وأزاحوا الكَنيسَة عن الحُكم، وصار الحُكم للعَلْمانيّة، فصارت العَلْمانية عِنْدَهُم: أن الحكم للشّعب، الحُكْم عِنْد العَلْمانيين للشَّعب، الشَّعْب هو الذي يَحْكُم؛ لذلك جاءت الديمُقْراطيّة.

ما هي الديمُقْراطيّة؟

ترجمة الديمُقْراطيَّة: حُكْم الشّعب نَفْسَه بِنَفْسِه، فالحُكْم للشَّعب لا للكَنيسَة، هذا الذي حَصَل في فَرنسا وفي أوروبا، بعد ذلك تَوَسَّع الأمر؛ فصار الحُكْم للشَّعب عن طريق الديمُقْراطيّة، عن طَريق الانتِخابات مِنْ أَجْل إيصال الحاكِم إلى الحكم.

والعَلْمانيّة تَقْضِي بأنّ لا حُكْمَ للدين؛ فالدّين لا يَدْخُل في السِّياسَة، لا يَدْخُل في القانون؛ إنما وضْع القوانين هذا للعَلْمانيين، الحُكْم للعَلْمانيين لا لأصحاب الدّين، فتَنْحِيَة الدين عن السِّياسَة والقانون وعن الحياة الاجتماعية العامة أَمْر أساسي لا بُدَّ منه عندهم.
الدِّين عِنْدَ العَلْماني في حَقيقة الأمر: دَورُه بينك وبين نفسك؛ في المسجد، في البيت، في غُرفة نومك، في بيتك مارس الدّين، في أمْرِكَ الشَّخْصي مارِس الدّين، أمّا في الحياة الاجتماعيّة التي الأمر فيها مُتَعَلِّق بجماعَة النّاس أو في الحُكْم؛ فهذا لا، لا دين هنا، بَعْض العَلْمانيين يُصَرِّحون بهذا ويَقولون: لا دين في الحياة الاجْتماعيّة، لا دين في شيء، أنت إذا أردت الدّين؛ فهذا لك شخصي فقط، أمّا غير هذا؛ فلا نُريد ديناً، فهم في الحقيقة أُناس مَلاحِدَة، في الحقيقة العَلْماني مُلْحِد لا يُريد دينًا، وأقرب ما يَكون لتطبيق قاعدة: (لا دين والحياة مادّة)، وإن كان ظَهَرَ بعد ذلك بعضهم؛ يقول: يوجد دين لكن الدين خاص لا علاقة له بالحكام، لكن أنا ما رأيت عَلْمانيًّا وما قَرَأتُ لعَلْماني يُخالِف في أنّ الدّين لا يَدْخُل في الحياة الاجتماعيّة وفي السِّياسَة وفي وَضْع القانون؛ وهذا كُفْر بإجماع علماء الإسلام.

الدّين عِنْدَنا داخِل في جَميع نواحي الحَياة، كل ما ورد في القرآن والسُّنّة وسيرة النبي ﷺ من أُمور السِّياسَة والجيش والعَسْكَر والاجتماع والاقتصاد وكل شيء كُلّه من الدّين، ومن أَنْكَرَ هذا يَكْفُر، فسيرة النبي ﷺ أوضح ما تَكون في هذا؛ في نَقْض أصول العَلمانيّة، القرآن واضِح وصريح جدًا، السُّنّة واضِحَة صَريحَة جدًا في هذا.

ثمّ بعد ذلك لمّا انْتَشَرَت هذه الفِكْرَة- فِكْرَة العَلمانيّة- وهذا المُعْتَقَد في أوروبا وصارت لهم قوّة؛ صاروا يُريدون أنْ يُصَدِّروا هذا الفِكْر إلى العالم كُلِّه، وكثير من أبناء المُسْلمين ذهبوا ودرسوا هناك وهم جُهّال في دينهم؛ لا يَعْرِفون عن دينهم شيئاً، ذَهَبوا هناك ولَقَّنوهم هذا الواقِع الذي هم فيه، وأظْهَروا لهم أنّ الدين هو الحاجِز المانِع من الوصول إلى الحضارة وإلى التكنولوجيا وإلى الرّفاهيّة التي عليها الناس اليوم، قالوا: الدّين هو المانع من الوصول إلى هذا كُلّه، كَنيسَتهُم كانت تَمنَعُهُم من التَّطَور والصِّناعَة... وإلى آخره؛ لذلك أعطوهم هذا الفِكْر، وعَمَّموه على الأديان، وصار أبناء المسلمين الذين ذهبوا ودرسوا عِنَدَهُم- وكانوا جُهّالاً في دينهم الإسلامي لا يَعْرِفون عنه شيئًا-؛ تَشَرَّبوا هذه الأفكار ورجعوا إلى بلاد الإسلام وزَرَعوهم، وأَعْطوهم طَبعًا الشَّهادات العالِيَة وصارت هي المُعْتَرَف بها في بلاد الإسلام، وصار هؤلاء هم الذين يَتَمَكَّنون؛ يَتَمَكَّنون مِنَ الاقتصاد، ومِن الإعْلام، ومِنَ كل نَواحي القُوَّة والتَّمَكُن في الدُّول الإسلامية، وصاروا يَبُثّونَ سُمومَهُم في البِلاد ويَنْشُرون فِكْرَهُم العَلْماني، وأخذوا يُنَزِّلون الأديان كُلّها مَنْزِلَة واحِدَة، فَخَلَطوا الأمور بِبَعْضِها.

دين الإسلام لا يُقارَن بِبَقِيَّة الأديان يا حَمْقى يا مُغَفَلين! دين الإسلام دين حق، وتِلْك الأديان أديان باطِلَة، ثمّ قارِن مِنْ حيث الواقِع! ادْرُس الدّين بإنْصاف وانْظُر هل يَمْنَعَك الدّين مِنَ التَّطَوُر النافِع؟ مِنَ الصِّناعَة التي تُؤدي إلى الخير والمَنافِع للنّاس؟ هل يَمْنَعُك مِنَ الحَضارة ومِنَ الرَّفاهيّة التي لا تَتَعارَض مع ما هو أفضل منها من المَصالِح؟ لا يَمْنَعُكَ الإسلام مِنْ هذا، ولو رَكَّزْتَ ودَرَسْتَ لوَجَدْتَ أحْكام الشريعة كُلّها مَصالِح، ولا يَمْنَعُكَ إلا مِما مَفْسَدَتُهُ راجِحَة، أما إن كانت المَصْلَحَة هي الراجِحَة؛ فلا يَمْنَعُكَ منها الإسلام أبدًا، بل الحث على التَّصنيع

والتَّطَور مَوجود في كِتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ؛ فما مَنَع الإسلام من هذا، فلا تُقارِن دين الإسلام الذي هو مِنْ عند الله سبحانه وتعالى بالأديان الباطِلَة المُحَرَّفة؛ لكن هذا ما حَصَلَ في العَلْمانيّة.

عَرَفْتُم ما معنى العَلْمانيّة، وكيف تَمَكّنَت، وما الذي تُريد أنْ تَصِل إليه الآن، الآن هم حريصون كل الحِرص على القَضاء على دين الإسلام مِنْ خلال نَشْر أَفْكارِهِم ومُعْتَقَداتِهِم في المجتمعات المُسْلِمَة، الآن تَجِدهم يصيحون ويتكلّمون في مَسألة الحُرِّيات وفي مَسألة المساواة؛ يقول لك الحُرِّيَة، المُساواة بين الذَّكَر والأنثى، من هذه المُساواة مثلًا عند الميراث أنْ يكون ميراث الذَّكر كميراث الأنثى، الأنثى مُساوية للذَّكر، حُقوق الأنثى كَحُقوق الذَّكر؛ لا فَرْقَ بينهما.

ربنا سبحانه وتعالى مِنْ فَوق سبع سماوات فَرَّق بين الذَّكر والأنثى، وأنتم تَرَون في خَلْقِهِم هذا غير هذا، هذا يَسْتَطيع أنْ يَفْعَل أشياء لا يَسْتَطيعُها هذا، والعَكْس بالعَكس، فكيف تُساوون بين هذا وهذا، هذا عليه من الواجِبات ما ليست على الآخر، والآخر عليه من الحقوق ما ليست على الأول؛ وهكذا، وهذا في الحياة الاجتماعيّة وفي الواقع وحتى في العقل، عندما تُفَكِّر في عَقْلِك تَجِد هذا الشيء واضحاً جدًا، لكنَّهم يُكابِرون ويُعانِدون، لكن هذا الموجود الآن؛ هذه الدَّعَوات هي الموجودة؛ المساواة بين الذَّكر والأنثى.

المُساواة بين الكافِر والمُسْلِم، كيف يَكونون سَواء وخالِق السماوات والأرض والذي خَلَق الخَلْق وهو الذي يَمْلِك السماوات والأرض ما جَعَلَهُم سَواء؟ ولا يُريدُهم أن يكونوا سواء {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [القلم:35-36]؛ هكذا قال الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى هو الذي خَلَق الأرض وخَلَقَ السماوات وخَلَقَ كل شيء، وأراد من خَلْقِه أنْ يَكونوا على الإيمان، ومَنْ لمْ يَكُن على الإيمان لا يَسْتَحِقُّ أنْ يَكون في الإكْرام والإعْزاز كمستوى المؤمن.

أنت لو عِنْدَك في بيتك شَخْص لا يُطيعُك- يَعْصيك-، تقول له: إن لمْ تَفْعَل كذا فلا تَجْلِس في بيتي، ويَعْصيك ويَفْعَل ما يُريد ويُفْسِد في عَمَلِه في بيتِك، أَتَقْبَل هذا؟ لا تَقْبَلُه، ولله المثل الأعلى.

هذه صور قليلة، والصور كثيرة والنِّزاعات مَعَهُم كثيرة في أَباطيلهم التي يَأتون بها، كُلّها جاءت من أَفكارِهِم وعُقولِهم الخائِبَة، ويُقارِنون أفكارَهَم وعُقولَهم بما جاء من عند الله سبحانه وتعالى، سبحان الله! ولكنَّهم قوم لا يؤمنون كُفّار، لكن تَعْجَبْ مِمَنْ يَقول لك أنا مُسْلِم وأَعْتَقِد بما في القرآن والسُّنّة؛ ثمّ يأتي بِدَعْوَتِهم بما يَدْعون إليه ويُريد أنْ يَدْعو هو إليه.

حُرِيات؛ المرأة حُرّة حُرّيّة شَخْصيَّة، الحِجاب حُرِّيَّة شخصيَّة، كيف يكون حُرِّيَّة شَخْصِيّة؟

قد أَمَرَ الله سبحانه وتعالى به؛ فلا يكون حُرِيَّة شَخْصِيَّة؛ هذا باطِل، لا يوجَد حُرِيَّة أنت عَبْد، من أين الحرية وأنت عَبْد؟! افهم هذا، إذا كنت تُريد أنْ تَتَبَرَّأ مِنْ عُبوديَّتك لِرَبِّك؛ صَرِّح بهذا ولا تَقل أنا مُسْلِم، أنت مُسْلِم إذن أنت عبد.

ما معنى مُسْلِم؟ الاستسلام؛ الانقياد لأمر الله، طاعة لله، عُبودية لله؛ هذا معنى الإسلام، أنت مُسْلم إذن أنت عَبْد لله سبحانه وتعالى؛ يعني: أنك تُطيع الله فما يأمُرُ به، وتَنْتَهي عمّا نهى عنه؛ وهذا كلّه لا يَتَماشى مع العَلْمانيّة؛ هذه العَلْمانيّة.

واللبْراليّة هي الحُرِيَّة؛ الحُرِيَّة المُطْلَقة التي لا يَضْبِطُها إلا القانون، والقانون يجب أنْ يُوضَع بناء على الحُريّة- لاحِظ!-، فقط إذا كانت هذه الحُرِيَّة سَتُفْسِد الحَياة الاجتماعيّة فقط يَضَعون لها قانوناً حتى يَضْبِطْها، غير هذا؛ الحُرِّيَّة مَفْتوحَة، شخص أراد أن يَتَعرّى ويَمْشي في الشارِع عاريًا؛ هو حُر لا أحد يَتَكَلَّم معه، امرأة تُريد أن تَزني وتأتي بابن حَرام والولد هذا ابن الحَرام لا يُعْرَف له أباً ولا مَنْ يَعوله ولا مَنْ يَعْمَل على الاتيان بالقوت له ولا له ميراث ولا له أقارب ولا شيء؛ هذا كلّه ليس عِنَدَهُم فيه مُشْكِلَة؛ بل يُجْهَض الوَلَد ويُقْتَل قبل أنْ يُولَد؛ لا إشكال،

اعتداء على روح ليس عِنَدُهم مُشْكِلَة معه؛ عالم مُتَناقِض؛ يقول لك حُرِّيَّة! أين الحُرِّيَّة في قَتل نَفْس ؟!!.

على كل الكلام كثير، وقد أُلِفَت مُؤَلَفات في الردّ على هذه الفِرَق الكافِرَة، وهذا كله كُفر؛ اللبْراليّة، العِلْمانيّة، الدَّعْوة إلى وِحْدِة الأديان، الدّعوة إلى نَظَرِيَّة دارون التي تَقول بأنّ أصل الإنسان قِرد، هذه العَقائِد مهم جدًا التركيز عليها، وتعليم المسلمين خُطورة هذه العَقائِد على دينِهِم، وَحْدة الأديان وما يَنْبَني عليها من عَدَم تَكْفير اليَهود والنَّصارى، أو أنَّهم ليسوا مِنْ أهل النّار، مَنْ مات على اليهوديّة والنَّصرانيّة بعد بعثة محمد ﷺ، يقول لك: هو ليس من أهل النّار؛ هذا كلّه كُفر، لا بُدّ من التركيز على هذه العَقائِد، وتعليمها للنّاس.

الكلام طَويل في العَلْمانيَّة واللبراليّة وما تَدعو إليه وما تُحاوِل أنْ تُحَقِقَه، يُسَيطِرون؛ يُحاوِلون السَّيطَرة على الإعلام، يُحاوِلون السَّيطَرة على التّعليم، هذه أماكن حسّاسَة لها تأثير كبير في المجتمعات؛ لذلك يُحاوِلون السَّيطَرة عليها من أجل بَثِّ أفكارِهِم.

هذا ما أردنا أنْ نَذْكُرَه في آخر هذه العقيدة، ونَسْأل الله أنْ يُوَفِقْنا وإياكُم لِما يُحِّبُه ويَرضاه. والله أعلم.